سعید الأعظمی ندوی

صور من واقع الدین



مکتبۃ ابن القیم دوس۔ لکناؤ (الھند)

حقوق الطبع محفوظة

صوَر من واقع الدين

عدد الصفحات : ٤٢٤

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

اهتم بالطبع : إرشاد أحمد الأعظمي الندوي

الكتابة على الكمبيوتر : فؤاد محمود الندوي

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

الناشر :

مكتبة الفردوس ، مكارم نغر ،برولیا لکناؤ (الهند)

﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴿٤٨﴾ ﴾ (المائدة ٠٤٨)

صـــــور

من واقع الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

صور من واقع الدين

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وعلى من تبعه وسار على منهجه القويم.

أما بعد! فإن هذا التأليف الكريم الذي اجتمعت فيه مقالات وكلمات، حول شئون إسلامية وأعياد إسلامية، حررها أديب العربية البارع أخونا العزيز الدكتور سعيد الأعظمي الندوي مدير دار العلوم ندوة العلماء ورئيس تحرير مجلة "البعث الإسلامي" الغراء - حفظه الله وحفظ نشاطه الأدبي والعلمي الرشيد - وإن مجلة البعث الإسلامي التي بدأت مسيرتها تحت إشراف العلامة المفكر الإسلامي الراحل الجليل الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي - رحمه الله رحمة واسعة - واتبعت الخطة الدعوية والتربوية الإسلامية التي تبناها سماحة الشيخ الراحل الجليل ومواجهة الخطر الداهم على الفكرة الإسلامية الرشيدة من الفكرة الغربية الملحدة التي تسلطها على الشباب المسلم المثقف القوى الاستعمارية والاستشراقية.

كانت المجلة قد بدأت مسيرتها برئاسة الأخوين الكريمين الداعية الإسلامي الشيخ محمد الحسني - رحمه الله - وفضيلة الأديب الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي منذ أكثر من نصف قرن، ولا تزال في مسيرتها الرشيدة تحت رئاسة تحرير الشيخ سعيد الأعظمي الندوي مدير دار العلوم ندوة العلماء والأخ العزيز الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني

الندوي رئيس الشئون التعليمية لندوة العلماء، بارك الله في جهودهما وتقبل مساعيهما قبولاً حسناً.

ولقد أدت المجلة في تاريخها الممتد على أكثر من نصف قرن دوراً رائداً ومؤثراً في مجال التوجيه الإسلامي ومحاربة الغزو الفكري الآتي من الغرب، والريادة في مجال الفكر الإسلامي المعاصر، وذلك بجهود كتابية في المجلة برئاسة فضيلة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي الندوي وزميله الشيخ محمد واضح رشيد الحسني الندوي، والأدباء الآخرين من زملائهما.

وكانت رئاسة الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي لتحرير المجلة أطول زمناً وأزخر كتابة استمر بها يغذي أذهان الشباب المسلم المثقف بالفكر الإسلامي السليم، وقلمه قلم بارع في العرض والأداء، واشتملت افتتاحياته على مقالات، تدور حول موضوعات التوعية الإسلامية والمناسبات الإسلامية كذلك، وكان لها تأثير في نفوس القارئين.

فأراد أصدقاء الدكتور الشيخ سعيد الأعظمي، أن يجمع هذه الافتتاحيات وطائفة من كلمة الرائد المنشورة في صحيفة "الرائد" الصادرة من ندوة العلماء، في كتاب، وتنشر ليكون نفعها أكثر وأوسع.

أرجو أن هذه المجموعة من المقالات النافعة ستؤدي خدمة حسنة فيما يهم المسلمين نحو دينهم وثقافتهم الإسلامية

والله ولي التوفيق.

٢٦/ ربيع الآخر ١٤٢٩هـ
٣/مايو/ ٢٠٠٨م

كتبه
محمد الرابع الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء العام لكناؤ

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وجعله إمام المرسلين والمتقين، وعلى آله وأصحابه وعلى من اهتدى بهديه ودعا بدعوته وبلغ رسالته إلى الناس أجمعين، أما بعد:

فكان من توفيق الله سبحانه وتعالى لهذا العاجز أن يشارك صديقه المرحوم الأستاذ السيد محمد الحسني رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي (سابقاً) في تأسيس المجلة وإصدارها، فكان لي حظ في تحرير الافتتاحية بعض الأحيان عدا بعض المقالات والبحوث التي وفقني الله إلى نشرها في المجلة، ولما قدرله أن يلحق بالرفيق الأعلى عادت إلي مسؤلية تحرير الافتتاحية بصفتي رئيس تحريرلها بعده.

لا ريب أن عملية الصحافة العربية في بلد أعجمي مثل الهند ذات أهمية بالغة، تتطلب معرفة فنون هذه الصحافة وأسلوبها الذي لا يخلو من رشاقة الكلمة وجمال التعبير، إضافة إلى فكرة سليمة، واطلاع على الأوضاع العالمية في جميع مجالات الحياة من الحضارة والاجتماع، وما يدور في فلك السياسة وما يتطور في ساحة العلوم والمعارف والأفكار والتصنيع والتقنية والإعلام، ولا سيما في المعسكرات الكبرى التي تتزعم السياسة العالمية وتقود الفكر

الحضاري والثقافي وتفرض على الدول النامية أن تتبعها وتسير وراءها في جميع المجالات الحيوية .

صادف صدور هذه المجلة أيام استقلال عديد من دول العالم وتحررها من نير الاستعمار الغربي ، وذلك في فترة النصف الأخير من القرن العشرين ، وهي فترة حرجة برزت فيها دعوات وتحركات مضادة ، تزعمها جماعات من أصحاب السلطة السياسية والأدبية وحملة لواء المادية ، فتارة باسم القومية والعنصرية ، وأخرى باسم فلسفة الحضارة المادية ، وثالثة بعنوان تصحيح المسيرة ، وكل ذلك كان في الواقع إغارة على الدين الإسلامي ومحاولة شديدة لتزييف الحضارة الإسلامية ، وتعويق الفكر الإسلامي ، ودحض العقيدة الدينية واعتقال الإسلاميين من العلماء والدعاة والمفكرين ، وبالتالي إعدام نخبة منهم ، والذي تولى كبر ذلك معلوم لدى الجهات المطلعة .

في مثل هذا الوضع كان صدور مجلة " البعث الإسلامي " مجازفة ، لأنها تميزت بالصراحة في القول والعمل ، وتأييد الحق ، ودعم الكلمة بالصدق وأداء أمانتها المطلوبة من غير خوف لومة لائم ، والالتزام بمصداقية الصحافة الهادفة ، ذاك أن المسئولين عن المجلة قد تلقوا هذه الدروس من أستاذهم وشيخهم ومربيهم سماحة العلامة الداعية الإسلامي الكبير الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) .

ومعلوم أن افتتاحية أي مجلة أو صحيفة تعتبر تعبيرا صادقا عن وجهة نظرها والفكرة التي تتبناها ، والهدف الذي تتوخاه ، ومن ثم

كانت افتتاحيات المجلة لسان حال لحركة ندوة العلماء وتعبيراً عن المبدأ الوسط الذي مثلته من أول يومها إلى هذا اليوم ، وهو مبدأ الأمة الوسط في جميع مجالات الحياة والمجتمع ، وقد جاء معناه في كتاب الله عز وجل حيث قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾[1] لذلك فإن من شأن الأمة الوسط أن تقوم باستمرارية تامة في كل عصر ومِصْرٍ بمهمة الشهادة على الناس ويكون الرسول ﷺ شهيدا عليها .

تلك هي الفكرة التي دفعتني إلى جمع افتتاحيات المجلة في كتيب صغير الحجم تحت أبواب مختلفة ، وهي على ما يأتي : العام الهجري والهجرة النبوية ، السيرة المحمدية ، الإسراء والمعراج ، رمضان شهر الصيام والقرآن ، الحج والتضحية .

أرجوألا يخلو هذا المجموع من بعض الفوائد الدينية وما إليها ، فينال قبولا في أوساط الشباب والمتعلمين في المدارس والجامعات الإسلامية في الهند وخارجها بمشيئة الله تعالى .

وبالمناسبة يسعدني آن أشكر سعادة الشيخ العلامة السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء ورئيس هيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم الهند على ما تكرم به من تقديم ضاف على هذا الكتاب ، ذلك الذي يرفع من قيمة الكاتب والكتاب ، كما

---

[1] سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

لا يسعني من باب الشكر إلا أن أنوه بالمجهود الذي بذله الأخ العزيز الأستاذ محمد فرمان الندوي مدرس اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء، فهو الذي قام باختيار هذه الكتابات من مجلدات البعث الإسلامي ومن " كلمة الرائد " للصحيفة العربية الغراء، التي يرأس تحريرها سعادة الأستاذ الكبير الشيخ السيد محمد واضح رشيد الندوي، وجمعها في هذه المجموعة التي أضعها بين يدي القارئ الكريم، عسى أن تنال بعض القبول، والله هو المسئول، وأسأل الله تعالى أن يكرمني بالتوفيق والسداد، وهو على كل شئ قدير، وبالإجابة جدير.

كتبه بيمينه

سعيد الأعظمي الندوي

رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي

ندوة العلماء لكناؤ (الهند)

٢٧/ربيع الآخر ١٤٢٩هـ

٤/ مايو/ ٢٠٠٨م

الباب الأول

العام الهجري والهجرة النبوية

تحية العام الجديد*

إنها تحية العام الجديد ، لا لأجل أننا تقدمنا خطوة أخرى وخلفنا وراءنا العام الماضي ، بل لأجل أننا استقبلنا العام الجديد ، وعسى أن نستدرك فيه ما فاتنا في العام الماضي ، ونكمل ما بقي فيه من أعمالنا ، ونزيد ما كان ينقصنا ونجبر ما كسرنا فيه ، وعسى أن يكون لنا هذا العام مبعث خير وسعادة ، ويكون فيه ما يحفزنا على عمل نافع ، ويدفعنا إلى ما نجني فيه ثمار أعمالنا ونلمس نتائجها السارة ، بالرغم من ضعفنا وتقصيرنا ، و بالرغم من العمل المتواضع الذي تبنيناه ، ومن قلة الوسائل ، وضآلة الإمكانيات .

ولكن الإسلام ديننا الحنيف لا يعلمنا اليأس من المستقبل ، و لا يوجهنا إلى القعود والانسحاب من معترك الحياة ، مهما كان العمل متواضعاً ، والوسائل قليلة ، و الإمكانيات حقيرة لا تسترعي الانتباه ، وإنما الإسلام يدعونا إلى السعي والاجتهاد ، وتفويض النتيجة إلى الله ، وهو يشير إلى أن الانسان يعطى بقدر ما يسعى ، و أن النجاح معقود بالسعي والجهاد ، دون القعود والانسحاب ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ۝ ﴾[٢].

---

* صحيفة الرائد أول يوليو عام ١٩٦٥م ، وصفر ١٣٨٥هـ .

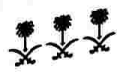
[٢] سورة النجم الآية : ٣٩-٤٠-٤١ .

ومن يدري ما هو الجزاء الأوفى عند الله ، وخصوصاً إذا كان الجزاء أوفى و أكمل ، فمن يستطيع أن يتصوره أو يقطع فيه رأياً ؟!

أما هذا العمل الذي حملناه على عاتقنا ، وهذه المسؤلية التي حاولنا أداءها فنعلم جيداً أنه عمل ضئيل ومسؤلية حقيرة إزاء الأعمال التي تؤدى اليوم في عالم الصحافة الضخمة الراقية ، ويكون مثله كمثل نقطة صغيرة في خريطة كبيرة واسعة ، ولكننا بالرغم من ذلك كله لا نرى من الحزم و لا من التفكير اليقظ أن نعطي للأوهام سبيلا إلى العقل لتسيطر عليه ، ولا نريد أن نسلط سحب اليأس والاستكانة على التفكير فنفر من الميدان ، وننسحب من المعركة وندع غيرنا ليتعمق في هدم القيم والمثل ونشر الفوضى والإباحية ، وتشجيع الجذام الخلقي الفكري في الناس .

وسواء أكانت هذه الصحافة المتواضعة لا تسمن ولا تغني من جوع ، ولكننا لسنا مسؤلين عن التأثير والنتائج الباهرة ، وإنما المسؤلية هي أن نشتغل بقدر ما نستطيع ، و نقاوم السيل بكل ما نملكه من وسائل وإمكانيات .

وبهذا الشعور المخلص ، والروح الخالصة نتقدم بهذا العمل المتواضع إلى إخواننا في كل مكان ، والله المستعان ، وهو يهدي السبيل ؟.



العام الهجري الجديد وشرعية مفهوم الهجرة*

مع مطلع العام الهجري الجديد تتجدد ذكريات ذات شجون ودموع ، وتتمثل أمام العيون صور مشرقة من معاني الهجرة تارة ، ومن المصالح الاجتماعية والسياسية حيناً آخر ، فهناك هجرات عديدة قام بها رجال من التاريخ اتباعاً لسنة الهجرة التي بدأت بهجرة النبي ﷺ ، وكانت منطلقاً كبيراً للدعوة إلى الخلق العظيم الذي أكرم الله به رسوله الكريم ، وكانت مصدراً للعز والسعادة والاتساع والشمول في العالم كله ، وكذلك كل هجرة تكون نابعة من العقيدة الصافية ، ويكون الغرض الوحيد منها إعلاء كلمة الله وابتغاء وجه الله ، وقد نالت هذه الهجرة الكريمة من القبول والرضا في شريعة الإسلام ما لم يكن لغيرها من الهجرات التي توخي منها تحقيق غرض أو أغراض خسيسة من النفس والمجتمع ، لذلك فإنها تتوقف على النوايا الصالحة والتطلعات السامية نحو المقاصد العالية والغايات النبيلة ، ولقد أشار النبي ﷺ نحو هذا المعنى في حديثه الصحيح الذي رواه الشيخان عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله

* مجلة البعث الإسلامي محرم الحرام عام ١٤١١هـ .

ورسوله فهجرته إلى الله و رسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"[1].

وقد ظل هذا الحديث موضع اهتمام المسلمين ، و دراستهم منذ ذلك الحين ، واستوحوا منه معاني كريمة من الإخلاص والولاء ، وتزكية النفس من شوائب الرياء والمغالطة ، حتى أصبحت الهجرة كلمة ذات قدسية واتصلت بها مفاهيم إيمانية وتصورات تربوية ودينية خالصة ، تمكنت من قلوب المؤمنين الأولين من أصحاب النبي ﷺ ممن حققوا معاني الهجرة وهاجروا في سبيل إعلاء كلمة الله ونشر العقيدة الإسلامية الصافية إلى بلدان بعيدة كانت غارقة في الوثنيات والجاهليات ، كجزر الهند والصين ، وماليزيا وإندونيشيا ، هاجروا إليها لمجرد تحقيق معنى الهجرة والعمل بالحديث النبوي الكريم ، وقد وقع ذلك في تاريخ مبكر للإسلام ، وفي العقود الأولى من هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بأصحابه المهاجرين ﷺ .

ولولا أن هذه الهجرة كانت نابعة من صميم الإخلاص والولاء لله ولرسوله ﷺ ، ولولا أنها اتصلت في عمق وصفاء بقول النبي ﷺ " فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله " لم تثمر تلك الثمار الإيمانية اليانعة الجنية التي

[1] صحيح البخاري ، رقم الحديث : ١ ، باب كيف كان بدؤ الوحي إلى رسول الله ﷺ ، وصحيح الإمام مسلم رقم الحديث : ١٩٠٧ كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : إنما الإعمال بالنية .

ظهرت في مظاهر شتى من انتشار دعوة الإسلام في هذه البقاع بصورة مدهشة ولم تتحول المجتمعات البشرية فيها إلى مجتمع إسلامي خالص ، تسود فيه المعاني الإنسانية الرفيعة من العدل والرحمة والمساواة والمواساة ، وجميع القيم الخلقية العليا التي تتكفل بالسعادة الحقة الغامرة .

سجل التاريخ الإسلامي في أدواره المختلفة نماذج رائعة لهذه الهجرة والولاء ، ظهرت فيها الشجاعة الخلقية والصلابة العقدية بأكمل مظاهرهما وتمثل فيهما الإيمان الراسخ بحتمية النتائج الباهرة التي يتلقاها المهاجر في سبيل الله لإعلاء كلمته و دعم شريعته و الجهاد ضد قوى الكفر والطغيان ، ولكي يتحقق هذا الغرض النبيل لا يبالي المهاجر المؤمن على أي شق يكون مصرعه ، وإلام ينتهي به مصيره ، وإنما هو يتفانى في دعم العقيدة ويبيع نفسه وماله وإمكانياته و مستقبله لله تعالى ، وهو بذلك يرسخ المعاني الكريمة والقيم العالية في نفوس الناس ، ويرفع مستواهم العقلي والعملي إلى أبعد المدى في جميع شئون الحياة والمجتمع .

ولذلك فقد أوجب عدد من كبار علماء الشريعة والفكر الإسلامي هجرة المسلمين من دار الكفر والطغيان إلى حيث يجد فيه الإسلام عزاً ومنعة ، ولكن قضية الهجرة هذه ظلت موضع خلاف بين حملة الفقه الإسلامي والمفكرين الإسلاميين ،

وظهرت الشدة في الموضوع لدى بعضهم وخاصة في الظروف التي تصعب فيها أداء المسؤلية و القيام بشعائر الإسلام ، و يعيش فيها المسلمون في تضايق وبلاء لا يتمكنون من التظاهر بشعائر الدين بالتمسك بالعقيدة الإيمانية ، بل يواجهون عمليات القمع والتذويب ويهددهم الفناء والدمار عاجلا أو آجلا ، وهم يستشهدون لذلك من واقع الهجرة إلى الحبشة ، يوم لم يكن للإسلام وطن ولا دولة .

غير أن الحرص على أداء سنة الهجرة والجهاد في سبيل الله لمجرد إعلاء كلمة الله وتطبيق الشريعة وتنفيذ الأحكام والحدود ، أقلق بعض الغيارى من رجال الإيمان والصدق والطاعة في العصور المتأخرة ، نذكر منهم على سبيل المثال الأمير عبد القادر الجزائري وأتباعه من علماء الدين والتربية الإسلامية ، وكذلك قائد الجهاد الإسلامي ضد إيطاليا في حرب طرابلس سيدي أحمد الشريف السنوسي وأصحابه ، ممن عاشوا بين الهجرة والجهاد ، ولم يرضوا بأقل من بيع النفس والنفائس لله تعالى والدخول في مصداقية البيع الرباني والجهاد الإيماني الذي طالب به الله تعالى من عباده المؤمنين ، وذلك في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ

وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [1] .

ويقول الله تعالى في الإشادة بذكر الهجرة والجهاد في سبيل الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [2] .

ويقول ﴿ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [3] .

وهناك أمثلة كثيرة في تاريخ الإسلام الحافل بقصص الهجرة والجهاد في سبيل الله تعالى والزاخر بحكايات التضحية والجهاد المثيرة لتحقيق الغاية الأسمى من تثبيت دعائم الإيمان والعقيدة في النفس والمجتمع ، ويتمثل أمامنا أروع حادث سجله تاريخ الهجرة والجهاد في الهند في القرن الثالث عشر الهجري بأحرف من نور ، ذلك هو الإمام أحمد بن عرفان الشهيد ، الذي حمل راية الهجرة والجهاد وخرج من وطنه رائ بريلي عام ١٢٤١هـ مهاجراً في سبيل الدين والعقيدة والجهاد في سبيل الله

---

(١) سورة التوبة الآية : ١١١ .
(٢) سورة البقرة الآية : ٢١٨ .
(٣) سورة النساء الآية : ١٠٠ .

إلى أفغانستان التي أرادها كقاعدة الجهاد الإسلامي ضد قوى الشر والطغيان ، إنه كان يعتقد أن شريعة الله تعالى بما فيها أحكام وحدود لا تنفذ في الحياة العملية إلا بالحكومة والنظام الشرعي ، وأن العمل بالكتاب والسنة يتوقف على أن تكون للإسلام دولة مستقلة تقوم على أساس الشريعة ، قد جاء في بعض أفكاره التي نقلت عنه :

" إن بقاء الدين إنما هو بالدولة ، وإن الأحكام الشرعية والقوانين التي لها علاقة بالدولة لا يمكن العمل بها إذا لم تكن للإسلام دولة ، وإن المسلمين لا يذوقون الذل والنكبة على أيدي الكفار والمشركين ، وإن شعائر الدين لا تداس كرامتها ، وإن المساجد لا تهدم ولا تخرب إلا لمجرد أن الإسلام في هذه الديار ليست له دولة مستقلة " [1]

ووجه رسالة إلى علماء الهند وشيوخها و أمرائها ، يوضح فيها وجهة نظره إلى الجهاد ، والغاية التي يهدف إليها في القتال مع أعداء الله ، جاء فيها :

" لقد وفق الله تعالى هذا العاجز سابقاً لأن يدعو الناس إلى اتباع الشريعة والأمر بالمعروف ، ليل نهار ، كما يعرفه الكثير من

[1] سيرة السيد أحمد الشهيد ج ١/٤٠٥ ـ طبع في المجمع العلمي الإسلامي عام ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

زملائنا ، ثم أنعم الله سبحانه و تعالى بأن يدخلني في زمرة المهاجرين الصادقين برفقة عدد من عباده المؤمنين المخلصين ، وأشكر الله جل وعلا على هذه النعمة شكراً عظيماً ، وبما أن الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف لا يكتملان بدون الجهاد والقتال في ساحة الحرب ، أمر الله سبحانه إمام الهداة وسيد الدعاة محمداً ﷺ في الأخير بقتال الكفار ، فظهر دين الله وشريعته على سائر الأديان والشرائع ، وعلى ذلك ألهمني الله تعالى بأداء هذه العبادة والحصول على هذه السعادة ، بأن عزمت على تحقيق هذه المأثرة ، باذلا كل شئ من الأنفس والأرواح والأموال والأهل والوطن في سبيل هذا العمل العظيم ، وكل ذلك إرضاء لله تعالى وإرغاماً للكفار والمشركين لا يشوبه شئ من هوى النفس ووساوس الشيطان ، وأصرح من جديد فأقول : إن الله علام الغيوب ، شهيد على أن " دافع الجهاد " الذي يعيش في نفسي ويقلقني ليس إلا لوجه الله تعالى وإعلاء كلمته ، دون أن يخطر على بالي شئ من الجاه والعز والسيادة والحكم ، والمال والصيت ، والفضيلة على الناس والمعاصرين أو نوع من الأماني الكاذبة والأحلام الضائعة ، والله على ما نقول وكيل "[1] .

إن قصة هذه الهجرة والجهاد تتصل بمفاهيم الهجرة العميقة وتتمثل فصولها و رواياتها لمن يتابعها من خلال تلك الدلالات

[1] سيرة السيد أحمد الشهيد ج ١/٤٠١ ـ ٤٠٢.

العميقة التي نبعت من روح الطاعة وقوة العقيدة والإيمان الخالصة ، وبذلك تتبين شرعية مفهوم الهجرة الدينية التي تتصل بالعقيدة والولاء الخالص لله ولرسوله ، و تتضح دلالة قول النبي ﷺ في الحديث الصحيح المروي أعلاه ، وما قد تحدث الله سبحانه عنها في كتابه قائلاً :

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾ (١)

ونتذكر بالمناسبة هجرة القوى الكافرة إلى دول وأوطان المسلمين لأغراض سياسية فحسب ، لتشويه صور القضايا المصيرية التي يعيشها سكان هاتيك الدول المسلمة ، وحسبنا كمثال هجرة اليهود السوفيات إلى فلسطين التي يمارسها المعسكرات العالمية لمجرد القضاء على حقوق المسلمين وتصفية حسابهم في قضية القدس وفلسطين ، والقضاء على الانتفاضة الإيمانية العارمة التي يقوم بها المؤمنون رجالا ونساء وأطفالا وشيوخاً .

إن الهجرة التي هي وسيلة إسلامية خالصة وتنطوي على مفهوم إيماني عميق وعلى دلالات ذات مغزى عقدي عظيم ، قد

(١) سورة الحج الآية : ٥٨ ـ ٥٩ .

تبنتها القوى الكافرة تحقيقاً لأغراض سياسية رخيصة ، وتمزيقاً لوحدة المسلمين الإيمانية والعقائدية ، وبقدر ما تزايد عليها إقبال الأعداء تقلل اهتمامنا بها وانصرفت عنايتنا عنها ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (١)

ويقول ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ (٢)

وتمثلت معاني الهجرة بمناحيها المختلفة في الجهاد الإسلامي الذي جرى ولايزال يجري في أفغانستان ، وسوف تتضح صورها الرائعة بإذن الله تعالى في نهاية المطاف ، ويؤلف حولها أسفار ، وتتكون منها مكتبة بأسرها يعتز بها الأجيال .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ؟.

(١) سورة النحل الآية : ٤١ .
(٢) سورة النحل الآية : ١١٠ .

مرحباً بالعام الهجري الجديد !*

ما أجدر بالأمة الإسلامية ، وهي تستقبل العام الهجري الجديد أن تدرس حياة صاحب الهجرة ﷺ من جديد ، تدرسها من زاوية الحياة الجديدة ، وما يمر به العالم الحديث اليوم ، وما يواجهه من قضايا وأحداث و تحديات وفلسفات ونظرات ، عسى أن تجد فيها ضالتها ، فتسعف الأجيال والشعوب التي تعاني من صراع نفسي شديد ، وتسعى باحثة عن علاج لأدوائها التي استعصى عليها دواؤها .

إن هذا العالم الحديث ، لا يختلف في التيه والحيرة عن العام القديم الذي سبق الإسلام ، وعاش في ضلال وجهل وفوضى ، فإذا كانت الديانات وأصحابها لم يتمكنوا من إخراجه من ذلك الظلام قديماً ، فإن الأيديو لوجيات الجديدة والفلسفات العلمية الحديثة لم تتمكن من تحويل العالم الحديث أمناً وهدوءاً ، ومن توجيه سعادة وطمأنينة إليه ، أما العلم الحديث والصناعات العملاقة والإبداعات الواسعة المدى فأي شئ من ذلك لم يوفر له راحة نفسية ، وإن كان فيها توفير للوقت ، ولكن ذلك لا يغني

* صحيفة الرائد ذوالحجة عام ١٤٢٤هـ.

عن الخواء الروحي والشقاء اللازم للإنسان الغربي ، ولمن على شاكلته من أهل الشرق الإسلامي .

هنا العبرة للمسلم قبل كل شخص في هذه الحياة العطرة ، سيما وهو يستقبل العام الهجري الجديد ، ويذكر حدث الهجرة ، وما والاها من انتصارات ، وما اتصل بها من مجهودات كفاحية في سبيل دعم المبادئ الخلقية ، فقد كان الرجل المسلم ، قد خطا حينذاك ، نحو التمكن والاستقرار والقوة والإيمان بخطى حثيثة واسعة ، وخرج من مرحلة المراهقة الفكرية إلى مراحل النضج والقوة والاكتمال ، وآذن الله بإكمال الدين ، وإتمام النعمة ، والارتضاء بالإسلام للأمة الإسلامية ، وبشر النبي الكريم ﷺ بذلك أصحابه وأمته ، وقرأ عليهم قول الله تعالى ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾ [1] فلما سمع به اليهود ، قالوا : يا معشر المسلمين ! لقد نزلت عليكم آية لو علينا معشر اليهود ، نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً [2] .

وكلما أعيدت قصة الهجرة النبوية الكريمة ، وجعلت أحداثها وأخبارها وآثارها موضوع الحديث ، ومبنى المناسبات تجلت أمام الأعين تلك الحياة النبوية ، وتمثلت ذكرياتها بجميع

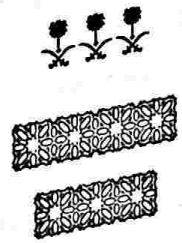
[1] سورة المائدة الآية : ٣.
[2] صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب زيادة الإيمان ونقصانه : ٤٥ وصحيح الإمام مسلم ، كتاب التفسير ، باب في حديث الهجرة .... رقم الحديث : ٣٠١٧ .

ما فيها من عبر ودروس ، وتوجيهات وتعليمات لبناء الحياة السعيدة والمجتمع المثالي ، ونشر معاني المودة والأخوة ، والحب والسلام ، والقضاء على جوانب الشقاق والفرقة والانقسام ، وتغيير عوامل الفساد والعداوة والخصام بعوامل الصلاح والحب والوئام .

وما أحوج عالمنا المعاصر إلى مواصفات الحياة الكريمة السعيدة ، وخصائص الإنسان الكامل العظيم ﷺ ، ففي سيرته كفاية للإنسان في كل مجال ، وفي كل زمان ومكان ، وفيها حلول ناجعة لجميع ما يجتازه من مشكلات وويلات .

يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ ﴾[1]



[1] سورة الأحزاب الآية : ٤٥ ـ ٤٦ .

عبر من الأيام !

بمناسبة بدء العام الهجري الجديد *

بسرعة مذهلة تمر لحظات الحياة الغالية ، وقلما يخطر على بال ، ما ينتقص معها من فرص العمر ، وما يسرع إليه من الضنى والفند ، ويقترب إليه الأجل ، بل على العكس من ذلك يفرح الإنسان على ذهاب الأيام وانطوائها في ذيل التاريخ ، ويعد نفسه لاستقبال ما يأتي إليه من أيام ، عسى أن تكون أحلى من أختها ، وأنفع من سابقتها ، إنه يترقب ساعة ينتهي فيها العام ، ويبدأ معه عام جديد ، ويعد كلمات التهاني لكي يقدمها إلى أهله وذويه وبيئته التي يعيش فيها ، على بدء عام جديد .

ولكن هناك جانباً آخر يدعو إلى التأمل فيما مضى في العام الراحل من أمور وأحداث ، وما عاشه العالم خلال ذلك من أفراح وأتراح ، إنه يتيح فرصة لدراسة الأوضاع وتصحيح الأخطاء ، والفرار من المزالق ، والتفطن للمكايد التي كان يكيلها الأعداء ، صدّاً عن الطريق ، وإحباطاً للمجهودات وتشكيكاً للأذهان ، وإثارة للشبهات ، إنه يمهد الطريق نحو الغاية ، ويوضح الرؤية للحياة ، ويفتح دفتر الحساب .

* صحيفة الرائد محرم الحرام ١٤١٦هـ .

عسى أن يكون ذلك السبب فيما إذا كان الإنسان المسلم يستبشر ببدء كل عام جديد ، ولعله يرى ويلمس في غضون الأيام المقبلة تحقيقاً لكثير من أحلامه وتنفيذاً لبرامجه المستقبلية التي كانت تلمح آثارها في الأيام التي مضت ، نرى أنه يعلق آمالا جساما بالمستقبل الذي يتمنى بناءه ، سواء في صالح ذاته أو أهله وأولاده أو في صالح الشعب الذي ينتمي إليه أو الأمة التي يرتبط معها .

إن ديننا الحنيف لا يثبط همة المرء في التطلع إلى غد مشرق مضمون ، بل الواقع أنه يشجع على تدارك الفائت من الأعمال والأنشطة في مستقبل أيامه ، ويأمر بإعداد الزاد وأخذ العدة ليوم الحساب ، إنه يطالب بتقديم الأعمال التي تنفعه في غد قادم ومستقبل محتوم لا فرار منه للإنسان ، وهو يعتبر ذلك من علامات التقوى ومقتضياتها ، ويقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ وَٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢)

فإذا كان العام الجديد للهجرة ينبهنا إلى الاعتبار بما مضى من لحظات الحياة القيمة في كسل وفتور ، وفي أمور لا طائل وراءها ، فإنه يدعونا إلى تفكير عميق في أهمية الوقت المقبل الذي

(١) سورة الحشر الآية : ١٨ .
(٢) سورة الزخرف الآية : ٣٥ .

من شأنه أن يُقدر كل تقدير ، ويُستغل في بناء صالح للحياة ، على جميع المستويات .

نحن المسلمين أمام تحديات كثيرة ، وإن كان بعضها من ذات أنفسنا ، وهي تتحدانا اليوم في مجالات عديدة من الحضارة والاجتماع ، وتستهدف إذابة الشخصية الإسلامية بتجريدها عن جوهرة الإيمان والأخلاق ، ومن ثم تتجه المسئولية إلينا نحو بناء المستقبل للإسلام ، وذلك بوضع جميع إمكانياتنا ، ووسائلنا في هذا السبيل ، وتفجير طاقات الأيام في صالح الحياة البشرية وتوجيه السعادة الحقيقية إلى المجتمعات الإنسانية كلها .

وعلى هذا المحور للعمل والأمل يجب أن يدور نشاطنا ومجهوداتنا بمناسبة هذا الاستقبال الهنيئ للعام الباسم الجديد .



الهجرة في سبيل الله

الطريق إلى الفتح والانتصار *

بدأ الإسلام غريباً في مكة ، لم يلبّ دعوة الإسلام التي تولاها رسول الله ﷺ إلا عدد قليل تحصره أصابع اليد ، كانت ظروف الدعوة في غاية من القسوة ، واجتمعت جميع قوى العداء والمقاومة الشديدة ضد النبي ﷺ وأتباعه القليلين ، وكانت المؤشرات كلها تشير إلى إخفاق هذه الدعوة الجديدة واندحار المسلمين وانسحابهم عن الميدان ، وكلما أراد الناس أن يعملوا لإقناع " المعارضة " بتجربة الدين الجديد ، واجهوا من قبل المعارضين الرفض والتهديد ، ثم الأذى بأشد أنواعه والمحن التي كانت تكفي للردع عن الإسلام ، والارتداد إلى دين الآباء والأجداد ، ولكن الله سبحانه وتعالى أكرم عباده المؤمنين بالصبر على كل ما لاقوه والإصرار على الإسلام واتباع النبي عليه الصلاة والسلام في كل ما يدعوهم إليه ، ولو أدى ذلك إلى الهلاك .

واستمرت الأحوال على قسوتها واتساع نطاق الأذى والبلاء ، ولكن الإيمان بدين الإسلام لم يضعف ، بل ما زال يتقوى ويتعدى إلى القلوب ، مهما تصاعدت نسبة المقاومة

* صحيفة الرائد ٤/محرم الحرام ١٤١٩هـ.

والعنف والمحنة ضد المسلمين ، وظل الإسلام ينال القبول ويتزايد عليه إقبال الناس ، بالتفكير في رسالته التي لا تستهدف إلا الإصلاح ، والإيمان بالله الواحد القهار ، ورفض الأصنام والأوثان ، والعادات الجاهلية التي ألفها الناس وتواضعوا عليها ، ولا يريدون منها بديلا .

وقدر الله سبحانه بعد المحن الشدائد والبلايا العظام التي تحملها المسلمون ، وخرجوا منها ظافرين ، أن ترتفع راية الإسلام وتعلو كلمة الله ، وتبيض وجوه المسلمين ، فآذن النبي ﷺ بالهجرة إلى يثرب التي كان الإسلام قد وصل إلى عدد وجيه من أهلها ، وانطلق المهاجرون إلى دارهم الجديدة ، وخرج النبي ﷺ في خفاء مع صاحبه الوفي الصديق أبي بكر ﷺ إلى دار الهجرة ، وبلغ ذلك إلى أهل يثرب ، واستبشر المسلمون بمقدم النبي ﷺ ، وطفقوا يترقبون بصبر نافد حتى جاء موعد وصوله إلى مقره الجديد ، واستقبل المسلمون نبيهم الكريم وضيفهم العظيم ﷺ ، ورحبوا به أحر ترحيب ، وعم الفرح والسرور في البيوت والقلوب وسادت الجو سحابة من الخير والعز والسعادة ، وبدأت الجواري يتغنين نشيد الاستقبال بشعور غامر من الحب والإخلاص والسعادة :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع

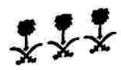
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع

وتحققت الهجرة في سبيل الله وبدأ دور العز والسعادة والفتح والانتصار ، وطفق الناس يدخلون في دين الله بكل

اقتناع ، وشهد التاريخ مثالاً نادراً للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، ونالت دعوة الإسلام طريقها نحو البلاد والأمصار ، وازدهرت شئون التعليم والتربية في المجتمع المدني ، وتوافر كتّاب لرسول الله ﷺ يملي عليهم رسائله إلى ملوك العالم وعهوده وعقوده ، وتأسست دولة الإسلام يعيش الناس في ظلها سعداء ، ويطبقون أحكام الله على الحياة والمجتمع .

وأسرع اليأس إلى قلوب المنافقين واليهود ، ورأوا أن ريحهم ذهبت ، وأن شوكتهم اضمحلت ، وأن مكرهم تجلى للناس جميعاً ، فما لبثوا أن تآمروا ضد الإسلام والنبي ﷺ في خفاء وتستر ، وأرادوا أن يقتلوا جذور الدعوة بأساليبهم الماكرة ومؤامراتهم السرية ، ولكن الله أبى إلا أن يظهر الدين ويتم نوره ، ولو كره الكافرون .

وكانت الهجرة منطلقاً كبيراً إلى العز والغلبة وطريقاً مستقيماً نحو الازدهار والانتصار ، وكذلك الدعوة إلى الإسلام في كل عصر ومصر ، تحتاج بادئ ذي بدء إلى الصبر على الأذى وتحمل المحن ومواجهة الظروف القاسية ، والهجرة في سبيل الله تمثّل هذه الصور بأروع معانيها وأفضل مفاهيمها ، وهي الطريق المضمون إلى النصر والفوز المبين والانتصار على الباطل ، وعلى العدو الظاهر والباطن ، كما أنها وسيلة ناجحة إلى تكوين مجتمع عادل ، وبالتالي إلى إقامه دولة الحق والصدق والعدل .



الهجرة في سبيل الله

الطريق إلى الفتح والانتصار(٢)*

وما زالت مسيرة الهجرة إلى الله ورسوله منطلقة نحو الهدف المنشود من حياة المؤمن الواعي والمسلم الصادق في كل عصر ومصر ، وقادها المؤمنون الغيارى من أمة الإسلام ممن ساعدهم الحظ وحالفهم التوفيق ورافقهم النصر من السماء فكانوا الأئمة الأعلام الذين شرح الله صدورهم للإسلام ، وأكرمهم بالفهم السديد ، والعقل النير لمعرفة حقائق الشريعة على ما أنزلها الله تعالى لهداية البشرية جمعاء إلى يوم الدين ، فكانوا هداة الحق ، ودعاة الإسلام ومنابر النور للباحثين عن النور في دجى الكفر ، وحلكة الضلال وظلمات الأنانية والظلم .

إن هؤلاء الأئمة الأعلام تولوا مسئولية الهجرة الصادقة وقاموا بأدوار رائعة في تثبيت دعائم الهجرة بأساليب مختلفة ، وطرق شتى ، كل على ما تيسر له ، فالمحدثون العظام أدوا مسئوليتهم عن طريق خدمة الحديث النبوي الشريف وعلومه

* صحيفة الرائد ١٩ محرم الحرام ١٤١٩هـ .

ورجاله وعالجوا قضايا الحياة الإسلامية والحضارة والاجتماع في ضوء أحاديث النبي الكريم ﷺ ، وفقهاء الأمة الأعلام باشروا هذا العمل الجليل بتدوين الفقه الإسلامي واستنباط مسائل الحياة على جميع المستويات ، بغاية من التحقيق والتدقيق ، ومقارنة الأحوال والظروف المتغيرة المتجددة بأحوال وظروف السابقين الأولين من المؤمنين في عصر النبي ﷺ والخلافة الراشدة والقرون المشهود لها بالخير ، وكذلك المرابطون على جبهات علمية ودعوية وجهادية ، فقد وفقهم الله تعالى بتحقيق معاني الهجرة فيما أنجزوه من تدوين العلوم والفنون الإسلامية ، وما قاموا به من مسئولية الدعوة إلى الله في العباد والبلاد التي لم تكن تعرف من معاني الإسلام والحضارة الإسلامية شيئاً ، ومن مقاومة الحركات الهدامة والفئات الباطلة والنحل المزعومة معنىً .

أما المجاهدون في سبيل الله فقد سجلوا بجهادهم الرائع المخلص ضد القوى الاستغلالية والاستعمارية أسمى معاني الهجرة والجهاد في سبيل الله ، ولم يبالوا بالثمن مهما كان باهظاً ، وذلك بالتضحية بالنفس والمال والأهل والأولاد والمستقبل والإمكانيات ، يزخر تاريخ الإسلام بأعمالهم الجليلة ومغامراتهم

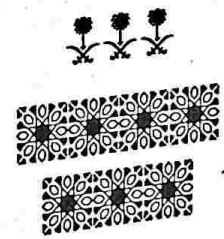
العظيمة وبطولاتهم المخلصة ، التي تتجمل بذكرها صفحات تاريخ المجتمع الإسلامي على الصعيد العالمي .

وقد مضى في الأمس القريب في تاريخ الهند الإسلامي مثال رائع ونموذج مثاليٌ في ساحة الهجرة والجهاد في سبيل الله وذلك عن طريق السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد رحمه الله ورضي عنه ، الذي غادر وطنه ، وهاجر منه إلى حدود الهند الشمالية باسم الهجرة والجهاد في سبيل الله ، في القرن الثالث عشر الهجري ، ذلك أن هذا الركن الإسلامي العظيم كان قد فقد هيبته وروحه في المسلمين ، وكان الواجب الديني يحتم أن تبذل مجهودات في سبيل إحياء هذا الركن ، وإعطائه أهميته المطلوبة التي وردت في الشريعة الإسلامية .

قام السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد بواسطة الهجرة الصادقة المخلصة في سبيل الله بالجهاد ضد الفئات الباغية ، والاستعمار الإنجليزي الذي كان يلعب دوره في هدم شعائر الإسلام واستعباد المسلمين فكرياً وعقلياً ودينياً .

وقد شهد بذلك سماحة العلاّمة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله) الذي هو أحد أحفاد السيد الإمام اللامعين في ساحة العلم والدين والجهاد بالقلم واللسان ، يقول :

"ودعا إلى الدين الخالص ، وأشعل في القلوب شعلة الإيمان ، والحماسة الإسلامية ، والجهاد في سبيل الله ، ونظم جماعة كبيرة ، وأحسن تربيتها الدينية والحربية ، وهاجر معها من طريق بلوجستان وأفغانستان إلى حدود الهند الشمالية ، واتخذها مركزاً لدعوته ، ليتقدم منها إلى الهند لإجلاء الإنجليز وتأسيس دولة إسلامية على منهاج الكتاب والسنة ، وقد هزم هؤلاء المجاهدون السيخ (SIKHS) ، الذين احتلوا بنجاب ، وأذاقوا المسلمين سوء العذاب في معارك كثيرة "[1].



[1] إذا هبت ريح الإيمان للعلاّمة الندوي رحمه الله : ص ٧ ، طبع في مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة العاشرة ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

الهجرة في سبيل الله

الطريق إلى الفتح والانتصار(٣)*

وفق الله سبحانه وتعالى هذا الإمام العظيم السيد أحمد الشهيد إلى إعادة تاريخ القرون الأولى للإسلام ، وإقامة الحجة على علماء عصره الذين كانوا قد أعلنوا إلغاء الجهاد في سبيل الله ، وإسقاط فرضية الحج على المسلمين ، بالنظر إلى أن الطريق نحو الحجاز لم يعد مأمونا ، فليس من المستطاع أن يسافر المرء المسلم لأداء فريضة الحج ، ولا يتوافر فيه شرط ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ ﴾[2] ولكنه قام في نفس هذه الظروف برحلته المشهورة إلى الحجاز على السفن الشراعية وصحبه فيها أكثر من سبع مائة شخص ممن وفقوا للحج مع إمامهم والإقامة في الربوع المقدسة إلى أكثر من عام ، تسنى لهم خلال ذلك أداء هذا الركن مرتين ، ولم تكن هذه السفرة إلاّ رحلةً تربوية وبمثابة مدرسة متنقلة يتعلم فيها كل شخص آداب الحياة الاجتماعية ويتمثل بتعاليم الكتاب والسنة ويطبق أحكام الشريعة على نفسه في كل صغير وكبير.

* صحيفة الرائد ٥/صفر ١٤١٩هـ.

[2] سورة آل عمران الآية : ٩٧.

ولما رجع الإمام السيد أحمد الشهيد إلى الهند وقضى نحو سنتين في الدعوة إلى الله وتربية الناس على الدين الخالص ، عزم على إحياء ركن الجهاد في سبيل الله فقام بالهجرة والجهاد ، وغادر أهله ووطنه وأقرباءه مع جماعة من المجاهدين عن طريق الحدود الشمالية إلى بيشاور فأفغانستان ، وذلك في عام ١٢٤١هـ ، ولم يكن خروجه للجهاد من غير إعداد وتربية ، وإنما كان بإعداد كامل من التدريب على فنون الحرب ، وتربية دقيقة أخذ بها أصحابه المجاهدين ، ومن ثم كان انطلاقه نحو الأرض التي اختارها لهذا الغرض في غاية من الشوق والإخلاص والنية الخالصة ، فذلل الله له صعاب الطريق ، وعقبات الوهاد والنجاد ، والجبال والسهول ، والصحارى والمدن ، ووصل إلى بنجتار ، وجعلها منطلقاً لجهاده ضد " السيخ " الذين كانوا تحت ولاء الإنجليز فيساعدونه في الاستعمار والاستعباد ، وأراد الإمام السيد أحمد أن يقنعهم بترك الولاء للاستعمار الإنجليزي ، وكتب في ذلك إلى ملوك كابل وكاشغر وبخارى ، وبايعه الناس على الجهاد ، واجتمع تحت لوائه ألوف مؤلفة من الناس ، وزحف على جيوش "رنجيت سنغ " حاكم السيخ وملك بنجاب ، فأكرمه الله تعالى بالفتح المبين ، وكبت أعداء الدين ، فدعا الناس إلى طاعة الله والرسول ، وأقام دولة الإسلام ، ونفذ الحدود الشرعية ، وطبق النظام المالي والإداري للإسلام تطبيقاً دقيقاً .

ولو لا غدر أمراء أفغانستان وانزواؤهم إلى رنجيت سنغ خوفاً من أن يحرموا الحكم ، ويحكم عليهم بالقانون الإسلامي ،

لكانت هذه المنطقة كلها تحت دولة إسلامية شرعية خالصة ، وكانت للشريعة الإسلامية سلطة على حياة المسلمين ، وذاق الناس حلاوة العدل ، وتمثلت لهم الحضارة الإسلامية ، بجميع ما فيها من معان ومفاهيم .

ولكن السيد الإمام أثناء قتاله ضد الإنجليز والسيخ ، استشهد في بالاكوت ، ورفيقه الشيخ إسمعيل وكبار أصحابهما ، رحمهم الله تعالى رحمة واسعة ، وتقبل منهما ومن أصحابهما ما قدموه من تضحيات جسام في سبيل الهجرة ، والجهاد في سبيل الله تعالى ، وذلك في ٢٣/من شهر ذي القعدة لعام ١٢٤٦هـ .

وهنا توقف التاريخ وساد الجو حزن و هم ، بعد ما هبت رياح الإيمان إلى مدة لا بأس بها ، وذاق الناس حلاوة الحكم الإسلامي ، ورأوا صورة مصغرة للدولة الإسلامية والخلافة الإلهية في الأرض ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ (١)

(صدق الله العلي العظيم)



(١) سورة البقرة الآية : ١٥٤ .

كيف نستقبل القرن الهجري الجديد ؟*

الأمة الإسلامية على أبواب القرن الخامس عشر للهجرة ، استقبلته أو سوف تستقبله على اختلاف القولين ، ولكن الذي لا مراء فيه ولا خلاف ، أن هذه الأمة تتهيأ للوقوف في موقف حساب دقيق لمنجزاتها وأعمالها ، لأرباحها وخسائرها التي تمت لها في القرن المنصرم ، وتستعد لعملية استعراض جديد لما مر عليها عبر قرن كامل من أحداث وأحوال وظروف وأوضاع ، وذلك هو شأن الأمم الحية والشعوب ذات الوعي والتاريخ ، فإنها تعود إلى ملفات العمل فينة لأخرى ، وتراجع حسابها بشئ كثير من الواقعية والجدية ، فإذا ظهر لها خلل ما في جانب أسرعت إلى سد ذلك وإصلاحه استدركته بكل ما يمكن من أسلوب وطريق .

هذه المناسبة الكريمة تتيح لها فرصة طيبة للاعتبار بالماضي ، والتخطيط للمستقبل ، إنها توفر وقتاً مناسباً للتفكير في دعوتها ورسالتها من جديد ، والبحث عن العوامل التي كان لها أوفر حظ من التأثير في حياتها ونشاطها ، وكان لها أكبر نصيب في بناء

* كتب هذا المقال يوم كانت الأمة الإسلامية تتهيأ لاستقبال القرن الخامس عشر الهجري . وهو من أراشيف مجلة البعث الإسلامي صفر ١٤٠٠هـ .

تاريخها وتكوين لحمته وسداه في مختلف المجالات الحيوية والعملية ، إن هذه المناسبة من أقوى الدواعي لهذه الأمة إلى استذكار ما حظيت به في مأة سنة الماضية من أداء مسئوليتها نحو العالم في ميدان الدعوة الإسلامية وفي مجالات العمل الإسلامي المتعددة ولاشك فإن رقعة النشاط الإسلامي اتسعت إلى مدى بعيد في كل مكان ، وتعرفت شعوب وأمم كثيرة بهذا النشاط ورحبت به ، ودخلت في نطاقه ، كذلك تدعو هذه المناسبة إلى استعراض الجهود التي بذلت في المجتمعات الإسلامية شرقاً وغرباً لشرح محاسن الدين الإسلامي والمنهج الإسلامي للحياة ، سواء بالتأليف والكتابة أوالاتصالات والاجتماعات ، مع ملاحظة مدى النجاح والإخفاق فيها وما ظهر من التركيز على جبهة الانطلاق للدعوة الإسلامية من قبل الدعاة والمصلحين الذين مضوا في القرن المنصرم .

هناك صور كثيرة واضحة للجهود الإصلاحية والدعوية وصور شتى غامضة في نفس هذا المجال ، وقد جربت الأمة كلا من هذه الصور والأشكال واطلعت على جوانبها وملامحها بوضوح ، وهي الآن في موقف الحكم الصحيح ، وموقف "تصحيح المسيرة" كما يقولون ، إنها تستطيع أن تضع خطة شاملة للعمل الإسلامي مع مطلع القرن الهجري الجديد في ضوء التجارب الماضية ، وفي ضوء الحقائق التي وصلت إليها طوال قرن كامل من الزمان ، وتركز على الجوانب العملية والمناحي الجدية

التي لم تلق من العناية المطلوبة ما تستحقه ، وظلت مهملة إلى حد كبير.

ولا ينبغي أن يفوت الأمة الإسلامية وهي في مرحلة الانتقال أن تجعل المجتمع الإسلامي الأول الذي أسسه الرسول ﷺ والحياة الإسلامية الأولى التي عاشها الصحابة ﷺ ومن تبعهم ، منطلق العمل الإسلامي الخالص الذي تريد أن تخطط له ، وتتحمل مسئوليته ، ولا يفوتها التيغيرات الهائلة التي حدثت في نظرة الإنسان المعاصر و رؤيته نحو الأشياء وحكمه فيها ، وذلك بفضل رقيه في جميع مجالات الحياة المادية وفي تقدمه في العلوم والصناعات ، ومن أجل الأيدلوجيات الحديثة التي عملت في النفس والمجتمع واختمرت بهما ، معنى ذلك أنها تتعين مسار العمل ووضع الخطة الصحيحة للمستقبل تحتاج إلى يقظة كبيرة وذكاء واسع ، وتفكير عميق ، لكي تستفيد من خبرات الماضي وتجارب الحاضر ، وتدرك عمق المسئولية وأبعادها التي تنوء بها وتسد تلك الثغرات التي ورثتها من الماضي .

ثم إن العودة إلى الحياة النزيهة التي وجدت في العصر الأول من القرن الهجري الأول ودراستها بعمق وصبر وتحقيق من لوازم التخطيط والبناء للمستقبل ، بل الحق أن لنا في آثار ذلك العصر الأول دليلا أكبر على العثور على ركيزة العمل وعلامة كبرى لما نبحث عنه من أساس واقعي للنجاح ولما نحتاج إليه من أسباب القوة والنصر والغلبة ، إذ لم يكن ذلك

العصر من مصادفات الزمان بل سبقته جهود وجهاد وتضحيات كبيرة ، ولعل الفساد الذي شمل الحياة الإنسانية قبل الإسلام أوسع رقعة من فساد اليوم ، وأكثر رسوخاً في الطبائع والعادات ، ولكنه تغير بالصلاح والخير ، بفضل رسالة الإسلام والجهود التي بذلها الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم في أقل مدة ، حتى خضعت الأمم المتحضرة الراقية للإسلام وارتضته كدين شامل كامل .

على ذلك الأساس المتين والأصل الثابت يقوم كل جهد وعمل في مجال الإصلاح والتربية والتوجيه والتجديد ، وهو ضمان للنجاح والانتصار في كل زمن ، وقد ظهرت في بعض الأحيان جهود إصلاحية كانت صلتها بمصدر القوة ضعيفة فباءت بالفشل ، وسببت ضرراً كبيراً للمسلمين ونشاطاتهم في مختلف المجالات الدينية ، ومن هنا يصبح الرجوع إلى الأصل من واجب الأمة قبل بدء أي نشاط في مجال الدعوة والعمل ، وبذلك ينال القبول والنصرة من الله تعالى والترحيب والقبول من الناس أيضاً ، أفليس وجود الجماعات والأحزاب المتعددة التي ظهرت بمفاهيم جديدة للدين وتصورات خاطئة لحب الله ورسوله برهاناً على صدق ما أشرنا إليه ، وحجة على أن فكرتها عن الدين ينقصها شئ كثير من الفهم الصحيح للدين ، ومن التصور الواضح النقي لمكانة المؤمن و مسئوليته في هذا العالم .

التي لم تلق من العناية المطلوبة ما تستحقه ، وظلت مهملة إلى حد كبير .

ولا ينبغي أن يفوت الأمة الإسلامية وهي في مرحلة الانتقال أن تجعل المجتمع الإسلامي الأول الذي أسسه الرسول ﷺ والحياة الإسلامية الأولى التي عاشها الصحابة ﷺ ومن تبعهم ، منطلق العمل الإسلامي الخالص الذي تريد أن تخطط له ، وتتحمل مسئوليته ، ولا يفوتها التيغيرات الهائلة التي حدثت في نظرة الإنسان المعاصر و رؤيته نحو الأشياء وحكمه فيها ، وذلك بفضل رقيه في جميع مجالات الحياة المادية وفي تقدمه في العلوم والصناعات ، ومن أجل الأيدلوجيات الحديثة التي عملت في النفس والمجتمع واختمرت بهما ، معنى ذلك أنها لتعيين مسار العمل ووضع الخطة الصحيحة للمستقبل تحتاج إلى يقظة كبيرة وذكاء واسع ، وتفكير عميق ، لكي تستفيد من خبرات الماضي وتجارب الحاضر ، وتدرك عمق المسئولية وأبعادها التي تنوء بها وتسد تلك الثغرات التي ورثتها من الماضي .

ثم إن العودة إلى الحياة النزيهة التي وجدت في العصر الأول من القرن الهجري الأول ودراستها بعمق وصبر وتحقيق من لوازم التخطيط والبناء للمستقبل ، بل الحق أن لنا في آثار ذلك العصر الأول دليلا أكبر على العثور على ركيزة العمل وعلامة كبرى لما نبحث عنه من أساس واقعي للنجاح ولما نحتاج إليه من أساب القوة والنصر والغلبة ، إذ لم يكن ذلك

العصر من مصادفات الزمان بل سبقته جهود وجهاد وتضحيات كبيرة ، ولعل الفساد الذي شمل الحياة الإنسانية قبل الإسلام أوسع رقعة من فساد اليوم ، وأكثر رسوخاً في الطبائع والعادات ، ولكنه تغير بالصلاح والخير ، بفضل رسالة الإسلام والجهود التي بذلها الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم في أقل مدة ، حتى خضعت الأمم المتحضرة الراقية للإسلام وارتضته كدين شامل كامل .

على ذلك الأساس المتين والأصل الثابت يقوم كل جهد وعمل في مجال الإصلاح والتربية والتوجيه والتجديد ، وهو ضمان للنجاح والانتصار في كل زمن ، وقد ظهرت في بعض الأحيان جهود إصلاحية كانت صلتها بمصدر القوة ضعيفة فباءت بالفشل ، وسببت ضرراً كبيراً للمسلمين ونشاطاتهم في مختلف المجالات الدينية ، ومن هنا يصبح الرجوع إلى الأصل من واجب الأمة قبل بدء أي نشاط في مجال الدعوة والعمل ، وبذلك ينال القبول والنصرة من الله تعالى والترحيب والقبول من الناس أيضاً ، أفليس وجود الجماعات والأحزاب المتعددة التي ظهرت بمفاهيم جديدة للدين وتصورات خاطئة لحب الله ورسوله برهاناً على صدق ما أشرنا إليه ، وحجة على أن فكرتها عن الدين ينقصها شئ كثير من الفهم الصحيح للدين ، ومن التصور الواضح النقي لمكانة المؤمن و مسئوليته في هذا العالم .

وبمناسبة توديع القرن الرابع عشر واستقبال القرن الخامس عشر للهجرة على صاحبها ألف ألف تحية وسلام، يحسن بنا أن ندرس معنى الهجرة ومكانتها وأحكامها في الإسلام، وكيف كانت الهجرة في الحقيقة قفزة نحو مستقبل باسم لامع للاسلام، ومن أقوى عوامل النصر والفتح المبين للمسلمين، وإن كانت الهجرة خاصة بالنبي ﷺ وبأصحابه ﷺ قبل فتح مكة، ولم يعد لها ذلك الحكم بعد الفتح لقول الرسول ﷺ " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية[1] " ولكن التضحيات الضخمة بالنفس والأهل والمال التي لا تفارق معنى الهجرة لا تزال لكل فتح مبين، ولكل سعادة دينية ودنيوية، وإن عمل الدعوة والعمل الإسلامي لا يمكنه أن يقوم ويثمر بدون دوافع التضحية والإيثار والإخلاص، وهي الشرط الأساسي الأول للبدء بأي نشاط ديني وعمل إسلامي.

في العالم الإسلامي اليوم تحركات واستعدادات لاستقبال القرن الهجري الجديد على النطاق الشعبي والرسمي كليهما، ويبدو أن المسلمين في كل بلد إسلامي يتفاءلون بهذا الحادث التاريخي العظيم، ويتطلعون إلى مستقبل باسم لامع ويرجون من الله أن يكون القرن الجديد مبدءاً للعودة إلى المجد الإسلامي، والعز التليد الذي فقدوه من زمان، واستلبه منهم انشغالهم بما ليس من شأنهم وانصرافهم عن مركزهم إلى أمور لا تمت إليهم

[1] رواه الإمام مسلم في صحيحه، رقم الحديث: ٤٨٠٨، كتاب الإمارة.

بصلة، فشاع الفساد من أجل ذلك على أوسع نطاق وغطاهم من كل ناحية وفي كل مكان ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

أرى أن هذا الوقت أصلح شئ بالنسبة إلى الجماعات الإسلامية والدول الإسلامية لإنجاز بعض المهمات وبدء بعض المشاريع الدعوية عسى، أن يكون ذلك نقطة انطلاق للمسلمين ومصدر إشعاع للأمم والشعوب ومشعل هداية ونور للعالم، فعلى سبيل المثال يمكن أن نتجه إلى الأمور التالية:

١- التركيز على دراسة السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة بعمق وبصيرة وتأمل، مع ملاحظة خلفيات هذه السيرة، واعتبارها مصدر إشعاع فكري ودعوى وعملي للمسلم، ويمكن أن يخصص لموضوع السيرة ودراسته على هذا النمط والأسلوب العملي وقت أو حصة في مدارسنا وجامعاتنا ومراكز الدعوة والإرشاد، وفي المساجد والجوامع، بالخطب والمحاضرات والقيام بعرض هذه السيرة العطرة في المجالات العملية، لكي تكون باعثة على التقليد والاتباع لكل مسلم في كل مكان، ويجد فيها المسلم نموذجاً كاملا للحياة الإنسانية في كل جزء وجانب، وفي كل النواحي الحيوية التي تتمثل في الإنسان كأب و زوج وأخ وصديق وكداعية وعالم وأستاذ ومرب وتاجر وجندي وما إلى ذلك.

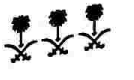
[1] سورة الروم الآية: ٤١.

٢- وضع كتب وموسوعات حول السيرة العطرة تشمل الموضوع في أسلوب موضوعي خالص مع استخلاص النتائج الإيجابية المؤثرة التي تخاطب العقول وتدعو إلى الإعجاب بها واتباعها.

٣- تأسيس المكتبة الإسلامية التي تحتوي على كتب ومؤلفات إسلامية خالصة في مختلف اللغات تعرض الفكر الإسلامي النقي وتضئ جوانب الفكر وتبعث الثقة في النفوس بالإسلام، وتقدم حلولا كاملة لجميع الأزمات والمشكلات العالمية التي يجتازها العالم المعاصر، وتمر بها المجتمعات الإنسانية على جميع المستويات.

ولا يخفى أن العالم كله يسوده اليوم قلق واضطراب وفوضى سياسية واجتماعية وأزمات اقتصادية وصناعية ونفسية، وألوان من المحن وعوامل الشقاء والتعاسة والدمار، وهو أحوج ما يكون إلى علاج للتخلص من هذا البلاء والخروج من هذه المصيبة!

أفليس في تعاليم الرسول وحياته وسيرته التي كانت منحة من الله خالدة للإنسانية كلها، ولكل عصر وجيل وفي كل زمان، أفليس فيها حل كامل لهذه المحن والمشكلات وعلاج كاف لهذه الأدواء والأمراض التي يعاني منها الإنسان اليوم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1]



[1] سورة الأحزاب الآية: ٢١.

من عام إلى عام*

أهلا بك أيها العام الجديد و مرحباً بكل ما أوتيت من خير وسعادة ويمن وعلاً، ومرحباً بما جئت به من مسئوليات وواجبات من توفيق وسداد في المهمة التي أخذناها على عواتقنا، استقبلنا فيك أيها العام الجديد زائراً ميموناً لأسرتنا، استقبلنا فيك رائداً علمياً لحياتنا، استقبلنا وقلوبنا مغمورة بالعواطف الطيبة، عواطف الأعمال السابقة مرة والخدمات الآتية مرة أخرى.

وفي يوم من مثل هذا اليوم - يرجع تاريخه إلى ما قبل سنة كاملة - كنا استقبلنا زميلك استقبالا رائعاً، استقبالا فيه آمال و أحلام للمستقبل فقد عشنا فيها زمناً غير قصير نسعى ونتعب وراء تحقيق آمالنا فنجحنا كثيراً وأخفقنا قليلا، وهنالك اكتسبنا بعض التجارب المفيدة فاغتبطنا بها، وصادفنا بعض الامتحان الكالح فتلقيناه بوجه باسم و صدر رحب، وما زلنا ماضين في الأعمال مستمرين في تحقيق الأحلام اذ جاء المؤذن بالرحيل والمبشر بالقدوم ووقف ركب الحياة برهة من الزمن بين القديم والجديد، بين الذاهب والقادم.

* مجلة البعث الإسلامي ربيع الأول سنة ١٣٧٧هـ.

وحللت بنا أيها العام الجديد بعد ما طويت ذكريات الماضي في أحشاء الزمن وسجلت لنا الأيام تاريخاً ربما يحفل بالعزائم والصمود أمام العوائق المرهقة والظروف القاسية في حقل الصحافة العربية الهندية الإسلامية ، وسجلت لنا الأيام جهوداً خالصة طيبة بذلناها في بعث الروح الإسلامية والأدبية وإيقاظ الوعي الديني والثقافي ورفع مستوى اللغة العربية وآدابها في الهند ، لقد مضينا في مهمتنا التي حملناها سنتين كاملتين – والحمد الله – وقدمنا خلال هذه المدة أمام الشعب جهداً من التفكير العلمي والأدبي وخدمة اللغة العربية والأدب العربي ونواة خصبة لنهضتنا الحديثة النشيطة في مضمار الصحافة العربية في بلاد نائية عن العروبة والعرب ، وهي خدمة لا يستهان بقيمتها .

واليوم نفتتح بك أيها العام الجديد عامنا الثالث راجين من الله أن يجعلك علينا وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عام يمن ورخاء وقوة وهدوء ، مستلهمين منك قوة غير قوة وتقدماً غير التقدم ، وتنويراً للرأي العلمي وغذاء للخصب الفكري ومشعلا للثقافة الإسلامية وزاداً للجيل الجديد .

إنه دور جديد يبتدئ منك في تاريخ صحافتنا وسيكون هذا الدور أهم من قبل ، أهم من زميليك الراحلين وستقتضى منا خدمات أكثر مما مضت ، وتطالب منا جهادا كبيراً في مجال العلم والثقافة ، كما أنك ستعطينا فرصة منتهزة نشيد بما تم في العام المنصرم وما قبله من خدمات ، ونتلافى ما بقي من تقصيرات

ونستدرك ما وقع منا من بعض الأخطاء اثناء العمل – وسيكون هذا الدور الحديث في حياتنا حافزاً لكثير من الشئون المفيدة في ضوء تجارب الماضي .

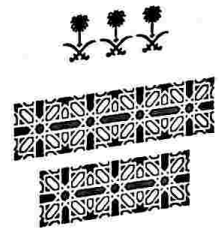
لقد كان من نيتنا . وعزمنا من اليوم الأول – ولا يزال – أن لا نألو جهدا في تحسين العمل وتكثير الفائدة وتعميم النفع بل ولم يكن نصب عيننا أى فائدة مادية او نفع عاجل حتى آثرنا المتاعب والمصاعب على إحراز المتعة والراحة ، تحقيقاً لأهدافنا المتعلقة بالدين والدنيا على السواء ... وتعريفاً لاخواننا في الهند واجباتهم نحو هذه اللغة الشريفة وآدابها ولاخواننا العرب واجباتهم نحو الحياة العملية بدل العصبية الجنسية والقومية التي يتغنون بها .

هذا حديث عن زميليك أيها العام الجديد ، حديث لا يخلو عن طرافة ومتعة ، حديث يجمع في طياته قدراً من الأحوال والتجارب ويحمل في جنبه كثيراً من السراء والضراء والشدة والرخاء ، إنه يعطينا درساً وعبرة لحياتنا القابلة ويلهمنا اطلاعاً واضحاً في ميدان العلم والصحافة .... ولكن ماذا سيكون حديثك أيها العام الجديد وماذا ستزودنا أنت من النصح والتوفيق والتقدم والإزدهار – وربما تكون أكثر يمناً وسعادة من زميليك الراحلين ، وأحسن ديباجة لوجه صحافتنا العربية الجميل ، وأشد إحكاما للحياة العلمية الأدبية ، وأوثق آصرة للارواح المنتشرة في أنحاء العالم .

نحاول و نؤكد أن أن لا نضيع فرصة من سعادتك و يمن طالعك ، ولا نغفل لمحة من فضائلك و محاسنك ونحرز كثيراً من خيرك وصلاحك ، ونتناول نصيباً من معينك ومددك وبكل ذلك نبنى مستقبلا زاهرا وتاريخا جميلا .

هذه كلمتي إليك أيها العام الجديد وحديثى معك وأشواقي إليك ، راجيا من الله أن لا يخيب آمالنا التي تعلقت بك، وبأمانينا التي حامت حولك ، وأن تكون أنت أحسن رائد لركب حياتنا ، ونقطة انطلاق في تاريخنا ، وغرة مجد لناصيتنا .

وأخيراً تحيتي إليك بقلب يملؤة السرور و تفعمه الغبطة معلقاً بك آمالا كثيرة ومستقبلا لامعاً ، وخدمات يحفظها التاريخ الآتى والأجيال القادمة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .



من معاني الهجرة*

مع إطلالة شهر المحرم تمتثل أمام العيون ذكريات من الهجرة ، عظيمة ورائعة ، تلك الهجرة التاريخية التي تتجمل بها صفحات التاريخ الإسلامي ، وتعتبر نقطة تحول لهذه الأمة الإسلامية من الضعف إلى القوة ، ومن ضغط العوامل والظروف المعادية إلى مراحل الاستقرار والغلبة والانتصار لدين الله ، حيث اندحر أعداء الله ولقي النفاق ومطامحه ، هزيمة نكراء ، وتحققت العزة ، وعمت في وسط المؤمنين من المهاجرين والأنصار ، وارتج الصوت السماوي في جو المدينة التي كانت مهددة من المنافقين الذين قالوا : (لئن رجعنا المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) دوى فيها قول الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (٢)

كانت فاتحة عهد السعادة والاستقرار للمسلمين ، وبداية عهد الاتساع والانتصار للإسلام ، فكانت التربة مهيأة لنشر الدعوة وتوجيهها إلى الأقطار والأمصار ، وبدأت القبائل ، والمجموعات الإنسانية في كل مكان تدخل في دين الله وتنتقل من الظلمات إلى النور ، ومن شقاء الشرك والوثنيات إلى ظل عبادة الله وتوحيده ،

* صحيفة الرائد ١٥/ محرم الحرام عام ١٤٠٦هـ .

(٢) سورة المنافقون الآية : ٨ .

ومن جور الأديان وظلم الإنسان إلى عدل الإسلام ورحمة الرسول ﷺ، ولأول مرة في التاريخ الإنساني شاهدت عين العالم النموذج الأعلى للعدالة الاجتماعية واطلعت الحضارات الإنسانية على أن البشر كلهم سواء لا يفضل أحد على أحد إلا بتقوى الله، ولا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، كلكم من آدم، و آدم خلق من تراب.

وسجل التاريخ أن الحق لا يرضى بالعودة إلى الوراء، ولا يخضع للظروف والأحوال مهما اشتدت وقست، وأنه لا يلين أمام صخور العداء والفتنة والمخالفات والتهديدات، ولا يغريه شئ من المناصب والأموال وزخارف الحياة، بل إنه يترقب الفرصة للظهور والاستيلاء، ويتحين الوقت المناسب للخوض في المعركة ضد الباطل، فلما آن للحق أن ينتصر ويتحدى الباطل ويطارده في كل مكان، ساعدته الأوضاع وقامت إلى جانبه أسباب النصر والاستقامة والثبات، وأمدته بالوسائل من كل نوع، فإذا به يصبح علامة للعز والكرامة والقوة والحكم.

وقامت للحق دولة الإيمان والعلم فأرست قواعده ورفرفت رايته في البيت والمجتمع، والمحكمة والمسجد والمتجر، والسوق والشارع، وفي الجماعة والأفراد، وبين الخاصة والعامة، وفي

أوساط الشعب والحكام، والفقراء والأغنياء، كان ذلك أول ثمار الهجرة ونتاجها.

ثم شملت معاني الهجرة حياة المسلمين بجميع نواحيها، فأكدت أن مرحلة العز والسؤود والهدوء والاستقرار تسبقها محن شاقة واختبارات صعبة، وما أن يثبت المرء جدارته بتحمل المشاق والصبر على الأذى والمؤامرات والنيل من الأعراض وانتهاك الحرمات، إلا ويأتيه النصر الموزر والفتح المبين، والنجاح في المشروع الذى يتبناه بإخلاص وصدق.

أما أن يترقب الإنسان كل شئ من المتع الروحية والجسدية دون أن يذوق نوعاً من المرارة ويمر بالأشواك الشائكة والمحن القاسية، فذاك أمر لا وجود له البتة في حياة الإنسان، فردية كانت أو جماعية، ويخطئ الذين ينتظرون من الدين أن يوفر لهم كل ما يتمنون من أسباب السعادة والرفاهية ووسائل الراحة والعزة، من غير أن يتعبوا في سبيله، ويشقوا من أجله.

والله سبحانه وتعالى حينما تحدث عن الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا، وحينما بشرهم بصدق إيمانهم والمغفرة وتيسير الرزق الكريم لهم، فلأجل أنهم واجهوا في سبيل الله كل شئ من العذاب والشقاء والأذى

والبلاء وثبتوا على ذلك ، ولم يبالوا بحياتهم ومستقبلهم في سبيل دعم الحق ونصر الدين ، يقول :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ (١)

(١) سورة الأنفال الآية : ٧٤ .

عبرة الهجرة*

يستهل علينا كل عام هجرى جديد مصحوباً بذكرى أليمة المبدء ، بهيجة المنتهى ، ذكرى مغادرة النبي ﷺ موطنه العزيز وأسرته الحبيبة إلى أرض ليس له فيها نسب ولانسيب ولكنه يجد فيها كل شئ من الحب الخالص والمودة الصادقة ، ومن الاحتفاء والتقدير ومن الرجال والأنصار ويرى أن دعوته تنال أوسع نطاق، وأن عمله يصادف أعظم إقبال ، وأن العدد القليل ينتصر على العدد الكثير .

انطلقت الدعوة الإسلامية من نطاقها الضيق إلى مجال يتسع بسرعة البرق ، وإلى قلوب تنجذب إليها كالمغناطيس ، وما هي إلا مدة قليلة إذ يتم للإسلام ازدهاره وللمسلمين انتصارهم ، وما هي إلا مدة أخرى قليلة إذ تمتد خيوط الإيمان النورانية من الشرق إلى الغرب ، ويدوي صوت الإسلام في البحار والجبال والأجواء ، وينطلق المسلمون يفتحون الأرض ويملكون الكنوز ، ويخضعون الأمم .

* صحيفة الرائد ١٥ محرم الحرام عام ١٣٩٢هـ .

إنها الهجرة التي أفاضت على العالم الإنسانى برها ورفدها،وأنقذت الأمم والشعوب من أتعس حياة إلى أسعدها ومن أشقى محيط إلى أنزهه ، ولأول مرة في التاريخ يرتفع الإنسان إلى قمة الأخلاق والسعادة ويشهد قيمة الإنسان الأمثل ، وينتقل من حضيض الشهوات البهيمية إلى أوج الطاعة الإنسانية .

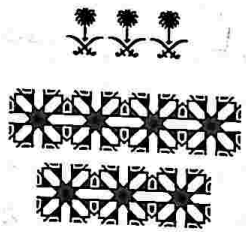
إن القيمة التي أداها النبي ﷺ مقابل هذه الهجرة كانت غالية ثمينة ، ولكنه وفر للعالم الإنساني سعادة لا ينضب معينها يد الدهر ، ومنح للإنسان نعمة لا ينقطع مددها طوال الزمان ، وبالأصح أفاض على العالم عمراً جديداً ، وأنقذه من هوة الفناء والشقاء إلى بر البقاء والسلام ، وقضى له بأمر ربه حياة من جديد ، تشغل منصب القيادة فيه والوصاية عليه ، أمة هي خير الأمم بأسرها ، أخرجها الله عن طريقه لتتولى إمامة الدنيا وهداية البشر وتستعلي على جميع الشعوب والأمم : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [1]

هذه الهجرة فترة تحول الإنسانية من لون إلى لون ، وانتقال العالم من طور إلى طور ، فليكن عامنا الهجري الجديد نقطة تحول من الشر إلى الخير ، ومن الضعف والاستكانة إلى القوة والزعامة ، ومن السقوط والانهزام إلى النهوض والانتصار .

[1] سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

إن أمامنا كثيراً من الأحداث والنكبات والمصائب والمخازي ، يجعلنا أن نعتبر بتاريخنا وماضينا ، وأي عبرة أحسن من عبرة الهجرة ، و أي درس أنفع من درسها .

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [1]



[1] سورة الأنفال الآية : ٧٤ .

جوانب مشرقة

في القرن الهجري الجديد *

بعد انتظار طال بالأمة الإسلامية طلع عليها القرن الهجري الجديد، فودعت قرنا هجريا واستقبلت قرنا هجريا جديدا، وقلما يوجد أفراد يكونون قد ودعوا القرن مرتين في حياتهم، ولذلك من يودع قرنا ويستقبل قرنا يعتبر نفسه سعيدا، وهل في سعادة المسلمين الذين يستقبلون هذا القرن العظيم من شك، إذ أنهم يعاهدون صاحب الهجرة عليه الصلاة والسلام أن الطريق الذي سلكه لهم، والنموذج الذي قدمه في حياته لهم، والمنهج الذي قرره لهم، كان كل ذلك مقبولا ومنفذا في حياتهم، وأنهم لا يتناسونه ولا يغيرونه، ولا يحرفون فيه، بل ولا يحيدون عنه قيد شعرة، رغم طول العهد وبعد المدة، إنهم يجددون عهد الوفاء والولاء ـ مع أول إشعاع لشمس القرن الهجري ـ مع النبي العظيم الذي كانت هجرته فتحا للمسلمين، وانتصارا للدعوة الإسلامية، ومنبع النور والإيمان في العالم كله، وكانت إيذانا بخلود الإسلام، وامتدادا لتاريخ الفتح المبين الذي تم بعد الهجرة بسنين.

* صحيفة الرائد ٢٢/ ذو الحجة عام ١٤٠٠هـ.

أي درس تلقيناه من هذا القرن الهجري بالذات؟ وأي منحة رجوناها منه، وأي انتصار نريد أن نحققه في حياتنا وتاريخنا ؟.

ألم تكن الهجرة محنة ارتضاها الرسول صلى الله عليه وسلم بوجه باسم، وقلب متفتح، ألم تكن مغامرة في الواقع خاضها مع صاحبه الصديق رضي الله عنه بعزم أكيد، ونفس قوية، فتحولت إلى منحة ربانية عظيمة للمسلمين في كل مكان، ولا يزالون يتمتعون بهذه المنحة ونفحاتها ويأكلون من روافدها وثمارها، ويعيشون تحت ظلالها الوارفة الحانية، فهلا تلقينا من هذه الهجرة دروساً، ولماذا لم نتزود منها زاداً إيمانيا قوياً.

إن الصبر على البلاء والمحنة والمرارة في سبيل العقيدة لوقت قليل يعقب النعمة والسعادة واللذة لأطول مدة، وإن التضحية بقليل من النفس والمال تتكفل بدوام العزة والرضا للأبد، والمنحة التي نرجوها هي منحة الإيمان من جديد، وانتصار العقيدة الإيمانية، على العقائد الباطلة، والنظرات الزائفة، والفلسفات الكاذبة كلها، انتصار الإيمان على المادية، انتصار الإيثار على الأثرة، انتصار الحب على العداء، وانتصار المروءة والعدل على القسوة والظلم، وانتصار الفضائل كلها على الرذائل كلها.

لقد عمت هذه المنحة بعد هجرة النبي ﷺ بجميع أشكالها وألوانها في حياة الناس كلهم ، أفراداً وجماعات ، وشعوباً وحكومات ، فكان المسلم آنذاك ينتهز الفرص لكل محنة في سبيل العقيدة ، وفي سبيل المبدء ، وكان يتحين المناسبات للتضحية بالنفس والمال والأهل والأولاد ، وفاء بالعهد الذي عاهده مع نبيه ﷺ ، وولاء لنعمة الإيمان التي أكرمه الله بها فقال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴿٣﴾ ﴾ [1].

ألا نجعل هذا القرن الهجري الجديد ربيعاً للقلوب المؤمنة وموسماً للدعوة الإسلامية ، وعصراً لتجديد عهد الأمة الإسلامية بدينها ، وتجديد ثقة المسلمين برسالة الإسلام التي أخرجتهم من الظلمات إلى النور.

إننا نستطيع بدورنا ونشاطنا أن نجعله قرن الإسلام من جديد ، نجعله قرن العلم والحضارة والغلبة والفتح ، ونجعله قرن النهضة والازدهار للمسلمين في كل قطاع وعلى كل مستوى.

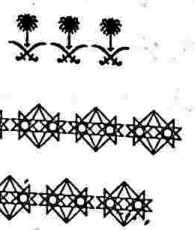
ولكن ذلك يتوقف على مدى شعورنا بالواجب ، واهتمامنا بما يزيل ضعفنا وضآلة قيمتنا ، ... و ببذل جهودنا المخلصة في سبيل استعادة المجد ، واسترداد الغلبة والعز.

[1] سورة المائدة الآية : ٣.

فليست السعادة والشقاء في اختلاف الليل والنهار ، إنما السعادة والشقاء فيما كسبت أيدي الناس : ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [1]

فلنبحث عن هذه الآيات في لحظات الحياة ، وساعات العمل والنشاط ، ولمحات الذكر والعبادة ، وبذلك يتحول كل شقاء سعادة ، وكل خيبة أملا ورجاء ـ بإذن الله تعالى.

﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2]



[1] سورة آل عمران الآية : ١٩٠ .
[2] سورة إبراهيم الآية : ٢٠ .

أغلى هدية للعام الهجري الجديد *

تستقبل الأمة الإسلامية عامها الهجري الجديد بشئ كثير من التفاؤل وتعليق الآمال بما ينفعها في حياتها الاجتماعية والفردية، ويخدم مصالحها في مجالات الحياة المتعددة، فقد جربت فيما مضى من الأعوام ظروفا قاسية واجتازت أوضاعا شاذة خلال مسيرتها العالمية مما عرقل سيرها في كثير من الشؤن العلمية والدينية والاجتماعية، وأخر ركبها إلى الوراء بما أفرزته الظروف الحضارية والنظرات المادية من مواد مضادة للرؤية الدينية نحو الكون والحياة.

كانت الحروب الطاحنة التي دارت رحاها في إيران والعراق ولبنان وفلسطين بأشكالها المختلفة وعرقلة سير الجهاد الإسلامي في أفغانستان دليلا على أن القوى المعادية للإسلام والمسلمين مكبة على إحداث أوضاع تشغل الأمة الإسلامية بمشكلات وقضايا هامشية لا تترك لها فرصة التفكير في أداء مسؤلياتها الخلقية والاجتماعية من تقديم نماذج الأخلاق والفضائل الإنسانية إلى شعوب العالم وأممه التي لا تترقب اليوم شيئا مثل ما تتطلع إلى تجربة القدوة الإسلامية، والمثل الخلقية في حياة

* صحيفة الرائد النصف الشهرية الصادرة من ندوة العلماء، لكناؤ، الهند.

المسلمين، وبتعبير آخر: إلى تجربة الحياة الإسلامية ذات النفوذ والقوة والحياة على جميع المستويات. الواقع أن الأنظمة الاجتماعية والمادية كلها قد فشلت في إعطاء القدوة الصالحة للحياة الإنسانية، وهي رغما مما تدعي به من الشمول وخدمة الإنسان والحدب على مصالح الشعوب والأمم في العالم كله، لم تتمكن من إثبات جدواها في منطقة محدودة ومجتمع إقليمي خاص، فكيف يرجى منها أنها تستطيع أن تغطي المجتمعات الإنسانية بأسرها والعالم البشري كله بخيراتها وخدماتها، وتوجيه منافعها ونشر ظلال السعادة والرفاهية والهناء على المجموعات السكانية من البشر في جميع أنحاء العالم.

هذا ما جربه الإنسان اليوم في كل مكان، وقطع أمله عن جميع الأشكال والصور التي تظهر من النظريات والأيدلوجيات والأنظمة والهتافات والكتل الاجتماعية والحضارية والسياسية على المستوى العالمي، وعاد إنسان اليوم إلى حيث كان قد بدأ رحلته منه، وهو يتطلع إلى المنهج الطبيعي للحياة الذي يوفر له كل ما هو بحاجة إليه من الأمن والسلام، والتنفس في جو من الحرية العقدية والخلقية، والخروج من ذلك الوضع الغير الطبيعي الذي يضيق عليه الخناق ويسد في وجه طريق العيش في ظلال الحب والإيمان. وفي هذه المناسبة الملائمة للظروف القائمة اليوم نلفت أنظار أهل الفكر والدعوة والتوجيه في العالم كله إلى انتهاز الفرصة لتمثيل القدوة الإسلامية الصالحة لإنسان هذا العصر،

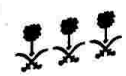
الذي سئم من كل شئ من التحركات والتكتلات والحضارات والفلسفات المادية ، وهو في بحث مستمر عن ملاذ للأمن والطمأنينة ، وملجأ يتنفس فيه الصعداء مما يعيشه من ملابسات وعوامل غير طبيعية .

ولعل الجماعات الإسلامية والمراكز الدينية تتفطن إلى دورها الحاسم في توجيه دعوة الإسلام إلى الناس عن طريق الأسوة الدينية والقدوة الخلتية والتمثيل العملي النموذجي ، وسيكون ذلك أغلى هدية للعام الهجري الجديد ، وأعظم عطاء حضاري للإنسان المعاصر في العالم الحديث .

نتمنى على الله أن يوفق الدعاة والعاملين في حقول إسلامية مختلفة لكي يجعلوا هذا العام الهجري الجديد عام انطلاق نحو العقيدة والإيمان والحب والحنان ، وعام الدعوة الإسلامية بكامل معناها وبكل مفاهيمها .

وفي ذلك من تحقيق السعادة والأمن والإخاء ما يحتاج إليه الإنسان ، وما تبحث عنه المجتمعات البشرية في كل مكان ، وما يتطلع إليه العالم الحديث على اختلاف دياره وأمصاره .

وسيكون ذلك هو أغلى هدية للعالم الجديد . والله غالب على أمره .



الباب الثاني
السيرة المحمدية

على صاحبها ألف ألف تحية وسلام

الإنساني كله، والعالم يرزح تحت ثقلها، وكاد لا ينهض من وطأتها لولا يد محمد ﷺ أخذته، فأنقذته من ورطة المهالك التي أوشك أن يفنى فيها، إلى شاطئ النجاة، وبر السلام.

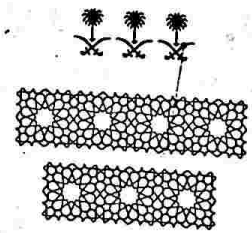
وتناول النبي ﷺ العالم كله بدعوته التي جاء بها، ورسالته التي حملها فبعث الدنيا من جديد وأيقظ القلوب من غفوتها، فعرفت بعد ما أنكرت، وشحن النفوس بفضائل الأخلاق، ومكارم الإنسانية، فتآلفت بعد ما تناكرت، وهكذا غيّر كل قيمة سابقة بقيم خالدة ومثل عليا، وتنفست الإنسانية الصعداء بعد طول العهد، وبعد الانتظار، وغلبت السعادة على الشقاء، والأخلاق الفاضلة على الهجمية المنكرة، وساد المجتمع الانساني جو من الأمن والإيمان، والهدوء والطمأنينة: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾[1]

لقد كان العالم في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادي على شفا جرف هار، وكان بأمس حاجة إلى من ينجو به من ذلك الخطر الداهم الذي كاد يطويه ويطوي كل شئ، فكانت فيه نهاية العالم، ولكن الله سبحانه منَّ عليه وعلى الإنسانية كلها بمبعث الرسول الأعظم محمد عليه الصلاة

[1] سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

والسلام، الذي أغاث البشرية، ونجا بها إلى ما فيه سعادتها وسعادة العالم كله.

وقد بلغ العالم اليوم ـ بالرغم من جميع رقيه المادي، وتقدمه الحضاري ـ إلى نفس ذلك الخط الذي كان عليه في الماضي، وهو اليوم مفتقر إلى رسالة النور، وصيحة الحق، ودعوة محمد ﷺ، فإن لم يتبن العالم دعوته ورسالته، ولم يبحث فيها النجدة والعون، واستغنى عنهما لكان ذلك مما يرادف الانتحار والقضاء على نفسه بنفسه.



المقياس الوحيد *

اختار الله سبحانه وتعالى محمداً ﷺ لرسالته ودعوته في خير أوان وأفضل زمان، حينما كان العالم يرزح تحت المادية، وتسوده همجية تكتسح كل القيم الخلقية والمثل الإنسانية، وتترك الإنسان يجري وراء شهواته كما يجري الحيوان وراءها، فديست الكرامات وانتهكت الحرمات، وأزهقت الأرواح وأريقت الدماء، ونشبت حروب طويلة لا نهاية لها بأتفه أمر وأقل مناسبة، وتوزعت الإنسانية فرقا شتى، وتبدد الناس طرائق قدداً.

وشاءت الحكمة الإلهية أن تتيح للمجتمع المنهار فرصة ينتهزها للانتعاش من كبوته، والخروج من الجمأة التي عاش فيها زمناً طويلا، فبعث محمداً رحمة العالمين، ورسولا إلى الناس أجمعين، فأخذ بيد الإنسانية البائسة الشقية وأنقذها من مصيرها الأليم، وعاد بالإنسان إلى منهج قويم يضمن له السعادة في الدنيا والآخرة، وهو منهج عادل خالد لا يقبل أي تعديل ولا تغيير على مر العصور والأزمان، وهو علاج كل فساد، ودواء كل داء يواجهه المجتمع الإنساني في أي وقت وأي مكان.

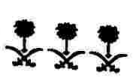
* صحيفة الرائد أول يوليو عام ١٩٦٦م.

وبمناسبة مولد الرسول صلوات الله وسلامه عليه نتقدم إلى العالم بدعوته التي جاء بها لكي يجربها في خضم الدعوات والفلسفات والشعارات والشارات، ويعطيها حظها من العناية والاهتمام بالرغم من تقدمه في مجال العلوم والصناعات بسير حثيث، وتسابقه في مضمار المدنية والحضارة بخطوات فسيحة.

فإن رسالة محمد ﷺ هي المقياس الوحيد للحياة الإنسانية في كل حين وكل مكان، سواء بلغ العالم إلى أعلى قمة من التقدم والرقي أو لم يبلغ، وسواء كان عالم اليوم المتحضر الزاخر بالآلات والوسائل والمخترعات أو دنيا الأمس المتخلفة التي لم تكن تعرف للحضارة معنى، ولا للآلات والوسائل مفهوماً.

وأقول بكل صراحة! إن العالم مرغم على الخضوع أمام هذه الدعوة، اليوم أو غداً، وقبول هذه الرسالة عاجلا أو آجلا، فإنها هي التي تلبي جميع مطالب الحياة الإنسانية وتجيب على كل سؤال من الأسئلة التي نشأت أو تنشأ في المستقبل، بينما نرى الدعوات الأخرى تنقصها نواح إنسانية كثيرة، وهي لا تجمع بين جميع ألوان النشاط البشري ولا توفق بينها.

فهيهات أن تكون رائدة أو قائدة إلى مستقبل مشرق.



من حضيض الجاهلية إلى قمة المعنوية ! ★

كان الناس يعيشون على هامش الحياة قبل بعثة النبي ﷺ ، لم تساعدهم حضارات العالم الموجودة يومذاك ، شرقا وغربا ، في رفع معنوية الروح التي أودعها الله سبحانه في كل إنسان ، وجعلها ذريعة إلى وضع كل طاقة في محلها ، ولكن اختلال الميزان العقلي كان سببا للحيد عن طريق الحياة الهادفة ، والتيه في متاهات الضلال والصلف ، والاعتماد الزائد على الأسباب المادية ، وقد تجاوز الناس حدود القياس في التسفل إلى الحضيض ، والنفور عن كل معروف ، فساد الظلمُ والعدوان ، والجور والطغيان والقسوة ، وكل نوع من الرذائل في المجتمعات البشرية ، وبرزت رذيلة العداوة كميزة ذلك العصر ، في مثل هذه الأوضاع ، كانت بعثة النبي الكريم ﷺ رحمة للعالمين ، إيذاناً بأن الإنسان يبدأ الآن رحلة من جديد ، ويعود إلى الفطرة الإنسانية ـ بإذن من ربه الكريم العظيم ـ تحت ظلال الرحمة .

فكانت حاجة الإنسان الأكيدة يوم بعث النبي الكريم ﷺ أن يعود إلى طبيعته الإنسانية ، ويتمسك بفطرته الإيمانية ، فإن الأوضاع الشاذة التي عاشها في تلك الفترة الحالكة ، قد ابتعدت به

★ صحيفة الرائد ١٣/ ربيع الأول ١٤٢٤هـ .

عن الطريق المضمون للسعادة ، وتنكبت به عن الصراط المستقيم ، وألقته على طريق النفس والشيطان ، مما فقد به الإنسان شرف المكانة ، ونبل الهدف ، والشعور بالإنسانية ، فرغماً من تكاثر عدده وتزاحم مجتمعاته بصور شتى من المدنية الغربية أو الشرقية ، ويفنون عديدة من حضارة الإغريق وأفكارهم ، لم يكن للإنسانية أي وجود ، وكانت الرذائل بألوانها وأشكالها ، تتحكم في الحياة والمجتمع ، وتأخذ النفس الإنسانية بقبضة من حديد ، فلما كانت البعثة ، وجاء إليهم الرسول الأعظم ﷺ ، أنقذهم من ذلك الواقع المشئوم ، والأوضاع الغير الطبيعية التي كانوا يعيشونها ، وقد عبر الله سبحانه عن هذه المنة التي منّ بها عليهم بوضع الإصر والأغلال التي كانت عليهم ، فقال ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [1] .

كانت الوسائل الإنسانية ، والطاقات العقلية بأجمعها ترتكز في التظاهر بالشرف والعلو بجميع أنواعهما ، فما كانت مجموعة بشرية ، أو قبيلة إنسانية تسمح لمجموعة أخرى بالتقدم عليها في شئ مما زعمته شرفاً أو علواً ، ومن هذه النقطة كانت تنطلق موجات من الحقد والكراهية ، وتشمل رقعة واسعة من المجتمعات ، فتندلع نار الحروب ، فلا تبقي ، ولا تذر ، وهي التي أورثت القلوب عداوة بالغة إلى آخر المدى ، وشحنتها بعواطف

[1] سورة الأعراف الآية : ١٥٧ .

مضادة ، وملأت الجو بدوافع النقمة والبغضاء ، وبالتوتر العصبي الشديد ، ولم يعد هناك ضمير حي يلوم ، ويشكو ويئن ، ولا وجد من يأسف على الوضع المخجل ، ويحزن له في شئ ، إنما هي حمية الجاهلية التي غرق فيها الإنسان إلى الآذان ، وحماها بالسيوف والسنان ، ووضع في الدفاع عنها ودعمها كل شئ من طاقات القلب واللسان ، وكان الوضع الإنساني ، كما قال الله تعالى ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [1]



[1] سورة الأعراف الآية : ١٧٩ .

دور السيرة النبوية في وحدة الإنسان *

كانت للعنصرية القبلية ، والفضيلة المزعومة جولة وصولة في المجتمع العربي الجاهلي ، فكان الناس يتفاضلون على أسس مصطنعة من اللهجات التعبيرية ، والأساليب اللغوية ، ووجود شعراء بارزين ، مقتدرين على ناصية البيان ، وبارعين في رفع قبيلة ، والحطّ من قبيلة أخرى ، بقوة الكلام ، وكان ذلك قد زرع في نفوس أهلها شعورا بالعلو والارتفاع بإزاء شعور بالذلة والهوان ، وكانوا يتبجحون بذلك ، ويرفعون عقيرتهم بالفخر والاعتزاز ، كما قد قال أحدهم :

فلـو أن قومـا لارتفـاع قبيلـة
دخلوا السماء ، دخلتها ، لا أحجب

وكذلك كانوا يتقاسمون على أسس زائفة من اللون والجنس ، واللغة ، والقبيلة ، فكان بعضهم يوجه العار بذلك إلى بعض إذا كانت له ميزة من هذه الخصائص ، وقد تعمقت جذور هذه التميزات الاصطناعية إلى أن خلفت آثارها ، حتى في الشعراء الذين ظهروا في الإسلام ، وعرفوا بشعرهم الإسلامي الجميل في العصر الإسلامي ، انظروا إلى الشاعر الإسلامي حسان بن ثابت

* صحيفة الرائد ٢٩/ربيع الأول سنة ١٤٢٤هـ .

ﷺ، لم يفارق كلامه ذلك الشعور القبلي الذي بعثه على الفخر بأناس كان ينتمي إليهم :

لنـا حاضـر فعـم ويـاد كأنـه
شماريح رضوى عزة وتكرما

ويقول :

ولدنا بني العنقاء وابني محرق
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

وكائن ترى من سيد ذي مهابة
أبوه أبونا ، وابن أخت ومحرما

ويخاطب بني دارم ، فيقول :

بني دارم لا تفخروا ، إن فخركم
يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم ! علينا تفخرون وأنتم
لنا خول ، من بين ظئر وخادم

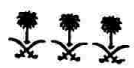
وهذا جرير يعير الفرزدق ، فلا يلبث أن يتناوله بهجو لاذع ، ويقول :

فغض الطرف إنك من نمير
فـلا كعبـا بلغـت ولا كلابـا

لولا أن جذور العنصرية ، والقبلية المتطرفة كانت قد ذهبت إلى الأعماق في نفوس الشعراء ، وامتزجت بعقولهم ، وكانت

تعمل فيها من غير شعور ، لما بقيت آثارها في مجال الفخر والمدح والهجو والذم ، الذي كان قد تشكل بشكل صنف مستقل آخذ صورة فنية من الشعر العربي ، إلا أن هناك فرقا كبيراً بين العنصرية المتطرفة الجاهلية التي كانت تغزو العقول مهاجمة ، وتزرع العداوة بين القبائل والمجتمعات الجاهلية ، وبين الشعور القبلي والنزوع النفسي إلى بيان مفاخر الآباء والأجداد ، الذي يتسم به الشعر العربي في العصر الإسلامي كمجرد صنف من الفخر والهجاء .

قضى الإسلام على الروح العدائية ، التي كانت تثير الأحقاد والضغائن ، وتورث الحروب الطاحنة ، إنه وضع الطاقات الكلامية ، واللهجات البيانية كلها في تقوية العناصر البلاغية ، وتحويلها إلى موازنة بين الصور البيانية التي يتميز بها كتاب الله تعالى ، وكلامه (القرآن الكريم) والمكانة البلاغية التي كانت موضع فخر العرب ، واعتزازهم على المستوى العالمي .



دور السيرة النبوية في وحدة الإنسان (٢)*

وقد ركز النبي الكريم ﷺ على هذه النقطة الشريفة ، فجعل الشعر العربي ؛ عنوان الأدب والبلاغة ، فقال قولته الشهيرة : " إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحراً[٢] ، فشجع بذلك الشعر الذي يحتوي على كنوز من الحكم ، والأسرار البلاغية والبيانية ، ومن هنا كانت نقطة تحول كبير للقوى الأدبية التي كانت تخدم العنصرية والطائفية ، قبل مجيئ الإسلام ، ولكنها تحولت إلى أداة كبيرة وقوية لرفع المعنوية في نفوس الناس وإعدادها للدخول في المعركة البيانية بروح من الفضيلة التي تقوم على أساس من التقوى ، فزيف رسول الله ﷺ النظرية الموزعة للفصائل البشرية بين إنسان عربي ، وإنسان عجمي ، وإنسان أسود ، وإنسان أحمر ، وأعلن بكل ثقة وإيمان : أن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط[٣] ، وقرر أن المؤمنين كلهم كجسد واحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر[٤] .

* صحيفة الرائد ٢٩/ربيع الأول عام ١٤٢٤هـ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز ، رقم الحديث : ٦١٤٥ ، ولفظه : وإن من الشعر حكمة ، والطرف الأخير من الحديث من كتاب النكاح ، باب الخطبة ، رقم الحديث : ٥١٤٦ .

(٣) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ج ٩ / ٣٨ ، رقم الحديث : ٢٤٨٢٢ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم : ٦٠١١ ، والإمام مسلم في كتاب البر : باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم : ٢٥٨٦ .

فضم الوحدة الإيمانية بالوحدة الاجتماعية ، وصنع من ذلك أخوة إيمانية عالمية تفوق أواصر اللحم والدم والشعور القبلي والفصلي ، وقال : " المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وعرضه وماله "[١] .

فلم يكن هناك فارق بين الأخ والأخ ، والإنسان والإنسان إلا على أساس من الشعوب والقبائل التي ينتمي إليها الناس لمجرد التعارف ، لا لشئ آخر من العصبية والعنصرية والقبلية الطائفية ، فقال تبارك وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٢]

وجاءت الحضارات المادية المعادية للروح الحضاري الذي تتميز به الحضارة الإسلامية ، فنادت بأعلى صوتها أن يعود الإنسان من الاعتبار بالتمييزات العنصرية والطائفية ، وتوزيعه بين الإنسان الشرقي ، والإنسان الغربي ، والإنسان الأبيض ، والإنسان الأسود ، فأصبح الإنسان الأبيض يكره الأسود ، وجرت بينهما مخاصمات قبلية ولونية ، وهجمات عدائية شديدة ، جعلت الحياة مريرة ، والتعايش السلمي مفقوداً ، كما هو الشأن في المجتمعات الغربية ، ولا سيما في المجتمع الأمريكي المتكون من الأبيض

(١) رواه مسلم ، كتاب البرّ ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله : ٢٥٤٦ .

(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

والأسود ، وإن أنباء الحوادث الانفصالية بينهما ، التي تفرزها أحيانا وسائل الإعلام الغربي نفسه ، ليدل بوضوح على ما يعانيه الرجل الغربي من أوضاع شاذة تحول دون أي نوع من السعادة والهدوء النفسي ، يحلم به ، والحديث عن هذا المجتمع الذي يقيم الفتيان والفتيات في صف واحد ، دون أي فارق بين الذكر والأنثى ، وعما ينتجه هذا الاختلاط البشع من نتائج الاختلاط بين الجنسين في سن مبكرة ، ووجود أمهات من غير زواج ، وأولاد من غير أب ، لأظهر من أن يخفى ، وإن الإحصائيات التي تنشر عن هذه النتائج على المستوى الرسمي في تزايد مستمر ، والمجتمع الغربي بالغ إلى شفاحفرة من الهلاك والدمار ، بل الواقع أن هذا المجتمع المادي على وشك الذوبان الكامل ، وإن سرطان الرذائل الخلقية والاجتماعية ينخر كيانه ويمزقه تمزيقا ، وسوف لا يمكن أن يستدرك هذا الوضع الشاذ ، إلا أن يشعر أهله بهذا الانهيار ، ويحرصوا على إبقاء ما بقي من وجودهم على الخرائط الاجتماعية العالمية ، وأن لا تفوتهم في هذا المجال الجاد دراسة المواصفات الاجتماعية للحضارة الإسلامية ، والتفكير فيها من جديد.



السيرة والسنة النبوية *

عنوان المجد والعزة ، وغرة جبين التاريخ في كل زمان ومكان -

السيرة والسنة النبوية عنوان للمجد والفخار للتاريخ الإنساني ، وتعبير عن أسمى معاني الحسن والإحسان ، وتفسير لمفاهيم التقدير والإعجاب ، فإن سيرة النبي ﷺ وسنته لهما مكانة عظيمة في قلوب المسلمين ولهمامنة كبيرة على الإنسان ، وقد كانتا همزة وصل بين السماء والأرض في حين كان وكلاء الديانات أوقفوا حاجزاً بينهما ، فلم يكن يتصور أحد أن يبوح بما في نفسه من أسرار و أفكار إلى ربه إلا بالوسائط البشرية المزعومة التي كانت تتزعم التوسط بينه وبين العامة من جماهير الناس ، ولكن الرسول ﷺ أزال هذه الحواجز المصطنعة التي فرضها البشر على البشر ، وفتح الطريق إلى السعادة الشاملة الدائمة التي لا تتم إلا باتصال الإنسان بربه بطريق مباشر ، وبذلك رفع قيمة الإنسان إلى ما لم يكن يحلم به الناس ، وأنقذه من شقاء الذل والخضوع أمام غيره من البشر ، وقرر مقياس الفضل والعظمة في تقوى الله

* محاضرة ألقيت من على منصة المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية ، الذي عقده الأزهر الشريف ، في نوفمبر ١٩٨٥م - ١٤٠٦هـ ونشرت في مجلة البعث الإسلامي في جمادى الأولى عام ١٤٠٦هـ.

تعالى ، وفيما سواها فالناس كلهم سواء لا فضل لأحد على أحد مهما كان ، ولقد عبر عن ذلك لسان النبوة البليغ قائلاً : " لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، كلكم من آدم وآدم خلق من تراب[1] ، وأعلن كتاب الله تعالى مدوياً مجلجلاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴿١٣﴾ ﴾[2] فلا تفاخر بالآباء والأجداد ولا اعتداد بالحسب والنسب ، وإنما العبرة بالتقوى والإيمان ، فمن أراد شرفا أو علواً في الدنيا وسعادة ومنزلة في الآخرة فليتق الله عز وجل ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام "من سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله [3]".

أي منة تكون أعمق وأعظم من إنقاذ الإنسان وانتشاله من المستنقع الهائل الذي عاش فيه طوال فترة الجاهلية العفنة ، ولم يكن هناك ذرة من أمل فيما إذا قدر للإنسان أن يعود إلى مكانته ويعرف قيمته لولا أن محمداً ﷺ جاء إليه - بإذن ربه - بالوحي وعقيدة الإيمان ، ونور له الطريق في غياهب الشهوات والأهواء والانطلاق النفساني الرهيب ، وقد منَّ الله بذلك على المؤمنين فقال ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم الحديث : ٢٣٤٨٩ .
(٢) سورة الحجرات الآية : ١٣ .
(٣) العقد الفريد ج ٢ - ١٤٩ .

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]

فلا غرابة إذن فيما إذا كان هذا العنوان (السيرة والسنة النبوية) يثيركوامن الحب والتقدير في قلوب المسلمين في مصر العزيزة ، ورحاب الأزهر بالذات على تنائي ديارهم وأوطانهم ، لمجرد أن يعيشوا تحت ظله فترة من الوقت ، ويبحثوا في هذه السيرة والسنة ويجددوا قراءتهما بأساليب متعددة وبلذة متجددة وثقه ونشاط وعزم من جديد ، عسى أن يوفقوا في ضوئهما إلى فحص عن مواطن الداء في جسم الأمة وبحث عن علاج ما تعاني منه اليوم من نكسات ووهن ، ويتوصلوا إلى حلول ناجعة للقضايا والمشكلات التي أعيت العالم الحديث بحضاراته وعلومه ومدنيته ومع تقدمه الهائل في مجالات الإبداع والتقنية ، خاصة وإن الأوضاع التي يعيشها الإنسان الحديث كبير الشبه بالوضع الجاهلي القديم ، وإن كانت الأسماء واللافتات قد تغيرت اليوم بغيرها ، وتسمت الأدواء القديمة بألقاب مغرية ، وتزيأت بزيء العلم والبحث والتحقيق والفن ، ثم إن الظروف التي يواجهها المسلمون تجاه هذه السيرة المباركة من قبل أعدائهم على جميع المستويات تُحدث تحديات كثيرة في مجالات عديدة وهي تتجه بطبيعة الحال إلى المسلمين ، وتثير تساؤلات كثيرة في نفوس

(١) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .

عامة الناس وتتطلب رداً مقنعاً وإجابات مدعمة بالدلائل والبراهين في ضوء العلم والتحقيق ، وهي حاجة لا يكاد يستغني عنها الجهات المسؤلة في العالم الإسلامي والبلدان التي يسكنها المسلمون .

من هنالك يأتي المؤتمر العالمي للسيرة النبوية الذي عقده الأزهر ، ودعي إليه علماء المسلمين المعنيون بشؤنهم وقضاياهم من جميع أنحاء العالم ، إنه يأتي في إطار قضية ذات شأن مهم جداً ، ويتيح للعالم الإسلامي كله فرصة مواتيه للتفكير في صياغة السيرة والسنة النبوية على نمط حديث في ضوء التجارب والتحديات الراهنة ، ووضع موسوعة جليلة لكل منهما ، تفي بحاجة الحياة المعاصرة ، و تزود المجتمعات العالمية بوسائل علمية وإيمانية تتولى معالجة المشكلات التي تجتازها هي ، والتي أنتجتها المدنيات المادية المعاصرة والفلسفات الاجتماعية المنحرفة .

إن جميع الدراسات التي قام بها المستشرقون والمحققون من أهل الغرب أو الشرق ممن لا يعنيهم إلا التشكيك ، وإثارة الشبهات والنقع حول نقاء تعاليم الإسلام وتاريخه ، إنما تتركز على تقليل شأن النبي ﷺ وتهوين رسالته التي جاء بها من عند ربه ، ولكنهم لم يسلكوا في ذلك مسلكاً خرقاً ، بل لا حظوا في ذلك شيئاً كثيراً من الدقة والبراعة والحكمة ، وعملوا فيه بمبدأ دس السم في العسل ، حيث إن كثيراً من المسلمين المثقفين

انخذعوا بكتاباتهم المسمومة التي أودعوا في خلالها أفكاراً زائفة بجوار أحداث تاريخية ، ودسوا فيها من المواد السامة ما يهدم شخصية النبي ﷺ كرسول وكخاتم النبيين ، أو يجرح سيرته على أقل تقدير .

و رغم اعترافهم بنزاهة حياة و تاريخ النبي ﷺ وعظمة شخصيته ـ في صورة إنسان خارق للعادة ، أو عبقري من الزمان لا يجود بمثله إلا نادراً ، أو يمثلونه كبطل عظيم للتاريخ استطاع أن ينسخ تاريخاً ويبدأ تاريخاً زاهراً لأمة بدائية كانت في أمس حاجة إلى اتساع وانفتاح بعد ما عاشت حياة محدودة صحراوية بدوية لا قبل لها بالحضارة و الرقي والعلم !.

يصورونه بكل صورة رائعة تجذب الأنظار والقلوب ، ولكنهم يعرضون عن منصبه الأصيل الذي أكرمه الله به ، ويغمضون عن صفاته المتميزة التي امتاز بها عن جميع العباقرة والأبطال والعظماء والعمالقة في تاريخ العالم ، ذاك أن محمداً ﷺ إنما كان رسولاً قبل كل شيئ (وما محمد إلا رسول) و (محمد رسول الله) أرسله الله سبحانه وتعالى رحمة للعالمين ، وأرسله بالحق بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، تجب إطاعته وأخذ ما يؤتي الناس والامتناع عما ينهاهم عنه ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ ﴾ [1] وقد

[1] سورة الحشر الآية : ٧ .

أعلن كتاب الله أن إطاعة الرسول هي إطاعة الله لأن الرسول ﷺ يقوم بدور المبلغ والمؤتمن لرسالته التي يحملها إلى الناس كافة، يقول ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾[1] ويأمر المؤمنين بالإطاعة لله ولرسوله سواء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴿٥٩﴾ ﴾[2] ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[3] ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾[4].

لم يكن رسولا يتكلم بما يوحي إليه فكره ولا نبياً يبلغ إلى الناس ما يدور في خلده من أفكار ومعتقدات، لم يكن يعتمد على عقله وذكائه في تبليغ رسالته إلى الناس، وإنما كان رسولا يوحى إليه من ربه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[5] وقد أمره الله سبحانه بأن يعلن عن هذه الصفة النبوية ويعتزّ بها فيقول ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾[6] ويقول ﴿ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴿١٩﴾ ﴾[7] ومن

(١) سورة النساء الآية: ٨٠.
(٢) سورة النساء الآية: ٥٩.
(٣) سورة الأحزاب الآية: ٧١.
(٤) سورة المائدة الآية: ٩٢.
(٥) سورة النجم الآية: ٣ ـ ٤.
(٦) سورة الجن الآية: ١.
(٧) سورة الأنعام الآية: ١٩.

الظلم العظيم أن يدعي أحد أنه أوحي إليه ولم يوح إليه شئ، يقول الله عز وجل ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴿٩٣﴾ ﴾[1]

لقد كان الوحي ميزة الرسول الكبرى التي لا يعطاها غيره ولا يستطيعها إلا من اصطفاه الله تعالى لرسالته ودعوته ﴿ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ ﴾[2] ولذلك فإن تقليل شأنه بالبشرية أو تأويل الوحي بعلم الغيب عمل دأب عليه كثير من أعداء الإسلام الظاهرين منهم والمتسترين، وقد نفى الرسول ﷺ كل ما وجه إليه من تهم وأباطيل من أهل الشرك والنفاق، بأمر من الله تعالى حيث قال ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ ﴿٥٠﴾ ﴾[3] وأمره الله سبحانه باتباع ما يوحى إليه من دون أن يضيق صدره بما يقوله القائلون ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ ﴿١٢﴾ ﴾[4]

(١) سورة الأنعام الآية: ٩٣.
(٢) سورة النساء الآية: ١٦٣.
(٣) سورة الأنعام الآية: ٥٠.
(٤) سورة الهود الآية: ١٢.

من هنالك فإن الوحي له في شخصية الرسول دور كبير جداً ، وأهمية عظيمة تتعلق بالأساس ، فمهما كان الإنسان ذا عظمة وعبقرية وميزات أخلاقية وإيمانية وعلمية كبيرة وكثيرة ولكنه لا يساوي الرسول ولا يدانيه في قليل أو كثير ، ولنا في هذه المناسبة مثال لخليفة رسول الله ﷺ الأول ، أبي بكر الصديق ﷺ ، ومن ذا سيكون أفضل منه بعد الرسول ﷺ وقد قال :"أول من يدخل الجنة من أمته[1]"، وقال : لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه أخي وصاحبي ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا[2] وهو الذي أعلن الحرب على المرتدين بعد وفاة رسول الله ﷺ وقال : إنه قد انقطع الوحي وتم الدين ، أينقص الدين وأنا حي ؟ !.

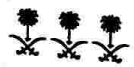
هذا الخليفة الأول ، هذا الرجل العظيم الذي كان على جانب عظيم من كل ميزة خلقية وإيمانية والذي صحب الرسول ﷺ طوال حياته وقام بأعباء الخلافة بعده وأدى حق الخلافة والأمانة ، حينما تشاغل بأهل الردة بعد وفاة رسول الله ﷺ استبطأته الأنصار فقال : إما كلفتموني أخلاق رسول الله ﷺ فوالله ما ذاك عندي ، ولا عند أحد من الناس [3].

(١) سنن أبي داود ، باب في الخلفاء ، كتاب السنة . رقم الحديث : ٤٦٥٤ .
(٢) رواه البخاري : في فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً ..... رقم الحديث ٣٦٥٦- رواه مسلم عن ابن مسعود ﷺ في فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي بكر ٢٣٨٣ .
(٣) رواه المرزباني في كتاب الشعر بإسناد صحيح .

هكذا كان رسول الله ﷺ مبعوثاً من الله سبحانه إلى الناس كافة ورحمةً للعالمين ، اصطفاه الله تعالى كخاتم النبيين وأضفى عليه جميع صفات الكمال والجمال الثابتة ، وأكرمه بالخلق العظيم الذي شهد به في كتابه بالتأكيد فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1]

هذا الخلق العظيم وهذه الميزات البارزة والرحمة الشاملة التي أودعها الله تعالى في نبيه ﷺ لم تكن من مصادفات الزمان ولا من مفاجئات التاريخ ، وإنما كان ذلك بأمر الله وقدرته وبقراره الرباني العظيم الذي تجلت فيه حكمته وعلمه وظهرت فيه رحمته ورأفته بعباده ، ولذلك لم يفرق بين طاعته وطاعة الرسول ، وجمع الإيمان بالله مع الإيمان بالرسول ، وجعل مبايعة الرسول مبايعة الله : يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴿١٠﴾ ﴾[2]

وبعد فما أحوج المسلمين في كل زمان ومكان إلى دراسة السيرة والسنة النبوية بعمق واعتناء وبصيرة وجدّية ، فهي عنوان المجد والعزة والفخار للمسلم وغرة في جبين التاريخ الإنساني .



(١) سورة القلم الآية : ٤ .
(٢) سورة الفتح الآية : ١٠ .

وإنك لعلى خلق عظيم *

إن هذا القلم المتواضع لعاجز عن تصوير تلك المنة العظيمة التي منَّ الله بها على الإنسان والكون والحياة ، بواسطة نبيه المصطفى ﷺ ، وإنه ليعجز عن تفسير تلك الدلالات العميقة والمعاني الغزيرة من مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال مما أراده الله تعالى لنبيه محمد ﷺ في قوله : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ (٢) بمثل هذا التأكيد والبلاغة والقوة . وإن الفكر البشري بكامله ليتقاصر عن إدراك ما في هذه القولة الجميلة ذات المغزى العميق ، من تصورات عالية من الطهر والعفاف والسمو والفضيلة ، إنما هي شهادة ربانية سماوية على ذلك النمط الإنساني النادر الدائم الذي حمله رسول الإسلام إلى أمة الإسلام ، وإلى النوع البشرى كافة ، تمثلت فيه نماذج رفيعة من الفضائل والمكرمات ، وتجلت فيه روح الإنسانية السامية ، روح الرحمة والإشفاق على مصير الإنسان ، إنها القمة الأخيرة لكرامة الإنسان وعظمته ، وقد بلغ الله تعالى بنبيه ﷺ إليها ، لحكمة علوية أودعها في هذه البعثة النبوية ، ولسر عظيم انطوت عليه شخصية الرسول الكريم ﷺ ، وإنه لسر لو تعلمون عظيم .

* مجلة البعث الإسلامي جمادى الأولى عام ١٤١٠هـ.

(٢) سورة القلم الآية : ٤.

ليس الإنسان اسماً لهيكل من العظم واللحم يمشي على رجلين وينطق بلسان يختلف عن ألسنة الكائنات ذات الروح وغير الروح ، ليس تميز الإنسان عن البهائم والدواب لأنه يتمتع بالعقل وقوة التفكير فقط ، أو لأن مستوى معيشته أرفع من مستوى الحيوان ، ولكن فضل الإنسان على كثير مما خلقه الله سبحانه إنما هو بفطرته التي فطر عليها ، وهي فطرة الدين والعقيدة الراسخة ، وهي التي تقوده إلى الخير والسعادة ، وتتكفل له بالسمو والنزاهة ، وتخرجه من أسفل سافلين إلى أعلى عليين في الدنيا والآخرة ، على هذه الفطرة خلقه الله تعالى ولكنه يعاكسها ويحاربها أحيانا فتنحرف به الطرق ، وتتفرق به السبل وتؤديه إلى الحضيض الأسفل من البهيمية ، وتهوي به إلى مهوى سحيق من الرذائل والمنكرات ، لا ينقذه منه إلا طبيعة الإيمان والعمل الصالح المتزنة التي تنبع من الدين القيم ، ومن العقيدة الراسخة ، وتتولى ربط الإنسان بربه بصلة مباشرة علوية شفافة ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ (١)

لقد كانت حاجة الإنسان الأكيدة يوم بعث محمد ﷺ إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، أن يعود إلى طبيعته الإنسانية ويتمسك بفطرته الإيمانية ، فإن الأوضاع الشاذة التي عاشها في تلك الفترة

(١) سورة التين الآية : ٤-٥-٦.

الحالكة قد ابتعدت به عن الطريق المضمون للسعادة وتنكبت به عن الصراط المستقيم ، وألقته على طريق النفس والشيطان ، مما فقد به الإنسان شرف المكانة ونبل الهدف ، والشعور بالإنسانية ، فرغماً من تكاثر عدده وتزاحم مجتمعاته بصور شتى من المدنية ويفنون عديدة من حضارة الإغريق وأفكارهم ، لم يكن للإنسانية أي وجود ، وكانت الرذائل بألوانها وأشكالها تتحكم في الحياة والمجتمع ، وتأخذ النفس الإنسانية بقبضة من حديد ، فلما كانت البعثة وجاء إليهم الرسول ﷺ أنقذهم من ذلك الواقع المشئوم ، والأوضاع الغير الطبيعية التي كانوا يعيشونها ، وقد عبر الله سبحانه عن هذه المنة التي منَّ بها عليهم بوضع الإصر والأغلال التي كانت عليهم ، فقال﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾[1]

كانت الوسائل الإنسانية والطاقات العقلية بأجمعها ترتكز في التظاهر بالشرف والعلو بجميع أنواعهما ، فما كانت مجموعة بشرية أو قبيلة إنسانية تسمح لمجموعة أخرى بالتقدم عليها في شئ مما زعمته شرفاً أو علواً ، ومن هذه النقطة كانت تنطلق موجات من الحقد والكراهية وتشمل رقعة واسعة من المجتمعات فتندلع نار الحروب فلا تبقي ولا تذر ، وهي التي أورثت القلوب

[1] سورة الأعراف الآية : ١٧٥ .

عداوة بالغة إلى آخر المدى ، وشحنتها بعواطف مضادة ، وملأت الجو بدوافع النقمة والبغضاء ، وبالتوتر العصبي الشديد ، ولم يعد هناك ضمير حي يلوم ويشكو ويئن ، ولا وجد من يأسف على الوضع المخجل ، ويحزن له في شئ ، إنما هي حمية الجاهلية التي غرق فيها الإنسان إلى الآذان ، وحماها بالسيوف والسنان ، وضع في الدفاع عنها و دعمها كل شئ من طاقات القلب واللسان ، وكان الوضع الإنساني كما قال الله تعالى ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1]

لذلك فإن أول عمل قام به المصطفى ﷺ فور بعثته بعد عقيدة التوحيد هو إزالة أنقاض الجاهلية من حياة الإنسان ، وإشعاره بالألفة وتليين قلبه بالأخوة وإيجاد جو من الحب ، وذلك بحكمة ورفق ، وبتلاوة آيات الله على الناس وتزكية القلوب رويداً رويداً ، وتزويدهم بتعاليم الإسلام ، ولكن لم يتيسر كل ذلك للنبي ﷺ بسهولة وفي وقت يسير ، وبل تعرض في سبيل ذلك لكل أذى ، وتحمل فيه كل مشقة و واجه فيه كل خطر، فاستطاع أن يحدث بأسلوبه الحكيم تغييراً في التفكير ويخرجهم من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ، ولو لا حكمة الله في ذلك ومشيئته لما تمكن أحد من هذا التغيير ، ولم يبدأ للكون

[1] سورة الأعراف الآية : ١٧٩ .

والإنسان تاريخ من جديد ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]

لقد رأى المصطفى ﷺ سقوط الإنسان إلى هذه الهوة السحيقة العميقة من العداوة والبغضاء، وعلم بالتجارب التي مر بها مع قومه أن العامل الرئيسي الأكبر في هذا الانحطاط الخلقي المهين، الذي يئد فيه الأب ابنته ويقتل فيه الأخ شقيقه أو ابنه، إنما هي الأدواء الخلقية والأمراض النفسية التي تتمكن من النفوس، من الحسد والبغض والتجسس والغيبة والنميمة، فقد كانت لها جولة وصولة على جميع المستويات وفي كل المجتمعات يوم ذاك، وكان الإنسان لا يعرف معنى للحب والأخوة والألفة والوئام، كان لا يعرف قيمة للورع والعفاف، ولا يعرف حرمة للدم والعرض والمال، فلفت رسول الله ﷺ أول ما لفت نظره إلى هذا الجانب المهم، واسترعى انتباه الناس بقوله الخالد الناصح، وبلهجته الإيمانية الرائعة التي حذر بها إياهم من منابع الشر ومصادر الشقاء.

"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولاتجسسوا ولا تنافسوا ولاتحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا

[1] سورة الجمعة الآية: ٢.

يحقره، التقوى ههنا، التقوى ههنا، ويشير إلى صدره وبحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم "[1].

هذه التعاليم الاجتماعية التي ركز عليها صاحب الخلق العظيم هي في الواقع أساس للمجتمع الإسلامي، وعليه تقوم الحياة الإسلامية التي يتمثل فيها الخير والنصح، والعدل والحب، والتواضع والإيثار وتتقوى بها دوافع الألفة والأخوة والثقة، ومن أجلها يتوافر الأمن والسلامة، ويعيش الإنسان في هدوء وطمأنينة يعب السعادة ويتزود بالتقوى، وينال من كل جهة من الحب والنصح ما يقوي به علاقته مع الله وعلاقته مع الناس، وهنالك يعم الفضائل والمعروف بين المجتمعات كلها وتهب رياح الإيمان والتقوى في البلاد والأقطار، ولا يعرف العباد سوى معاني الطاعة والامتثال والحب لله وفي الله، وكذلك البغض لله وفي ذات الله.

ذلك هو العنصر الكبير الذي كان الإنسان قد فقده في جاهليته، وكاد يتهالك في الخلافات والعداوات، فبعث الله سبحانه بنبي كريم كان على خلق عظيم، ليكون مثالا للفضائل

[1] رواه البخاري: رقم الحديث: ٦٠٦٥، كتاب الأدب، باب ما يُنهى عن التحاسد والتدابر، والإمام مسلم: رقم الحديث ٢٥٦٣، ٢٥٦٥، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها.

الإنسانية و قدوة للناس ، ومنارة للأجيال ، فكان حجة في كل زمان ومكان على كل رجل جاهلي يريد أن يثير الأحقاد ويبعث في الأرض الفساد ، وينزع من القلوب نوازع الخير والنصح والإخلاص ، ويريد أن يدمر المجتمعات ، ويهدم القلوب ، ويعكر صفو الأخوة ، ويذر الرماد في العيون ، ويلوث شفافية الروح بأوساخ الرذائل والمنكرات ، ويحول حدائق الإنسانية إلى مزابل البهيمية والشهوانية ، ويطلق زمام النفس الأمارة بالسوء فيرتع في أعراض الناس وينتهك الحرمات ، ويبيع دينه بعرض من الدنيا وحطامها القليل.

كانت بعثته ﷺ حجة على كل من يتزيأ بزي التقوى ويكتسي بكسوة العلم والدين ، ثم لا يرى حرجاً فيما إذا قام بدور حلاف مهين ، مناع للخير معتد أثيم ، وحجة على كل شخص - مهما كان و في أى عصر كان - يتسابق في إحراز قصب السبق في مجال الأدواء الخلقية من الحسد والبغض والتجسس والاغتياب والنميمة والكذب والخداع ، والكبر والأنانية والصلف والغرور وتهوين شأن المسلمين من العلماء والأئمة وقادة الفكر والعلم ، وتهويل مكانته من الدين والتقوى ، والادعاء بالعلم وطول الباع في القضايا الدينية والشرعية ، وعلو الكعب في فهم حقائق الدين وإفادة الناس بها وكسب إعجاب الناس بقوة الجدال وفصل الخطاب.

إن هذه الحجة تبقى يد الدهر، على من حاد عن الطريق وضل السبيل القويم وخضع للنفس والشيطان في أى درجة، وقع فريسة لمركب النقص ، ففقد قوة التمييز بين الخير والشر ، ولم يعد يفرق بين ما هو من الفضائل وما هو من الرذائل والمنكرات ، وظن أن كل ما هو فيه ، خير وفضيلة ، وكل ما فيه منكر ورذيلة ، كما قد كان الإنسان الجاهلي الذي حرم حاسة الذوق السليم فلم يفرق بين الخير والشر والمعروف والمنكر ، إنه ألف فساد هذا الذوق وعاشه مدة طويلة حتى إذا قرعت سمعه دعوة الإسلام وطولب بترك هذه المألوفات الفاسدة والعودة إلى طبيعته الإنسانية السليمة ، استشاط غضباً واعتبر هذه الدعوة إهانة له و ذلة ، لأنه لم يستطع أن يشعر بحيده عن طريق الفطرة ، ولم يحس بفساد ذوقه وحاسته حتى إذا دعا رسول الله ﷺ رؤساء قريش إلى تعاليم الإسلام والتزام توجيهاته في إسعاد الحياة ، قالوا : " إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به من مضى من آبائهم "[1] ولم يستسغ ذوقهم الفاسد ما جاء به رسول الله ﷺ من التوجيهات الخلقية ، وإنما رموه بأمر عظيم وفتنة كبيرة ، واتهموه بتفريق الجماعة وتسفيه الأحلام وعيب الآباء والآلهة .

[1] السيرة النبوية للعلامة الندوي ص : ١٣٠ دارالشروق والتوزيع والطباعة جدة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م .

ولكن رسول الإسلام ﷺ لم يقطع منهم الأمل في عودتهم إلى طبيعة الدين ، والتزام توجيهات الإسلام ، وظل يدعوهم إلى الله بالحكمة واللين وبسلاح الخلق العظيم ، وفي ظرف مدة لابأس بها وفي يوم من الأيام قريب ، كان الإسلام قد اتسعت رقعته بدأ يدخل ودخل الناس فيه أفواجاً .

هذا هو النبي الكريم عليه صلوات الله وسلامه ، الذي كان على خلق عظيم ، وفتح الدنيا كلها بمكارم الأخلاق وتممها في المجتمعات الإنسانية والمجموعات البشرية ، ونحن أمة هذا النبي العظيم بالادعاء فحسب ، ولكن ما أبعدنا عن تعاليمه وأخلاقه وآدابه ، وما أقربنا إلى أخلاق الأمم المريضة الغريبة عن تعاليم الإسلام وأخلاق الإيمان ، وآداب الحياة ، يقول الله تبارك وتعالى .

﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (١)

(١) سورة المنافقون الآية : ٤ .

هذه النعمة العظيمة *

العالم كله بجميع مافيه من حياة و نشاط ، ومدنيات و حضارات ، وعلوم وأخلاق ، وتقدم و ازدهار مدين لولادة النبي محمد ﷺ وبعثته ودعوته ورسالته ، إذ لو لا ولادته في تلك الساعة العصيبة التي ولد فيها لكان قد أذن العالم بالفناء ، ولم يكن على وجه الأرض ما يستحق أن يسمى كائناً ، ولكن النبي ﷺ هو السبب في بقائه ، وازدهاره ، وامتداد عمره ، ذلك لكي تتاح له فرصة أخيرة يمتحن فيها إخلاصه و ولاؤه لربه الحقيقي ، فيمتاز الخبيث من الطيب ، والمخفق من الناجح ، والكافر من المؤمن : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢) .

وعلى ذلك وضع الله لهذه الأمة من قوانين والتزامات ليتسنى لها العيش في ضوئها ، والتسابق إلى الجنة ونعيمها ، و الفرار من الجحيم وعذابها ، فالذين سبقوا غيرهم في الفوز بالنعيم والجنة كانوا أتباع هذا النبي ﷺ وأنصاره السائرين في ركابه ، والذين رفضوا طريقه ، وأنكروا اتباعه و ركضوا وراء

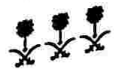
* صحيفة الرائد ٧/ ربيع الأول عام ١٣٩٠هـ .
(٢) سورة الرعد الآية : ١٧ .

الشيطان والأهواء أذلهم الله في الدنيا وأذاقهم في الآخرة عذاب النار.

ومن هنا كان المسلمون أول من انتفعوا بهذا النبي الكريم واستحقوا من أجله خيري الدنيا والآخرة، وجمعوا بين سعادتين كاملتين ونعمتين عظيمتين، سعادة اتباع النبي ﷺ والفوز برضا الله في الدنيا والآخرة.

فليذكر المسلمون حينما يُحيون ذكرى ميلاد نبيهم العظيم، تلك النعمة التي أكرموا بها، وهي نعمة الإيمان التي لا تعادلها أي نعمة أخرى على وجه الأرض، ثم يذكروا ما يلقى عليهم هذا الإيمان من مسئوليات، وما يتطلب منهم من أعمال، ويزنوا حياتهم على ميزان هذا الإيمان ليشهدوا ذلك الفرق الهائل الذي يوجد بينهم وبين من آمنوا من قبلهم، وليسعوا في أداء حقوق هذه النعمة الكبيرة والقيام نحوها بدافع من الوفاء والإخلاص لله عز وجل:

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾[1]



[1] سورة لقمان الآية: ١٢.

نبي الرحمة

وازدواجية العقيدة والشريعة ★

كانت مساحة الرحمة فوق ما يستطيع أن يتصوره العقل البشري، يوم أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ومنّ بذلك على العالم البشري الذي كان بأمس حاجة إلى رحمة شاملة تنتشله من ذلك الشقاء الكبير الذي يعيشه كل جزء من أجزاء الحياة والمجتمع، شملت هذه الرحمة جميع الكائنات، وأنقذتها من التردي الذي كان لها قدراً محتوماً، لقد كانت الحياة تسير على الدرب العادي القديم، ولم يقض الله تعالى أن يغير الأوضاع الشاذة بوضع طبيعي ثابت، إلا بواسطة نبي الرحمة، فقد كانت الحياة تئنّ تحت وطأة عقليات ضيقة من عبادة الأوثان، وبناء صروح الفخر والعزة الكاذبة على أسس زائفة من الأنساب والقبائل، كانت منطلق أدواء خلقية لا أرجاء لها، توجهت رحمة النبي الحبيب ﷺ إلى إصلاح الحياة الاجتماعية واستبدال الوحدات الطائفية والقبلية بوحدة الأخوة العالمية الإيمانية التي جاء بها الإسلام كنعمة وارفة الظلال لإنقاذ الإنسانية من شمس العصبيات المتوهجة، وإيجاد الشعور بكرامة الإنسان، وعظم مكانته، ودوره في الكون والحياة.

★ مجلة البعث الإسلامي ربيع الأول عام ١٤٢٢هـ.

فليس إنسان اليوم كشأنه في الجاهلية الأولى التي ضيقت عليه آفاق الحياة وقيدته بين طقوس وعادات من غير شعور بما أفاض الله عليه من نعمة الحب والعبودية الخالصة لله تعالى ، إنما هو الإنسان المسلم ، المؤمن بوحدانية الله سبحانه ، والملتجئ إلى شريعة الإسلام ، وكنف الإيمان حيث ترك كل ما صدر منه في سابق أيامه من الرذائل والشركيات التي سدت عليه جميع منافذ النور والهداية ، إنه الإنسان المهتدي إلى طريق الله تعالى ، والنادم على ما فرط منه من أمور لم تكن تمت إلى الإنسانية بأي صلة ، فهذا جعفر بن أبي طالب ﷺ ، يشرح الجوانب المظلمة التي كان يعيشها الإنسان الجاهلي ، أمام النجاشي ملك الحبشة يوم بعثت قريش وفدها إلى الحبشة لاسترداد المهاجرين الذين كانوا عنده بخير دار ، عند خير جار ، يقول :

" أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لانشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة ،

والزكاة والصيام ، قالت (الراوية) : فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك ، أيها الملك ! "[1].

هذا أول بيان يدلي به رجل اهتدى إلى الإسلام في تاريخه المبكر ، وشملته رحمة الله تعالى عن طريق نبيه ﷺ ، وضح فيه ذلك الانقلاب العظيم ، الذي منح العالم البشري حق البقاء ، وخلع عليه لباس السعادة والهناء فكأنه ولد من جديد ، وازدهرت فيه عبادة الله تعالى ، وجاء الحق وزهق الباطل ، وتبددت ظلمات الجهل والشرك ، وتنفس الإنسان في عالم مفتوح طبيعي ، وقدم ضريبة العبودية والطاعة إلى من هو أحق بهما ، هذه هي الصورة الحقيقية التي صورها رجل عاش الجاهلية ، واكتوى بنارها ، ثم انتقل إلى الإسلام ، ووجد فيه ضالته .

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام : ج ١/ ٣٥٩ ، دار القلم بيروت ، لبنان .

إنها أعظم منة لنبي الرحمة على الإنسان الجاهلي ، إنها نقلة تاريخية من الظلام والجهل والغواية ، إلى النور والعلم ، والهداية ، لا يوجد لها نظير في تاريخ الديانات والحركات الإصلاحية ، والدعوات الإنسانية ، كانت منطلقاً لصناعة الإنسان الواقعي الطبيعي ، الواعي لمهمته التي خلقه الله سبحانه من أجلها ، وتكريم مكانته ، وتفضيله على جميع الخلق ، كما بينه سبحانه في كتابه العظيم ، فقال ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] وقد تكاثر هذا الجيل البشري الذي كان من صناعة الإسلام ، وتربية النبي الكريم عليه الصلاة والسلام حتى ملأ العالم كله شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً بالإيمان واليقين ، وعرف التاريخ البشري لأول مرة هذا النموذج العالي الكريم من الإنسان المؤمن المحب لله ولرسوله ، المستهين بالحياة في سبيله ، المسارع إلى الجنة بكل ما يملكه ، واكتفى بأن أسوق إليكم الآن نموذجاً من إنسان هذا النوع الفريد :

" ففي يوم بدر نادى رسول الله ﷺ قائلاً : قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، فقال عمير بن الحمام الأنصاري : يارسول الله : جنة عرضها السماوات والأرض ، قال : نعم ، فقال : بخ بخ ، قال ، فقال رسول الله ﷺ: ما يحملك على قولك :

[1] سورة الإسراء الآية : ٧٠.

بخ بخ ؟ قال : لا ، والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها ، قال : فإنك من أهلها ، فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة ، فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل "[1].

هذا ، وهناك منة أخرى كبيرة على جنس الأنثى ، وهي نتيجة تلك الرحمة التي أرسل بها رسول الرحمة ، فقد كان هذا الجنس مهاناً مكروهاً أشد الكراهية ، في المجتمع الجاهلي الذي سبق الإسلام ، كان هذا الجنس هدفاً لكل ظلم ، وحيف ، وحرمان ، لم يكن له نصيب في الإرث ، ولا حظ في المال والمتاع ، كان كلا على الأسرة وحتى على الأبوين ، وكان يباع كما تباع المبيعات ، ويسخر لكل غرض خسيس ، ولكل رذيلة ، حتى إن الناس كانوا لايتحملون أن يسمعوا خبراً بولادة البنت ، وإذا تولدت فيئدونها من غير رحمة ، ويدسونها في التراب بكل قساوة ، وذلك ما تحدث عنه القرآن الكريم بصراحة وتأسف ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[2]

[1] مسند الإمام أحمد بن حنبل : ١٣٣٩٨ ، من مرويات أنس ﷺ ، نقله الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه " زاد المعاد من هدي خير العباد " ج ١٨٢/٣ ، طبع في مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة ١٣٠٧هـ.

[2] سورة النحل الآية : ٥٨ ـ ٥٩.

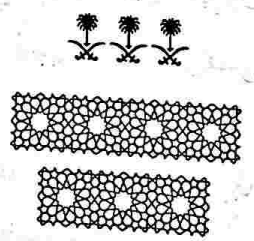
أخرج رسول الله ﷺ هذا الجنس الغالي من حصار الوأد والدس ، والذل والكراهية ، والظلم إلى ساحة العز والكرامة الواسعة ، ونقله من انحراف العقيدة إلى موضع الاعتراف بحقية القدرة الإلهية التي عمرت هذا الكون بالجمع بين الذكر والأنثى ، وجعلت لكل واحد منهما مكانتهما الرفيعة في الحياة ، ودورهما المرتقب في عمارة هذا العالم ، ولقد قرنه الله سبحانه مع الذكر في جميع العبادات والطاعات ، وما يتعلق بهما من الأعمال الفردية والجماعية ، فقال عز من قائل ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[1] وقال ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾[2]

هذا غيض من فيض ذلك البحر المواج للرحمة التي جاء رسول الله ﷺ للعالمين ، ورد بذلك اعتبار الإنسانية ، ورفع قيمتها ، فقد كانت تلفظ نفسها الأخير في جميع أنحاء العالم ، في الجزيرة العربية ، وفي مصر والشام ، وفي اليونان والرومان ، وفي الهند وإيران ، والصين واليابان ، ومن خلال هذه الرحمة ، نبعت حضارة العقيدة والإيمان ، الحضارة الإسلامية ، التي تضاءلت وضؤلت أمامها جميع الحضارات الإنسانية التي فشلت في إنقاذ سفينة الحياة ، وخابت في قيادة العالم في جميع المجالات .

(١) سورة النحل الآية : ٩٧ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩٥ .

الفرصة لا تزال سانحة أمام حملة لواء العلوم والحضارات ، والفلسفات الإنسانية لكي يدرسوا من جديد منة الإسلام على الإنسان والحياة والكائنات كلها ، ودوره المشرف في بناء العالم الإنساني ، ورفع صرح العلم والإيمان ، والعقيدة والسلوك ، في جميع الأزمة والأمكنة .

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1]



(١) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

السيرة النبوية ومنتها الخالدة على الإنسان!*

لا أدري كيف يمكن وصف رسول الإنسانية ﷺ بحيث يشمل جميع المعاني التي كان الله سبحانه وتعالى قد أودعها فيه ، وسوف لا يأتي الحصر على أولئك المؤرخين والكتاب الذين تصدوا لتدبيج السيرة النبوية وتصوير حياة الرسول عليه الصلاة والسلام بأقلامهم البارعة ، وقد استفاضوا في التعبير والتصوير ، وأسدوا على المسلمين معروفاً ، و زودوهم بالواقع الحي الذي حملته شخصية الرسول ﷺ ، فرأوا فيه ما لم يكن بالحسبان ، ولا يخطر على البال ، رأوا فيه صورة جامعة شاملة كاملة للرسول البشر الذي عاش الوحي الإلهي والإلهام السماوي في هذا العالم المادي ، فوصل بين السماء والأرض وربط بين الدين والدنيا ، وجمع بين الروح والمادة ، وأبطل ما كان يعتقده رجال الأديان والكهنوت وعبدة الأوهام والأصنام ، من أنه لا لقاء بين هذين الجانبين ، ولا يكاد إنسان الأرض يتصل برب السماء إلا بالوسائط وعن طريق الوكالات المزعومة التي كانوا يعتبرونها ملكهم الخاص .

* مجلة البعث الإسلامي ربيع الأول عام ١٤٠٦هـ.

بلغت رسالته في الشمول والكمال مبلغاً يتعذر تفسيره كاملا بالقلم واللسان ، فإن الوضع الذي سبق البعثة كان لا يسمح لأي إنسان بأن يتنبأ أن هناك تغييراً بأحسن منه أو تحولا جديداً فيه ، ذلك أن الفساد تجاوز حدود التصور ، ولم يعد في الحياة ، اجتماعية أو كانت فردية ، أي أمل في العودة إلى الوراء ، وأي رجاء في التحسن ، فضلا عن قلبه رأساً على عقب ، وفعلا كانت المفاجأة العظيمة التي قفزت إلى الوجود وتركت كل إنسان مذعوراً مندهشاً ، فوق كل تصور إنساني ، وخرص عقلي ، حيث قام الناس لمحاربته على جميع مستوياتهم ، وما تركوا أي أسلوب إلا وقد ما رسوه في الحد على مالم يكونوا يعقلونه من المفاجأة التي ظهرت على يد محمد ﷺ ، ذلك الرجل المنزوي عن نشاط مجتمعه ، ذلك الإنسان الصموت الذي لم يكن يعرف للحياة معنى ، ولا للاجتماع مفهوماً ـ كما زعموا ـ إنما كان يهمه أن يعتزل عن القضايا التي كان يعيشها قومه ، ويعيش في معزل عن الشؤن المعنية عندهم ، والمعارك الساخنة التي جرت في القبائل وبين أصحاب الوجاهات والمناصب .

ولكنني حينما أقرأ وأتامل في معنى التأكيد للرحمة التي عمت العالمين عن طريق بعثته ﷺ ، وأرى أن الله سبحانه هو الذي يؤكده هذه الرحمة ويعبر عنها بالعالمية في قوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1] فهنالك أجد الطريق إلى

[1] سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

وصف رسول الله ﷺ بالرسول العالمي الذي جاء بالرحمة العالمية ، والشئي الذي يوصف بالعالمية لا يعتبر محدوداً ، لا من الناحية الزمانية ولا من الناحية المكانية ، بل إنه يعيش وينمو ويزدهر ويتناول الزمان والمكان كليهما بالعطاء والرفد ، والرحمة التي عمت العالم من طريق الرسول ليست في مجتمعات المسلمين وفي شؤن حياتهم فحسب ، وإنَّما حظيت بها المجتمعات الإنسانية بأسرها ، وتعدى أثرها ، إلى الأكوان كلها ، و إلى الكائنات بأجمعها ، وكيف لا يكون ذلك وقد أنزل الله سبحانه كتابه العظيم كعلامة قائمة دائمة باقية نامية للرحمة التي أنزلت مع الرسول ، وإن مجرد وجود هذا الكتاب الإلهي يحمل مدلولات الرحمة بالإنسانية والكائنات كلها ، ويؤكد أن هذا الحكم الرباني نحو العالمين ليس صدفة ولا أمراً طارئاً ، إنما هو حكم محكم لا تغيير فيه ولا تعديل في أي وقت أو فترة حتى تقوم الساعة .

ومن خلال هذه الزاوية أنظر إلى رسول الرحمة ورسالته العالمية فإذابي أتقاصر عن إسباغ الوصف ، وأعجز عن رؤية الحقائق بكمالها التي حملها في نفسه ، وكل ما أستطيع أن أعرفه هو أن هذا العالم مدين في بقائه واستمراريته وفي جميع آثاره العلمية والعملية والحضارية بوجود الرسول عليه الصلاة والسلام وبعثته ، وأن الإنسان في سمو مكانته وإنسانيته مدين - بمعنى الكلمة - برسالته العالمية ودعوته الربانية الخالدة ، ولولاه

لما كان ما نراه من شرف الإنسان ونشاطاته العظيمة التي علمه الله تعالى إياها ووفقه بها في جميع مجالات الحياة والكون ، ولولاه لما تخلص الإنسان من أغلال الذل والعبودية التي كانت تتشكل بأشكال كثيرة مهينة من الشرك والوثنية والاعتبار بالضعة والرفعة والتفاوت الطبقي وتفضيل طبقة على طبقة وتوزيع عباد الله بين الشريف والأشرف والرذيل والأرذل ، من غير سبب ولا علة ، فكان من رحمة الله تعالى عليهم أنه أعلن على لسان رسوله ﷺ أن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط ، ولا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، إلا بالتقوى .

وكان ذلك إيذاناً بانهيار قصور الفخر والشرف المزعومة ، وإعلاناً عن المساواة البشرية التي يشهدها تاريخ الإنسان لأول مرة ، وبالتالي كان ذلك تأكيدا لعلاقة الإنسان بالله تعالى ، وانتمائه إليه في كل صغير وكبير ، وحقير وجليل ، وأنه لا يكاد يسعد في حياته بما إذا عاش في عزلة عن تصوره ، وبعيداً عن مراقبته ، بل السعادة مربوطة باتصال الإنسان بالله ، في كل حين ولدى كل نشاط ، فلاتمر عليه لحظة مهما كانت ، من غير هذا الاتصال والتصور والانتماء والمراقبة ، وطبيعي أن الشعور بالمراقبة والإيمان بعلم الله المحيط يجعل صاحبه في حذر وحيطة عند كل عمل يريد أن ينجزه ، بل عند كل خاطرة تخطر على باله ، وفي ذلك تحقيق للصلاح والرخاء ، والسلام والأمن والعدل

والأمانة والصدق والنصح ، وكل ما يحتاج إليه المرء في سبيل السعادة والكرامة ، مما لا يخفى على من يتدبر في معنى التقوى ونتائجها وآثارها في الحياة من جميع النواحي .

إن التقوى التي نص عليها كتاب الله وسنة رسوله والتي أمر بها الرسول ﷺ في جميع المناسبات سواء بالصراحة أو بالإشارة هي في الواقع ركيزة كل عمل في حياة المسلم ، وهي الدعامة الأساسية التي يقوم عليها صرح الحياة ، والميزة الكبرى التي يتميز بها المسلم عن غيره في مسار الأعمال والنشاطات ، ويعتز بها ، للكرامة التي أكرم بها بالتأكيد في قوله تعالى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] وهي التي أزالت جميع الحواجز والأبعاد بينه وبين ربه ، ووصلته به مباشرة ، ومن غير وسيط أو طريق ، وأي كرامة تكون أعلى من هذه الكرامة ؟.

كان من رحمة الله على الإنسان بفضل هذه البعثة الكريمة أن كتب له الخلاص من جحيم العداوات والأنانيات والضغائن ثم الحروب الدامية والمعارك الساخنة ، ولنتصور للحظة واحدة حالة عداوة وقتال طفيفة ، كيف تكون وطاتها شديدة وقاسية ، وكيف تتوتر منهما الأعصاب وتنهار ، وكيف يتعطل الإنسان من أجلها عن جميع أعماله و وظائفه ، أما العداوات والحروب التي كانت تطول إلى عقود من السنين وتدوم ، فما أدراكم ما هي ؟

[1] سورة الحجرات الآية : ١٣ .

وما ذا أفاد منها المجتمع ؟ وبأي النتائج عاد منها إنسان ذلك العصر ؟ يشير إلى بعض هذه النتائج الوخيمة الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى ، وقد جرب الحرب وذا ق مرارتها :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها ، تبعثوها ذميمة ... وتضرى إذا ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثفالها ... وتلقح كشافا ، ثم تنتج فتتئم

وكانت المجهودات التي تبذل في حسم الخلافات وتهدئة الأعصاب تذهب سدى ، ولا تعدو بطائل فيما يرام من أخوة و إصلاح بين الناس ، فتستنفد هذه الحالة الغير الطبيعية مواهب الناس وكفاءاتهم ، وتستغرق أحقاباً وأجيالا ، يتوارثها الأبناء عن الآباء ويتواصى بها الآباء عن الأبناء ، ولم يكن هناك أي أمل في إنقاذ الإنسان منها .

هذا ، وكان الإنسان قد فقد قيمته في المجتمعات التي كانت تدعي بالحضارة والمدنية وتنتمي إلى كبرى دول العالم آنذاك ، فإذا كان هناك تاس على قمة من الترف والنعمة كانت عامة الجماهير في الحضيض والذلة ، وتعيش عيشة البهائم أو أضل منها .

ولما بعث النبي ﷺ وأراد الله سبحانه أن يعود الإنسان إلى سابق شرفه وعزه ، ويتحمل عبء الخلافة على كاهله ، وفق الله رسوله الكريم لأداء الواجب العظيم ، وأمانة الرسالة الكبرى ،

رسالة الهداية ودين الحق والعز والنجاة من المتاعب والشقاء والضلالات، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾[1] و قال ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ۝٢٨﴾[2].

وقد أظهر الله دينه ونال البشر مكانته المفقودة في خضم الأحوال الشاذة، وقد أدركته الرحمة الإلهية وهبت عليه رياح الإيمان والتقوى ففتحت قلبه المغلق على العداوات والشحناء والشرك والوثنية، وشحنته بالحب والإيمان وعمرته بالعقيدة الصافية الخالدة، حتى تبقى معه دليلا أميناً يأخذ بيده إلى درب السعادة والنجاح في الدنيا ويوفر له أسباب العز والنجاة في الآخرة.

إن عالمية رسالته وخلودها منارة نور مضيئة على طول الخط، ومع بقاء الحياة الإنسانية على هذه الأرض، وإليها المفزع والملجأ لدى كل حاجة أو مشكلة ألمت بالإنسان أو المجتمعات الإنسانية على أي مستوى، ولا مبرر لأي كائن في هذه الدنيا أن يستغني في أي حال عن رسالة الإسلام التي حملها إليها رسول الإنسانية، ونبي الرحمة ﷺ.

وقد صدق شاعر الإسلام محمد إقبال حينما مدح النبي الأمي ﷺ فوصفه بقوله:

(١) سورة الأحزاب الآية: ٤٥-٤٦.
(٢) سورة الفتح الآية: ٢٨.

"لقد فتح باب الدنيا بمفتاح الدين، بأبي هو و أمي، لم تلد مثله أم، ولم تنجب مثله الإنسانية، افتتح للعالم دوراً جديداً، وأطلع فيه فجراً جديداً"[1].

فهذه هي الرسالة العالمية الدائمة التي تساير الحياة في جميع أحوالها وشئونها وأوضاعها وظروفها، وتساعدها كل حين في جميع أجزاء الكون والمجموعات البشرية على اختلاف أجناسها وأوطانها، ومستوياتها وطبقاتها، والطريق مفتوح للعالم المتحضر الحديث أمام هذه الرسالة المحمدية لكي يقوم بتجربتها في حل المشكلات التي استعصت عليه وأبت أن تقبل أي حل من الحلول المادية، فلننتهز الفرصة ونعرض عليها قضاياه المعقدة، فهي ضمان للنجاة من المتاعب بجميع ألوانها والخروج عن كل مشكلة على ضخامتها.

والله سبحانه يقول:

﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ ۝١٠٣﴾[2]

(١) روائع إقبال للعلامة الندوي (رحمه الله).
(٢) سورة آل عمران الآية: ١٠٣.

موقف المسلمين من المدائح النبوية ! ★

تتضافر الأدلة من كل نوع على أن الإسلام دين النوع البشري بأكمله ، وأنه دين قيم ومنهج رباني كامل ، خالد شامل بحكم الشهادة القرآنية ، فهو يتفق وطبيعة الإنسان في جميع الأزمنة والأمكنة ، ولذلك عبر الله عنه بفطرة الله ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] هذه الفطرة الإلهية هي التي قضت أن يتولى إبلاغ هذا الدين وشريعته إلى الناس كافة ، رسول مبعوث من الله ، رحمة للعالمين وخاتم النبيين ، فبعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على جميع الأديان واختاره في الجزيرة العربية بين قوم أميين ، بعيدين عن جميع الآداب والفضائل الإنسانية ، منهمكين في اللذات والشهوات ومقهورين بالأهواء النفسية ، عائشين في العداوات والحزازات ، فلو لا كان هذا الدين كما وصفه الله تعالى حاجة الفطرة الإنسانية ، والرسول عليه الصلاة والسلام رحمة للعالمين ، وشاهداً ومبشراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً

★ مجلة البعث الإسلامي جمادى الأولى عام ١٤٠٩هـ .

(٢) سورة الروم الآية : ٣٠ .

منيراً ، لما تيسر له تحويل العالم من وجهة الشقاء إلى ساحة السعادة ، وتغيير العادات والطبائع السيئة بالأخلاق الفاضلة والطبيعة الحسنة الجميلة .

كانت بعثة الرسول ﷺ إلى هذا العالم رحمة من الله للعالم كله ، ومنة منه على الإنسان الذي هداه إلى الإيمان وأكرمه بالفضائل والخلق النبيل الكريم ، لقد صنع النبي ﷺ من الحياة الإنسانية الضائعة حياة إنسانية كريمة ذات قيم ومثل عالية ، وسهر على تحويل الطاقات الإنسانية التي أهدرتها التقاليد القبلية والكبرياء القومية والأنانية البغيضة ، إلى طاقات إيجابية بناءة ، وتفجيرها لصالح الحياة والكون ، وربط الإنسان بمصدر القوة والإيمان ، وإشعاره بقيمته التي لا تعادلها قيمة أو ثمن ، ولا شك فإن العالم قد خلع الله عليه لباس الحياء والنمو والازدهار من جديد ، وأنقذ الإنسان من شفا حفرة من النار والدمار إلى رحاب من الحياة واسعة ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾[١]

وسوف لا نتمكن من إحصاء أيادي الرسول الكريمة النقية على الإنسان وحسناته البيضاء على الإنسانية الشقية المعذبة ، لا

(١) سورة آل عمران الآية : ١٦٤ .

نستطيع أن ندرك مدى ارتباطه القوي العميق بوحي السماء وتوجيهات الرب تبارك تعالى وعلاقته الوطيدة بمنبع الإلهام الإلهي والعقيدة الإيمانية ، وتلك هي الميزة التي رفعت مكانته وجعلته آخر الأنبياء وخاتم الرسل ، ومنحته العبقرية النبوية المتميزة ، ولدينه الكمال ، ولدعوته الخلود ، ولمنهجه الشمول وللإنسان عن طريقه العزة والسمو ، فشهد التاريخ البشري تحولا لا نظير له في تاريخ الديانات والمناهج الفكرية في جميع مناحي الحياة ومجالات النشاط ، وذلك ما منَّ الله به على الناس فقال ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾[1]

لقد كان واقع هذا التحول يحمل من ظلال الرحمة والعطف ما دفع الإنسان إلى بناء هذا العالم من جديد على أساس من الفضيلة والعقيدة ، والعيش فيه على وحي من الشريعة وفي ضوء تعاليم السماء ، غير أن هذا التحول لم يكن مفاجئاً ، بل وقد سبقه من المحن والمعاناة ما تحمله رسول الله ﷺ ، وسجله تاريخ الإسلام ، ولم يكن تلقائياً ، ولكنه تناول الناس بالتعليم والتزكية والإقناع ، وقدم دليلا من أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً .

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

أرسله الله تعالى على خلال من النبوة تعذر مثالها في غيره من الأنبياء ، وصفات ممتازة فاقت كل وصف ، ومدحه الله تعالى بأحسن ما يمدح به رسولا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[1] ويقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[2] ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[3] و ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[4] و﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[5] حتى ضم طاعته بطاعته فقال: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ ﴾[6] و ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾[7] والآيات في هذا المعنى كثيرة ، بل إن كتاب الله ليزخر بمعاني المدح للرسول عليه الصلاة والسلام والثناء عليه .

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٦ .
(٢) سورة الأحزاب الآية : ٤٥ـ ٤٦ـ ٤٧ .
(٣) سورة الأحزاب الآية : ٤٠ .
(٤) سورة القلم الآية : ٤ .
(٥) سورة النجم الآية : ٣ ـ ٤ .
(٦) سورة النساء الآية : ٧٩ـ ٨٠ .
(٧) سورة الأحزاب الآية : ٣٦ .

فالرسول الكريم الذي هذا شأنه ومكانته ، وهذه قيمته وعظمته ، كيف لا يمدحه المسلمون ، وكيف لا يطيلون النفس في الثناء عليه ولا يفيضون في أداء ضريبة الحب والوفاء له بأحسن ما يملكونه من ملكة القول والكلام ، وطاقة القريض والنعت الجميل ، وكيف لا يعتبرون من سعادة الحياة إذا وفقوا لاستخدام القلم واللسان في مديحه ولإبداء عواطف الحب والولاء له ولدينه الذي جاء به ، بل الواقع أن المسلمين مطالبون بذلك في جميع مراحل حياتهم ومأمورون بإطاعته الكاملة والانقياد لشريعته الشاملة الخالدة ، ومدعوون إلى حبه واتباعه ، الذي يؤدي إلى حب الله تبارك وتعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1] وصرح بهذا الاتباع والولاء لسان النبوة فقال " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به " ، و قال : " ولا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين "[2] .

كل ذلك لأن النبي ﷺ هو المرسل من الله والموحى منه ، وأنه المبلغ لرسالته وشريعته وتفاصيل دينه و تعاليم كتابه إلى الناس كافة ، طبقاً للوحي الذي يوحى به إليه ، ومن هنالك كان رسول الله ﷺ هو المتولي الوحيد والمفسر الأول لدين الإسلام ،

(١) سورة آل عمران الآية : ٣١ .
(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان : باب حبّ الرسول من الإيمان : ١٥ وأخرجه مسلم : ٤٤ ، في كتاب الإيمان .

وبتعبير آخر : هو خاتم الرسل لدين قد أكمله الله تعالى على يده و ربط به مصير الإنسان والكون والحياة ، وختم عليه الوحي وأتم به النعمة على النوع من كل جانب ، فإذا قارنا بين الوضع السيئ المنحل ، وحياة الشقاء والذل والبهيمة التي عاشها الإنسان قبل بعثة الرسول ﷺ و بين الوضع الذي سعد به الإنسان ، والسعادة الكاملة والنعمة السامقة التي نالها الإنسان بعد بعثة الرسول ﷺ لما وسعنا إلا الجزيل الشكر الدائم المستمر على نعمة الإسلام وسعادة الوحي المنزل ، وكرامة الإيمان ، وإن من الشكر والتقدير لهذه النعمة التي حملها الرسول ﷺ إلينا أن لا ننسى حق الشعور بقيمتها ولا نغفل واجب المدح والثناء على من اختاره الله تعالى لشرف الوحي ونعمة الإسلام لكي يكرمنا بالانتماء إليه ويجعل شخصيته العظيمة أحبّ إلينا من كل شئ .

فلا غرو إذن أن يتجه المسلمون نحو النبي المصطفى ﷺ بأداء ضريبة الحب والولاء له ، وتنطلق ألسنتهم بالثناء عليه و تقديم المديح إليه ، كل شعب بلغته ولهجته وأسلوبه ، وبطبقاته العالية والدانية ، وبشعرائه وأدبائه وعلمائه وفضلائه ، وشيوخه وشبابه ، وبسكانه في المدن والقرى ، وبرجاله ونسائه ، على السّواء ، وفعلا أقبل المسلمون على هذا الجانب الحساس وتظاهروا بهذه الروح المؤمنة الرقيقة والعواطف النبيلة الشفافة في مجال المدائح النبوية وفنونها الخلابة الساحرة ، وقد ظهر هذا اللون

الثابت من مديح الرسول ﷺ في حياته وخلال جهاده ودعوته ، ولا سيما بعد ما تمت الهجرة إلى المدينة المنورة ومست الحاجة هناك إلى الرد على المشركين والدفاع عن الإسلام وعن النبي ﷺ بصورة شعرية ، كانت عمدة الشعراء في الدفاع عن قضايا الدين وتوجيه الهزيمة نحو الأعداء ، وتثبيت دعائم النبوة ، وتأكيد نعمة الإسلام وخلود رسالته ، وأنه هو الطريق الوحيد إلى السعادة في الدين والدنيا ، وحياة العز والكرامة في كل مكان ، ولا شك فإن شعراء الرسول ﷺ قاموا بكل أمانة وإخلاص بأداء هذا الواجب المهم بالشعر القوي وبالتفنن في مديح الرسول عليه الصلاة والسلام بكلام دسم ذي تأثير عميق يعمل في نفوس الكفار والمشركين عمل الأسنة والسيوف ، وقد فسروا الدين وشرحوا تعاليمه في ضوء الوحي وسنة رسول الله ﷺ .

فهذا حسان بن ثابت الأنصاري كان جنة للرسول ﷺ يمدحه ويدافع عنه ويتناول الكفار بسهام من الشعر حادة تنفذ إلى ما وراء القلوب ، وهو يعتز به وبالنور الذي حل به في ديارهم ، فمثلا يقول في مدح الرسول ﷺ :

نبي أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان في الأرض تعبد

فأمسى سراجا مستنيراً وهاديا ... يلوح كما لاح الصقيل المهند

وأنذرنا ناراً وبشر جنة ... وعلمنا الإسلام ، فالله نحمد

ويقول بمناسبة الهجرة إلى المدينة :

لقد خاب قوم غاب عنهم نبيهم ... وقدس من يسري إليهم ويغتدي

ترحل عن قوم فضلت عقولهم ... وحل على قوم بنور مجدد

وهل يستوي ضلال قوم تسفهوا ... عمى ، وهداة يهتدون بمهتدي

لقد نزلت منه على أهل يثرب ... ركاب هدى حلت عليهم بأسعد

هذا ، وإن العصر الذي نعيش فيه ، وهو عصر يتميز بالمادية والماديين ، ليدعونا إلى نشر سيرة النبي ﷺ العطرة على أوسع نطاق ، وإبراز شخصيته الفذة بكل أسلوب ممكن من المدائح النبوية والقصائد الشعرية والكتابات الأدبية ، إذ أن مدح النبي ﷺ لا يعني إلا مدح تلك المثل والقيم الإيمانية العليا التي حمل رايتها النبي ﷺ ومثلها في ذاته وفي دعوته وجهاده وحياته وحياة أصحابه ، إن الثناء عليه إنما يعني الثناء على المنهج الذي جاء به إلى هذا العالم ووجد فيه الإنسان جميع مفاهيم العز والعلو والسعادة والكرامة والهداية ، وأدرك فيه ضالته من العلم والحضارة والأخلاق والفضائل ، والسياسة والاجتماع ، فنحن حينما نشيد بحياة النبي ﷺ فإنما نشيد في الواقع بذلك الدين الخالد العظيم الذي كان رحمة وعدلا وسعادة وهناء للعالم أجمع ، وعند ما ننشد أناشيد الحب الولاء للنبي عليه الصلاة والسلام فلا نتوخى بذلك إلا تعظيم شعائر الله وتمجيد شريعته

التي التجأت إليها الحياة الإنسانية ونالت فيها بغيتها من الهدوء والاستقرار والأمن والسلام.

وبالمناسبة فلا بد من الإشارة إلى أن هناك عدداً من الشعراء والمعنيين بالمدائح النبوية يتجاوزون في شعرهم ومدائحهم حدود الأدب، ذاك أنهم لا يبالون بما إذا صدر منهم من المديح ما يجعل الرسول ﷺ في درجة الله تبارك وتعالى أو قريباً منه، بل وقد وجد ناس منهم رفعوا منزلة الرسول على الله تعالى وخلعوا عليه صفات الله تعالى وربطوا به الخلق والأمر، على أن الرسول ﷺ قد نزه نفسه عن كل ذلك، ونهى عن كل إطراء أو مغالاة في المدح، قائلاً: لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم فجعلوه ابنا لله، وقال: أنا عبد الله ورسوله[1]، وقال: أنا ابن امرأة من العرب كانت تأكل القديد، وغير ذلك مما أكد فيه عبديته بالله تعالى.

وانطلاقا من هذا المبدأ الحكيم عقدت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ندوة علمية حول المدائح النبوية برئاسة سماحة العلامة الشيخ أبي الحسن على الحسني الندوي ودعوة منه[2]، وحضرها مندوبون من جميع أنحاء الهند من الأوساط العلمية

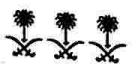
[1] رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله "واذكر في الكتاب مريم" رقم الحديث: ٣٤٤٥.

[2] في مدينة أورنغ آباد في الفترة ما بين ٢٥-٢٧/صفر ١٤٠٩هـ.

والأدبية ومن خارج الهند كذلك، ممن أدلوا ببحوثهم وآرائهم حول الموضوع وساهموا فيه بحماسة ونشاط، ومن بين التوصيات التي اتخذتها الندوة ما جاء فيه التركيز على عقيدة التوحيد وتنزيه المدائح النبوية عن كل شائبه من شوائب الشرك وعن كل ما يعارض منصب النبوة ومقام النبي ﷺ.

وليعلم أن المغالاة والإطراء في مدح النبى ﷺ وخلع صفات الألوهية عليه إنما يرادف إهانة الرسول ﷺ وتقليل شأنه، وأن المؤمن الصادق لا يرضى بأي مدح أو نعت ينال من شخصية الرسول ﷺ بله أن يعظمها ويرفع قيمتها.

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]



[1] سورة المنافقون الآية: ٨.

على هامش المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية*

شخصية رسولنا العظيم محمد ﷺ هي النموذج المثالي الفذ للبشرية جمعاء، فضلا عن الأمة الاسلامية التي هي منحة البعثة المحمدية، وجائزتها للإنسانية، وقد أخرجها الله سبحانه وتعالى لمهمة الدعوة الجليلة والقيام بعمل الوصاية على العالم، وحياته ﷺ الحافلة بالمكارم والمثل العليا، والعامرة بجميع نواحي العظمة والسمو والخلق العظيم، هي الركيزة الأولى للانطلاق نحو الهدف الأصيل، فمنها ينطلق المسلم إلى وجهة الحياة الصحيحة، وبها يتعين له طريقه إلى الله، وطريقه إلى السعادة الخالدة والعزة الدائمة والسلام القائم والنجاح المستمر ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾ ﴾ (٢)

إذا كانت هناك عصابة من المغرضين الحاقدين على الإسلام والمسلمين تحاول جديداً أو حاولت قديماً أن تقلل من شأن هذه البعثة العظيمة التي شملت الإنسانية كلها بظلالها الوارفة و رفدها المستمر، وإذا كان هناك ناس، ممن أعمى بصائرهم وأبصارهم لمعان المادية وبريق الحضارة الكاذب،

* مجلة البعث الإسلامي ربيع الأول عام ١٤٠٠هـ عقد المؤتمر في الدوحة بدولة قطر.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٥٣.

يطمعون أن يوجهوا افتراءات إلى تاريخ هذه البعثة العظيمة ومنتها الكبرى على الإنسان، فإن وجه هذا الواقع الناصع، وإنَّ شفافية الحياة الزكية الطاهرة لن يختفي وارء غيوم الحقد والحمق والسفاهة للمحة واحدة، وكلما بُذلت محاولات كريهة في هذا السبيل باءت بالفشل وأخفقت أي إخفاق، وإن الأمة الإسلامية سرعان ما تيقظت لمحاربتها وتفنيد أصحابها، وثارت ضدهم وضيقت عليهم الخناق ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١)

ولما قررت الحكمة الإلهية إنقاذ الإنسانية من أوحال الجاهلية ومن ضيق المادية الطاغية والعقلية القاصرة إلى رحاب العزة والطاعة والعلم والإيمان، وقضى أن يمد في عمر هذا العالم الذي يعيش في شقاء ليس بعده شقاء، بعث محمداً ﷺ بشيراً له بذلك، ونذيراً له بما كان فيه من حياة وثنية وعيش جاهلي، بعثه برسالة عالمية، باقية إلى آخر يوم الناس في هذه الدنيا، فيها كل ما يحتاج إليه الإنسان من شريعة عادلة، وقانون شامل، ونظام للمعيشة دائم، فيها سعادتا الدنيا والآخرة، وفيها أسس التربية ومبادىء التعليم والحكمة التي توفر له فرصاً غالية للطهر والعفاف والزكاء والنمو، وفوق كل ذلك أنزل معه كتابه المبين الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ

(١) سورة التوبة الآية: ٣٢.

حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[1] وهو الذي يحوي بين دفتيه دستور الإنسان الخالد وشريعة الله الطاهرة وقانونه العادل الرحيم ، ويفسره أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وسيرته الطيبة التي نمت وترعرعت في ظل التربية الإلهية والتأديب السماوي ، وظهرت فيها معجزات وأمور خارقة للعادة ، فكانت دليلا أكبر على نبوته وبرهاناً أسطع على عظمة مكانته وتفرده بالخصائص الكثيرة التي لم تكن من نصيب السابقين من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[2]

ومن هنالك كانت بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام منة الله الكبرى على العالمين ، وسيرته العبقرية كانت المثال الأكمل للجمع بين الدنيا والدين ، بين الحاجات المادية والمطالب المعنوية ، بين الجسم والروح ، وبين السيف والمصحف ، وبين ساحة القتال ومحراب العبادة ، وبين العقل والعاطفة وبين العلاقة مع الإنسان والصلة بالرب ، ووجد فيها إنسان ذلك العصر ضالة القلب والجسم ، وحكمة الإيمان والهداية ، وحضارة النوروالهدوء ، ونضب من أجلها معين الجهل والوثنية ، وانقطع خيط الشرك والخضوع أمام الخلق الحقير ، وعاد العالم من قلق النفس

(١) سورة فصلت الآية : ٤٢ .
(٢) سورة الجمعة الآية : ٢ .

واضطراب القلب وفساد العقائد وغلبة الأوهام إلى ساحة الأمن والطمأنينة والطاعة والتوحيد ، وسار في موكب الإسلام والسلام بخطى حثيثة .

وسنة الرسول وسيرته العطرة يحفظهما لنا التاريخ ودواوين السنة بكامل تفاصيلهما وملامحهما الأصيلة ، ويستطيع أن يبحث فيهما العالم عن كل شئ مما يتصل بالحياة فردية واجتماعية ويرى فيهما وجه الحياة وصورة الإنسان في أي عصر شاء ، وفي بلد أو جيل أراد ، فيبني ما هدمه الزمان ويصلح ما أفسدته يد الحدثان ، ويستقي من نبعهما الثر ومن عينهما العذبة ماء زلالا وشراباً سلسالا ، وقد أكد ذلك صاحب هذه السيرة العظيم ﷺ في أحد أقواله فقال : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة [1]

وفي ضوء هذه الخلفية نرى مؤتمرات السيرة والسنة النبوية التي تعقد بين حين وآخر في عواصم العالم الإسلامي ، ويحضرها رؤس المسلمين من العلماء وأصحاب الفكر والدعوة ورجال القلم والكتابة و زعماء العلم والفقه والفتاوى ، ممن يبحثون موضوع السيرة العطرة وينورون جوانبها المتعددة و

(١) رواه أبو دواؤد ، كتاب السنة ، باب في لزوم السنة : ٤٦٠٧ ، والترمذي كتاب العلم : باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع : ٢٦٧٦ .

يوسعونها ، بغية أن تنال إعجاب العالم المعاصر فيدرك فيها شفاء من كل داء يعاني منه ، وعلاجاً لكل مشكلة يواجهها ، وحلا لكل أزمة يمر بها .

ومن بين هذه المؤتمرات ما عقد في الدوحة ، عاصمة الدولة القطرية في الخليج العربي ، باسم " المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية " بين الفترة ٥ـ١٠ محرم ١٤٠٠ هـ ، فالاهتمام البالغ المدى الذي بذل في الإعداد لهذا المؤتمر و زيادة قيمته العلمية والدينية ، يعطينا إشارات مفيدة جداً حول الموضوعية الخالصة التي أرادها المسؤلون عن المؤتمر ويفيد بما يكنونه من إخلاص في بث هذا الموضوع واستعادة الثقة إلى هذه السيرة الطاهرة التي هي منبع التربية والدعوة والتوجيه للمسلمين وغيرهم ، وقد أثبت القائمون على هذا المؤتمر ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد الله إبراهيم الأنصاري مدير الشئون الدينية في دولة قطر[1] : أنهم لا يريدون زيادة عدد واحد في قائمة المؤتمرات الاسلامية واللقاءات الدينية التي تقام بين آونة وأخرى في ربوع العالم الإسلامى والدول الشرقية الغربية ، ولكن الهدف الخالص الذي يسعون وراء تحقيقه هو أنهم يعتقدون في ثقة وإيمان أن اهتمام المسلمين بالسيرة النبوية وسنة الرسول قد

[1] استأثرت به رحمة الله تعالى في ١٤١٠/٣/١٤هـ.

انتقص إلى حد مدهش ، فلا بد من لفت انتباههم إلى هذا الجانب الحيوي العظيم الذي لا يكتمل إسلام المرء وإيمانه بدون التفاني في حب الله ورسوله وطاعتهما ، فقد قال الله تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴿٨٠﴾ ﴾[1] وقال ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴿٣١﴾ ﴾[2]

وقد أثمر المؤتمر قبل عقده ثماراً جنية فنشر المسؤلون عنه كتباً قيمة حول السيرة والسنة ، وأخرى حول الدعوة الإسلامية والفكر الإسلامي والتراث الإسلامي ، أحرزوها فجمعوها حتى تكونت مكتبة إسلامية قيمة أهديت إلى كل عضو حضر المؤتمر ، وتكفل المؤتمر نفسه إيصالها إلى مقر الأعضاء ، كما كلف الأعضاء المدعوون كتابة البحوث والمقالات العلمية والتحليلية التي جمعت بين الأصالة والعمق والإبداع ، فكانت ذخيرة علمية غالية حول السيرة ومناحيها المختلفة ، إذا جمعت كلها في مجلدات وطبعت كانت أغلى هدية للعلماء والباحثين في العالم كله ، وأطيب زيادة تذكر وتشكر في المكتبة الإسلامية الواسعة .

هذا عدا ما ألقيت من كلمات قيمة في المؤتمر ، يتميز كلها بالمعنى الجميل الجليل ، وأخص بذلك كلمة أستاذنا الكبير سماحة الشيخ أبي الحسن الندوى التي ارتجلها نيابة عن الوفود .

[1] سورة النساء الآية : ٨٠ .
[2] سورة آل عمران الآية : ٣١ .

أما القرارات والتوصيات التي اتخذها المؤتمر فهي تلفت الأنظار وتبعث الأمل ، وأنها سوف لا تلقى مصيرها ـ شأن القرارات والتوصيات ـ من الانطواء في غضون الملفات وبقائها حبراً على الورق ، بل إنها سوف تجد إلى التنفيذ سبيلا ، نظراً إلى ما تحرص عليه دولة قطر وأميرها المسلم سمو الشيخ خليفة بن حمد حفظه الله من تحقيق أهداف هذا المؤتمر الكبير وهي :

١ـ إبراز جوانب الهداية والعظمة والقدوة في سيرة النبي ﷺ وسنته لتقديمها للمسلمين خاصة وللبشرية عامة .

٢ـ تجلية المفاهيم الإسلامية الصحيحة بشأن التربية والدعوة والإعلام من خلال سيرة النبي الكريم وسنته وهديه .

٣ـ تقديم حلول ـ في ضوء السنة والسيرة ـ للمشكلات الاجتماعية عامة ومشكلات الشباب خاصة .

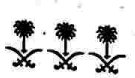
٤ـ تثبيت مكانة السنة في التشريع الإسلامي والحياة الإسلامية في مواجهة التيارات المنحرفة التي يغذيها خصوم الإسلام .

٥ـ الكشف عن كنوز تراثنا ومصادرنا في السيرة والسنة والعمل على إحيائها وإخراجها في ثوب عصري يليق بمكانتها في غرس الاعتزاز بها و الاستفادة منها لأجيالنا المسلمة .

٦ـ ربط العلماء العاملين في حقل السنة والسيرة وتعريف بعضهم ببعض على مستوى الأمة الإسلامية ، وتقوية التضامن في مجال العلم والفكر الإسلاميين .

٧ـ استقبال القرن الخامس عشر الهجري بعمل إسلامي جماعي فكري يؤكد الأمة الإسلامية ويعيد إليها الثقة برسالتها العالمية الخالدة .

٨ ـ التعرف عن كثب على الشخصية الإسلامية لدولة قطر ، والتعاون مع أجهزتها ومؤسساتها المختلفة ، لنصرة الدعوة الإسلامية عامة ، وخدمة السنة والسيرة خاصة ، وبأمل باسم وتفاؤل مشرق نترقب ذلك اليوم الأغر الذي يؤتي فيه المؤتمر أكله الذي سيعتبر باكورة القرن الهجري الجديد بإذن الله ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾[1]



[1] سورة الروم الآية : ٤ ـ ٥ .

رحمة عالمية و منة ربانية*

إذا تساءلنا عن الميزة البارزة التي عاشها الإنسان قبل بعثة النبي ﷺ، لكانت الإجابة من غير تأخير وبدون تردد وتفكير، أنها هي العداوة التي رسخت في القلوب وتمكنت من وجود الإنسان في جميع المجالات الفردية والجماعية، وفي جميع الطبقات العالية والسافلة، فكان الناس تتوزعهم العداوات من كل مستوى، وكانت الحياة جحيماً لا تطاق، فضلا عن وجود ما يسمى بالأنس والألفة والحب، وقد بلغت وطأة العداوة وشدتها مبلغاً فقد فيه الأب الرحمة لأولاده ذكوراً وإناثاً، فكان يقتلهم خشية إملاق أو يئد البنت فراراً من العار، وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك فقال: ﴿ ۞ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ﴾[٢] وقال ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[٣] وقال ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾[٤].

* صحيفة الرائد عددان محرم وصفر سنة ١٤٢٩هـ.

(٢) سورة الأنعام الآية: ١٥١.

(٣) سورة الاسراء الآية: ٣١.

(٤) سورة التكوير الآية ٨-٩.

لما جاء الإسلام على فترة من الديانات حمل إلى الناس بشارة بنعمة الرحمة والحب والسلام والأخوة العامة، فقد كان الناس يومذاك لا يعرفون عن هذه المعاني شيئا، مما ينفذونه في الحياة، ويطبقونه على المجتمع، وذلك بالرغم من وجود حضارتين راقيتين، ترعرعت إحداهما في أحضان ملوك الشرق، والثانية في الغرب، حيث كانت الدولة الرومية تشرف عليها، وتنميها، إلا أن الرعايا التي عاشت تحت سقف هاتين الحضارتين لم تذق طعم الرحمة والعدل، ولم تتمتع بالأمن والحب والسلام، كأن هذه المعاني كلها لم يكن لها وجود في معجم هاتين الحضارتين، بل بالعكس من ذلك كانت رحى القسوة والعداوة والشنآن والظلم تدور حول حياة الناس، وتطحنهم من غير رحمة ولا هوادة، وتضيق عليهم الخناق، فيستقون كأس المرارة والجور والعنف وأنواع من المحن الشداد، وذلك واقع سجله قلم التاريخ، وإن كان كثير من الناس يجهلونه.

هذا في جانب، وفي جانب آخر كانت أوضاع الحياة معكوسة مقلوبة، تتميز بالعداوة والشحناء، وفي السباق القبلي وفي المعارك الدامية والحروب الناشبة لأتفه سبب، وذلك في الجزيرة العربية التي لم تكن تتمتع بقيادة دينية أو خلقية، وإنما كانت الحياة فوضى، وكانت تمثل أبشع صورة للإنسان، وذلك ما أشار إليه الله عزوجل في مطهر كتابه ومقدس آياته: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ

إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (١)

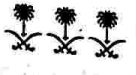
كان هؤلاء الأعداء يتبارون في ساحة القتال وكانت السيوف تلمع بأيديهم يتحدى بعضهم بعضا أن ينزل إلى ميدان المقاومة القتالية ، وسرعان ما كانت الفرق القتالية تتبادل الاستجابة للخوض في معارك دامية .

ومن ثم كان الهدف الأعلى لإنسان ذلك العصر أن يرفع منارة عالية للمفاخر والعزة الكاذبة والاعتزار بالأنساب والتعظم بالآباء والأجداد والتسابق في اتخاذ الآلهة وعبادة الأصنام والأوثان ، وهكذا كانت الحياة تنقضي على غير هدى ، وفي أوهام وأوضار ، وجهل وضلال ، وإشعال نار البغض والنقمة حيناً بعد حين ، وفينة لأخرى .

بينما كان الإنسان يعيش يؤمئذ جاهلية جهلاء مجردة عن كل عنصر من عناصر الرحمة والحب والأخوة ، بعيدة عن جميع معاني صلة الرحم ، ومتطلبات القرابة ، وفضائل الإنسانية ، إذ انبثق فجر الإسلام من أفق تهامة وبُعث النبي ﷺ بالرحمة المهداة إلى العالمين جميعا ، وأخبر بذلك الله سبحانه وتعالى فقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (٢) وكان أول شيئ جاء به

(١) سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .
(٢) سورة الأنبياء الآية : ١٠٧ .

الإسلام الرحمة من الرب الرحمن الرحيم ، وهو العنصر الغالب الأساسي الذي كان بمثابة الأساس الذي ارتفع عليه صرح الإسلام ، ذلك الإسلام الذي أهدى إلى أتباعه الرحمة والأخوة ، وزودهم بعقيدة التوحيد ، وعرقل طريقهم نحو عبادة الأوثان والأصنام ، وحجر عليهم الإشراك بالله ، وأعلن ذلك أول ما أعلن نبينا العظيم محمد ﷺ بعد عقيدة التوحيد ، ودعا الناس إلى الأخوة الإيمانية ليزدهر الأمن والسلام والرحمة والحب والتعاون والوئام ، فعبر المصطفى الحبيب ﷺ المسلمين عن جسد واحد وجعل التقوى هي المقياس الأصيل للشرف والضيلة فقال : " لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، ولا لأبيض على أحمر ، ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى ، كلكم من آدم و آدم خُلِقَ من تراب (١) " وقال : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر (٢) " .



(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل رقم الحديث : ٢٣٤٨٩ .
(٢) متفق عليه ، رواه البخاري رقم الحديث ٦٠١١ ، ومسلم رقم الحديث ٢٥٨٦ .

لمن هذه الأسوة ؟*

حياة الرسول ﷺ كلها أسوة حسنة للمسلمين في كل مكان وزمان ، فما من أمر يحتاج إليه المرء في دينه ودنياه ، وما من حكم يلجأ إليه في حياته الفردية والاجتماعية إلا وقد أودعه الله تعالى في حياة النبي ﷺ وتعاليمه وشريعته ، أو أظهره الله في مجتمع ذلك الزمان الذي عاش فيه النبي ﷺ فأقره أو رفضه ، ولذلك فإن شريعته أكمل الشرائع ، وتعاليمه أجمع لكل دقيق وجليل .

أسوة النبي ﷺ تظهر في كل جزء من أجزاء حياته ، في سلمه وحربه ، في بيته ومجتمعه ، في سوقه ومسجده ، في أصحابه وأعدائه ، في صفحه وأخذه ، في غيظه وفرحه ، في لينه وشدته ، في كل ما تنطوي عليه الحياة من أمور وأحوال وأحكام وأحداث ، ولولا الأمر على هذا لم يكن هذا الدين آخر الأديان ولا هذه الشريعة أفضل الشرائع ، ولا ذاك النبي خاتم النبيين .

ومن هنا ندرك أن الدين في جميع تفاصيله وجزئياته دين الفطرة الإنسانية ، سواء في زمنه الأول وفي أتباعه الأولين السابقين أو في زمنه الأخير وفي أفراده اللاحقين والآخرين ،

* صحيفة الرائد ٦/ربيع الأول عام ١٤١٢هـ .

وسواء في مركزه ومصدر نوره أو في أقصى أنحاء العالم وأبعد بقعة من بقاعه ، ولا ريب أن هذا الدين يراعي المصالح والظروف ويدلي بحكمه حسب الأجواء والأحوال ، إنه لايفرض رأياً واحداً أو حكماً واحداً على جميع الأحوال و في كل الظروف ، بل إن فيه مرونة لم توجد في غيره من الأديان والشرائع ، وفيه مراعاة للمصالح والأحوال ليست في أي شئ من الديانات والمذاهب الفكرية .

والرسول ﷺ أعظم أسوة للمسلم الصادق ، والعبد المخلص والمربي الناصح ، والمعلم الصالح ، والقائد الموفق ، والسيد الحكيم ، والإمام الحازم ، والوالد الكريم والزوج الرحيم ، ولكل جانب من جوانب الحياة الإنسانية ، ولكل صفة من صفات المؤمن الخالص .

إن سيرته ﷺ ككتاب مفتوح أمام كل منصف ، وكل عاقل ، وفيها من الدروس والعبر لو اعتنى أحد بشئ يسير من ذلك لوجد فيه زاداً لا ينفد ، ومعيناً لا ينضب ، ومدداً لا ينتهي ، نوراً يسعى بين يديه وبأيمنه .

وماذا ينقص الحياة إذا تمتعت بالزاد والمدد ، وبالمعين الثرّ وأي سعادة أعظم من التأسي بأسوة الرسول ﷺ والاقتداء بقدوته بالاهتداء بهديه ، والانتهاج بمنهجه ، ولكن هل يحظى بهذه

السعادة ويتمتع بالاقتداء إلا من أحب الله ورسوله من صميم قلبه واتبع رسول الله ﷺ في أسوته كلها ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1]

انبثق فجر الإسلام في مكة أم القرى ذات الجبال الجراداء والأرض القاحلة، تلك البقعة التي لم تكن لها مكانة في خريطة العالم المتمدن، ولم يكن يحسب إنسان أن ينشق نور الهدى من مثل هذه البقعة فيبدد الظلمات ويرسل أشعته على العالم كله شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، حتى ينجاب الظلام وتمتلئ أرض الله نوراً وبهاءً، ورونقاً وجمالاً.

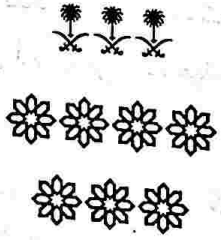
وانطلقت دعوة الإسلام من المدينة تعم العالم كله، وتنتشر في أرض الله الواسعة بقوة هائلة لا تقف أمامها دولة الفرس في الشرق ودولة الروم في الغرب، وإنما تنذاب كالملح، وتتبدد كالهشيم، ويرتفع دين الله في الأرض التي كانت مملوءة بالجور والظلم، وتعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، وتعلو فيها كلمة الله تحكم الناس بالعدل، وترعاهم بالإحسان.

وظلت المدينة مصدر النور قروناً وأجيالاً، يقتبس منها العالم ضياء ويستنير ظلمة العقيدة، ويستضئ ليل الغواية والدجى، وستظل المدينة منبر الهداية ومصدر النور إلى يوم

[1] سورة آل عمران الآية: ٣١.

القيامة، وفي ترابها عبقات النبوة وفي جوها شذى الإيمان والهداية، وفي أرضها وسمائها ثروة الحب والحنان وهي لا تحرم الإيمان حينما يحرمه العالم كله، والإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها.

إن الإنسانية مدينة بهذه المدينة، ولولا المدينة ونورها ولولا الرسول ودعوته لغشي العالم كله ظلام حالك، ولم يعرف الإنسان معنى للحب والوئام، ومفهوما للكرامة والفضيلة، ولم يذق حلاوة الحياة، ولذة العيش، ولكان حيوانا ناطقاً فحسب.



ذكرى عطرة*

إنها ذكرى عطرة تملأ قلب العالم بعواطف كلها اعتراف بالجميل، وخضوع لصاحب المنة وخشوع لمن سبب كرامة الانسان وفضله على الخلق كله، إن أريج هذه الذكرى يفوح في الأجواء شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ويجعل كل إنسان يتمتع بقلب حي نابض يشم طيبه وينخلع عن لباس الكبر والصلف برهة من الزمان حينما يفكر إذا لم يبعث محمد بن عبد الله ﷺ ولم يستبشر الإنسان بهذه الفترة السعيدة في حياته، ولم يشهد النوع البشري هذا الامتداد الميمون في تاريخه.

وكيف كان الإنسان، بل وكيف كان العالم إذا لم يكن محمد ﷺ، الذي اصطفاه الله لرسالته الأخيرة، ورضي منه بمد عمر العالم بقسط آخر وأسعد من الزمان، وإلا فقد كانت الدلائل كلها تشير إلى أن موعد انهيار هذا الكيان قريب. وأن الإيذان بفناء العالم واقع بين عشية وضحاها، ولكن النور الذي أضاء به العالم بوجود هذا الرسول العظيم ﷺ أتى على الظلمات التي كان يتخبط فيها ابن آدم، وأقشع الدياجير الحالكة التي كانت تتيه فيها البشرية بأحثة عن ملجأ تأوي إليه

* صحيفة الرائد ١٥/ربيع الأول سنة ١٣٩٢هـ.

من قراصنة الظلام، وجزاري الليل، وخراق الأعراض ومنتهكي الحرمات بالنهار.

وأنواع كثيرة من الجرائم الوحشية وألوان منوعة من الفواحش، والمنكرات كانت تنال من إنسان ذلك العصر إعجابا وكانت تحل منه محل أكبر لذة، وأعظم متعة يزاولهما ليل نهار من غير تمييز ولا معرفة، ولكنها توقفت فجاءة ببعثة هذا النبي العظيم ﷺ، وفقدت مركزها من قلب الإنسان وبدأت تتضاءل آثارها ويضمحل نشاطها، وإذا بها قد نَسِيَها الإنسان، و راحت في غياهب النسيان، واحتل محلها فضائل إنسانية حولت مجرى التاريخ، وبدلت الأرض غير الأرض.

إن هذه الفضائل التي تحلى بها الإنسان في عصر النبي ﷺ لم تأته عفواً من غير إيمان بمبدء أو يقين اغترس في قلبه، إنما جاء هذا التحلي نتيجة لاتباع النبي ﷺ وجزاءاً للعمل بتعاليمه التي جاء بها ورسالته الربانية التي دعا إليها، وهي مقاييس صادقة للإنسان في كل عصر ومصر رغم كل تحول وتقدم، وكلما أراد الله بالناس خيرا هداهم إليها، وكلما انحرفت بهم مقاييس وضعية ساد عليهم الظلام، وحرموا من نور الإسلام.

ليست منة الإسلام على الإنسان فقط أنه منحه دستوراً شاملا يتفق والفطرة الإنسانية ويساير مع الزمن، وليست منته عليه فقط أنه قدم إليه نظاما للحياة لا يتأثر بالتطورات والتغيرات

ولا يطرأ عليه القدم والبلى، ولكن منة الإسلام العظيمة التي لا يتناساها البشر على طول خط التاريخ والتي عجز عن مثلها كل نظام وكل قانون، هي أنه جعل من طوائف البشر المتناحرة والقبائل المتقاتلة إخواناً متقابلين، ونزع من قلوبهم كل عصبية ونخوة وكل حقد وضغن وكل شحناء، وبغضاء، وجمع بينهم على الاخلاص والحب والمودة، ومحا كل نوع من الفروق التى كان يعرفها الناس من عصبية اللون والدم والنسل والجنس.

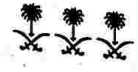
إنها لمنة كبرى على البشر منذ أن جاء الإسلام إلى هذه الدنيا، وهي أول نعمة عرفها المسلمون الأولون السابقون، ورأوا معجزة الإسلام هذه وكيف أنه جمع بين الأعداء وكيف قَلَّبُهمْ أولياء من غير أي عملية من السحر أو الكهانة، وهي لاشك معجزة الإسلام وحده، الذي استطاع أن يؤلف بين القلوب المتنافرة هذا التأليف العظيم، ويعلم الناس رسالة الحب والألفة والسلام ويتركهم ليعيشوا في ظل العقيدة الوارف معتصمين بحبل الله، ومتمسكين بأحكامه.

وقد تصدى القرآن الكريم لتذكير هذه النعمة في عدة مواضع، فقال: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾[1] وقال يخاطب الرسول ﷺ: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى

[1] سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[1] وقال أيضا يأمر المؤمنين بالتوحيد والانسجام: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴿١٠٣﴾ ﴾[2]

ولكن هذه النعمة مصحوبة بنعمة الإسلام فإذا تفككت عرى الإيمان في قلوبنا، وتقللت قيمته في أعيننا وبعدت الشقة بيننا وبين نعمة الحب والأخوة وهجمت جنود التفرقة والخصام، وأعداء النفرة والانتقام على مجتمعنا صباح مساء، ونزعت من قلوبنا عواطف الحب والمودة والأخوة وحلت محلها دوافع الشر، وآل بنا الأمر إلى أننا رجعنا إلى ما كنا عليه من المعاداة والمباغضة، وإراقة الدماء وانتهاك الحرمات، لأننا لم نعد بعدُ إخوة، ولم يكن للإيمان جولة وصولة في أعمالنا ونشاطاتنا، وأصبحنا طوائف لا تعتز بالإسلام وشريعته، بل تفتخر بمبادئ مستوردة لا تعلم إلا الصدام والخصام، وإلا العداء والنفاق، فهل إلى العودة من سبيل أيها المسلمون؟ وهل نتذكر درس القرآن مدوياً: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[3]



[1] سورة الأنفال الآية: ٦٣.
[2] سورة آل عمران الآية: ١٠٣.
[3] سورة الحجرات الآية: ١٠.

مقياسنا فى كل حين ★

في أنحاء العالم كله موجة عاتية من الاضطراب تكتسح كل ناحية من نواحي الحياة الإنسانية ، ويبدو أن الدنيا كلها على فوهة بركان من الانهيار النفسي يكاد يتفجر و يشمل النوع البشري كله ، ولعل ذلك نتيجة لفقدان الاتزان في الأمور ، و انعدام الثقة المتبادلة بين الأفراد والجماعات ، وقد تبع ذلك ـ حزازات نفسية ، وتوتر عصبي ، وتولد من هذا وذاك عداء وتنافر حوّلا الحياة جحيما من نار ، وأبدلا الشقاء من السعادة التى ألفها الناس وعاشوها ، وتعوض الخوف والحزن عن الأمن والهناء .

نفس الوضع الذى عاش فيه إنسان القرون المظلمة والعصور الشقية ، ولاسيما الفترة التى سبقت بعثة النبى ﷺ ، فانها كانت أشقى فترة وأشئمها في تاريخ البشر ، لا فرق بينها وبين الوضع الراهن ، إلا أن الأسماء تغيرت و اللافتات تبدلت في الألوان والأصباغ ، أما الشقاء الذى أحاط بالانسان السابق فهو نفس الشقاء الذي يحيط به اليوم ، والأدواء الخلقية التى أتت البشرية تحت وطأتها في الماضى هي نفسها التى تحدق بالحياة الانسانية اليوم ، بل يزيد خطرها وتتفاقم بشاعتها بالنسبة المعروفة من قبل .

★ صحيفة الرائد ٢٢/ربيع الأول سنة ١٣٩٤هـ .

إذن فلا مناص من إنقاذ الإنسان المتحضر الراقي الحديث مما يعيش فيه ، و إخراجه مما يعانيه ، فإن كان ذلك قد تم في القرن السابع الميلادي ببعثة النبي ﷺ ورسالته الأخيرة التي جاء بها إلى الناس كافة ، فلاشك أن عملية إنقاذ الانسان من أنقاض الشقاء التي تراكمت عليه وإخراجه من مخاوف اليأس والبأس ، وأخطار القلق والجور والعدوان ، لن تتم مالم نعتمد على النور الذى بدد الظلام ، والتعاليم التى حولت التيار ، والدعوة التي غيرت مجرى الأحداث .

إنه نور الإيمان والعقيدة ، وتعاليم النبوة ودعوة الاسلام ، قد فعل كل ذلك في نفس الانسانية وأثر فيها بحيث أدهش العالم كله ، وحير العقول والألباب كلها ، وأحدث انقلاباً في المجتمع البشرى كله ، وقلبه رأساً على عقب ، حتى إن عدو أمس أصبح صديق اليوم ، وقاتل أمس غداً خادم اليوم ، ولم يعد للمقاييس الزائفة أي قيمة ولا وزن .

وكل ذلك بفضل المقياس الذي كان مع النبي ﷺ مقياس الإيمان ، بالله ومقياس الاتصال بالله و مقياس الخلق العظيم .

ولكي يعود إلى عالم اليوم اتزانه المفقود ، ويعود إليه رشده وهناؤه يتحتم عليه أن يتمسك بالمقياس الأصيل ، مقياس النبي عليه الصلاة والسلام ، ويزن نفسه في ميزان الإسلام .

متى نستخدم سلاح السيرة؟*

في المجتمع الصاخب الساخن الذي نعيش فيه اليوم مآسي ومبكيات وأحزان وآلام، المجتمع الذي يبدو مليئا بعناصر الانحراف والجرائم والفوضى والعصبيات المسيئة، ونرى أن الحياة شقيت على الناس بما سعدت، وأن موجة من الفساد بجميع أنواعه ومعانيه، قد طغت على الحياة بكاملها، واختفت وراءها دوافع الصلاح والحب والنصح والخير، وليس هذا شأن إقليم أو بلد أو جزء خاص من الأرض، وإنما هي كارثة تعم العالم كله في قليل أو كثير.

في مثل هذا المجتمع المريض المظلم يلمع بصيص من الأمل ويملأ النفس ثقة وإيمانا وحياة، وذلك حينما نلاقي نموذجا من السيرة المثالية ونجد مثالا للسلوك العالي بين أفراد المجتمع، وليس هذا في قطاع واحد أو وحدة خاصة بل إن هذا النموذج يوجد في كل قطاع، وحيثما وجد استقطب اهتمام الناس ورعايتهم واحترامهم وأحرز إعجابهم، أرأيت أن موظفا في إحدى الدوائر الرسمية التي كانت تعرف بالانحراف والفوضى وعدم الشعور بالمسؤلية، عندما عرف هو بأمانته وشعوره الدقيق بالمسؤلية ودوافع النصح للجميع والتواضع المطلوب، حل في قلوب الناس

* صحيفة الرائد ١٠/ربيع الثاني ١٤٠١هـ.

وتمتع باحترام وإعجاب الجميع، بينما كانوا يكرهونه ويتناولونه بالتندر والسخرية أولا، أصبح مضرب المثل وموضع الثقة لمجرد أنه كان أميناً في عمله وناصحا لغيره.

وكذلك هناك ناس أكرمهم الله بصفات من السيرة النبيلة والسلوك الإنساني الجميل فأثروا بذلك في أتباعهم، وسلكوا بهم مسلك الرشد والنزاهة، وغيروا كثيرا من جيرانهم وأصدقائهم، كذلك بالضبط نجد بيتا صالحا أفراده يُعرفون بالنزاهة والعفاف ولكن يتسرب إلى صفهم رجل فاسد وضائع ويؤثر على الأفكار والتقاليد الحسنة، وما هي إلا فترة قليلة إذ ينشأ في رجال هذا البيت شباب تائهون وضائعون، وبعد مدة غير طريلة تتهدم تلك الأسرة ويتهاوى شرفها وتنهار سمعتها الطيبة.

وللسيرة المثالية قصص صادقة وأمثلة كثيرة يزخر بها التاريخ الإسلامي كله، وهي في الواقع سلاح كبير بيد الإنسان يستطيع أن يدافع به عن نفسه وعن أسرته وعن شرفه وعقيدته، ويستطيع أن يحارب به أعداءه بحيث لا يشعرون ويتساقطوا أمامه واحدا بعد الآخر، لقد كانت السيرة الحسنة هي التي غيرت مجرى التاريخ الإنساني من الفساد العميق إلى الصلاح الشامل، وكم من أمة دخلت في دين الإسلام بفضل السيرة المثالية والقدوة الصالحة، وقد كان نبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه، صاحب السيرة العظيمة والسلوك المثالي وصانع السيرة والرجال الصالحين الذين يمثلون سيرته ويعيشون حياته ويتبعون خطواته: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ

وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [1] فظهر على يديه من المعجزات ما ظهر، وما لا يخفى على أحد.

لا داعي إلى الاهتمام باختراع أساليب تقضي على ما انتشر اليوم في المجتمعات الإنسانية من فساد على أوسع نطاق ولا حاجة إلى وضع مناهج وبرامج جديدة لإزاحة السيئات، وسد منافذ الجرائم والانحراف في حياة الإنسان، فإن التمسك بالسيرة الجميلة والسلوك النبيل أنجع علاج لكل ما نعاني منه اليوم في مجتمعاتنا ومجموعاتنا.

أما منا اليوم سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه الأعلام رضوان الله عليهم وسيرة من تبعهم من المسلمين ومن سار سيرهم واهتدى بهديهم، واقتدى بقدوتهم، فهلا نمثل إلى المجتمعات القلقة هذا النموذج في حياتنا في صمت ومن غير إعلان، وهلا نرى ذلك واجبا دينيا، إذا أديناه تكفلنا بصلاح كثير من المنحرفين والفاسدين، خاصة ونحن حملة هذه السيرة وممثلوها، ونعيش في الجو الذي هو بأشد حاجة إلى فرقة إسعاف وإنقاذ.

ومن أحق منا بأن يمثل هذه الفرقة المطلوبة ؟

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2]

[1] سورة الأحزاب الآية: ٢١.
[2] سورة فصلت الآية: ٣٣.

رسالة الإسلام في مواجهة كل جاهلية*

بأي لسان ـ والقلم أحد اللسانين ـ يستطيع المسلم أن يعبر عن مدى اعترافه بالنعمة العظيمة التي أنعم الله بها عليه عن طريق رسوله العظيم محمد صلى الله عليه وسلم، ألا وهي نعمة الإسلام، كيف يتصور أن يقوم بأدنى واجب للشكر والتقدير على هذه المنة التي امتن بها عليه، يوم كانت الدنيا واقفة على شفا حفرة من النار، ويوم كان الإنسان هيكلا من اللحم والعظم وحسب، كان له قلب وعين وأذن، ولكن لا كقلب الإنسان وعينه وأذنه، فكان من جملة الدواب دابة تمشي على رجلين، وترى أن الدنيا مرتع خصب لأهوائها وشهواتها، أطلق الإنسان عنانه ليتجه إلى حيث شاء، وفعلا امتلأت دنيا الناس بألوان وأنواع من الجرائم الوحشية، واختضب وجه الأرض بدماء البشر، وأظلم عليهم الطريق فتاهوا في متاهات من الجور والظلم والعداء والحرب والضرب، ولم يروا بأسا في ارتكاب أقسى المظالم والهمجية، وحتى لم يتحملوا وجود الأنثى في أحضان الأزواج فدسوها في التراب فرارا من عار موهوم كان نتيجة عزة موهومة، بل كان نتيجة التدهور إلى آخر درجة من التسفل والشقاء، وما أروع تصوير القرآن الكريم لذلك المشهد المروع من

* صحيفة الرائد ٢٥/٩ ربيع الأول ١٤٠١هـ.

حياة الجاهلية وشقائها : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ ﴾ (١)

كان من المستحيل أن يتصور أحد تلك الفترة القاسية من تاريخ الإنسان التي سبقت الإسلام، على حقيقتها، ولكن القرآن الكريم قد أغنانا عن ذلك وعرض علينا في الآية المذكورة أعلاه صورة جامعة يستطيع أن يرى فيها المرء ملامح الحياة الجاهلية وأبعاد الشقاء الذي أحاط به من كل جانب، وكيف كانت جذور الشر من كل نوع قد تأصلت إلى الأعماق وخرج الأمر عن طاقة الانسان، ولم يعد أي أمل في بقاء النوع البشري بعد ذلك، وكانت نهاية العالم قد تحققت وقضي عليه للأبد لولا أن الله سبحانه وتعالى رحم الإنسانية، وقضى بإخراجها من هوة الشقاء السحيقة إلى ساحة السعادة الواسعة.

في مثل هذا الوضع المتفجر، في عالم مليئ بالأحقاد والخلافات ودوافع الشر والظلم والقسوة والنفاق والشقاق، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وما أن دعا الناس إلى الله، وطلب منهم نبذ الأوثان وعبادة الله وحده تألبت عليه قوى الضلال والانحراف، وأرادت إسكات هذا الصوت الذي ينادي بنبذ

(١) سورة النحل الآية: ٥٨ ـ ٥٩.

الآلهة ومخالفة الآباء والأجداد في شؤنهم الدينية، وقد اتحدت القبائل كلها على إزاحة الرجل الذي ندد بآلهتها، ودعاها إلى توحيد الله، ولم تك أي حيلة أو طريقة إلا وقد توافرت لديها، وأصبحت قوة تضارع قوة الملوك والدول بأسرها، وكانت المؤشرات كلها تشير إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يصمد في وجه هؤلآء البغاة الطعاة وهؤلاء القساة الغلاظ، وأمام هذا الزحف الكافر الذي كان يملك كل شئ، وكانت بيده القوة الساحقة التي لا تعوقها العوائق ولا تعرقل سيرها العراقيل، ووقفت في وجه الدعوة، وأرادت أن تأتي عليها لآخر مرة، ولكنها فوجئت بالعجز وأصيبت بالخور، وما تمكنت من الإضرار بالنبي صلى الله عليه وسلم رغم وجود الإمكانيات والوسائل المتوافرة الكثيرة لصده، بل للقضاء على مهمته.

لم تنجح أي مجموعة من القوى المعادية والطاقات المعارضة، وهي كثيرة وكبيرة في منع الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاستمرار في عمله بنفس النشاط والقوة والثقة، وفي الحد على مد الدعوة الإسلامية وتيارها، وظلت تتسع وتمتد بشكل غريب جدا حتى شملت القبائل وشغلت القلوب، وإذا بالقوى المعادية كلها تنهار واحدة تلو الأخرى، ويدخل الناس في دين الله أفرادا وجماعات، ولا يبالي المرء بما إذا خالف أسرته وقبيلته في الاعتناق بالإسلام، وتنطلق الموجة العارمة تكتسح المدن والقرى، وإذا بالإسلام تعلو كلمته، ويغلب نبيه صلى الله

عليه وسلم ، ويصبح دينه منهج الحياة الدائم ، ودستور الإنسان الخالد في جميع المجالات والشؤن ، ويعلن القرآن مدويا مجلجلا " ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه" لا برهان أسطع على صدق هذا الدين وخلوده ، وشمول هذه الدعوة واتساعها من نجاح نبي الإسلام وغلبته في ظروف لم تكن تلائمه واحدا في المأة ولو لا أن هذا الدين دين الله الخالد الشامل ، ولو لا أن الرسول صلى الله عليه وسلم نبي الله المبعوث الخاتم ، لما كتب لهما الانتصار والازدهار ، ولما عم خيرهما في عالم البشر .

وكلما تدهور الإنسان وتأزمت الأوضاع وتألبت قوى الشر وأصبحت للرذائل والمنكرات غلبة جاء دين الإسلام فعالج الحياة كلها بالتغيير والإصلاح ، ووضع الأمور في محلها ، وعاد بالإنسان إلى مكانته ، وملأ الدنيا سعادة وبهجة وهدوءا وطمأنينة : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ (١)

(١) سورة الأحزاب الآية : ٦٢ .

ظن خاطئ*

رسالة محمد ﷺ للإنسان والحياة والكون إنما كانت لتقرير الوجهة الصحيحة التي إذا سار عليها الإنسان عاش مضمون النجاح في مسيرته الطويلة أوالقصيرة ، عاش وطيد الصلة بربه مقبلا على تحقيق غايته التي خلق من أجلها ، متجهاً نحو الفضائل والمكرمات ، لا يلويه عن شأنه إغراءات مادية من أي نوع كانت ، ولا تشتريه مناصب كبيرة بأي قيمة ، إنه مؤمن متبع ومجاهد مخلص ، وبطل مغوار ، لا يقبل أي مساومة ، ولا يرضي بأى نقص في ميزان الإيمان والاتباع والجهاد والإخلاص .

أما أن نتخذ رسالة محمد ﷺ وسيلة لإحياء ميلاده ، والإشادة بذكرياته فقط ، ونتشاغل عنها طوال السنة ، نقضي الحياة كلها بالتجافي عنها ، والتباعد عن قصدها ومغزاها ، والفرار عن أداء متطلباتها ومسؤلياتها ، فليس ذلك من شأن الاسلام ولا من روح الرسالة التى جاء بها النبي عليه السلام ، إنما هو غرور وخداع ، يفرح به الشيطان ولا يرضى به الرحمن .

وقد تعودنا نحن المسلمين في هذا الشهر بصفة خاصة أن نبذل كل عنايتنا بالاحتفال يوم الميلاد ، ونعصر في ذلك جميع

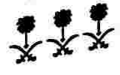
* صحيفة الرائد ٢٧/ ربيع الأول عام ١٣٩٣هـ .

مواهبنا لكي نثبت مدى حبنا لنبي الاسلام وإعجابنا بشخصية محمد عليه الصلاة والسلام ، ولو كنا لا يخطر ذكره على بالنا في غيرٍ من أيام السنة ،ولو كنا نعيش حياة ملؤها فساد وانحرافات ، وجُلها انسحاب عن تعاليم الإسلام ، وفرار عن تعاليم اتباع سنة النبي ﷺ وأتباعه والمؤمنين .

شُغل المسلمون في الفترة الأخيرة بالمظاهر الجوفاء ، والأشكال الفارغة التي تركزت في عقولهم وأفكارهم ، واحتلت منهم محل الحقائق والروح ، وظنوا أنهم بذلك يمنون على دينهم وتراثهم ، ويحسنون إلى تاريخهم وأمجادهم ، ورأوا في ذلك كفاية عن كل واجب ، وكل مسؤلية ، لا ! بل زعموا أنهم أسدوا بذلك إلى الإسلام منة لم يكن السابقون من المسلمين قد أدركوها أو فعلوها .

إن هذا الظن الخاطئ قد أضر بالمسلمين بما لا يتصور ، أضربهم في دينهم ، وأخلاقهم وتراثهم ، وكلما عاش المسلمون في مثل هذه العقلية الضعيفة انحطوا ، ووصلوا إلى الدرك السافل ، وذلك ما نشكوه اليوم من أمتنا ، وذلك ما تشكوه الأمة من أبنائها .

فهل إلى العودة من سبيل .؟



عطاء الإسلام في طريق النبي عليه

الصلاة والسلام*

كلما أحاطت بالمسلمين أنواع من المشكلات والقضايا ، مما يضيق عليهم الخناق ويعكر عليهم صفو العيش ولذة البقاء ، ويؤلب عليهم الشعوب والأمم ، فليتصوروا فجرالإسلام ، كيف واجه النبي ﷺ مع طلوعه من المصائب والآلام ما لا يمكن تقديره ، ولكنه صمد أمام كل مصيبة مهما عظمت ، وأمام كل بلاء مهما طال واشتد ، ولم يزح عن موقفه قيد شعرة ، وكم تآمر الأعداء ضده ، وكم خططوا لإيقاف نشاطه ، وكم وضعوا من العراقيل في طريقه ، ولكنه رغما من كل ذلك ثبت في موقفه من القوم ، وظل يؤدى رسالته في صبر واستقامة ، وينتظر النصر من عند الله العزيز العليم ، وجاءه النصر والتأييد من السماء ، وكتب له التغلب على الأوضاع ، ولقومه المعادين الهزيمة والفشل ، والعودة إلى الوراء ، وللنبي ﷺ التقدم إلى الأمام .

فإذا واجه المسلمون على مدار التاريخ عراقيل ومتاعب من غيرهم ، فإن ذلك سنة أهل الحق وأتباع النبي ﷺ في كل زمان ومكان ، ولا يعوزهم في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام النماذج العالية التي يحتاجون إليها للاقتداء به في أيام

* صحيفة الرائد ١٠/ ربيع الثاني عام ١٤٠٤هـ.

الشدة والبلاء ، وفي فترات النعمة والرخاء ولا ينقصهم فيها مثال من أمثلة الإيمان والصبر والورع والتقوى ، والشكر ، والسرور والفرح ، والصمود والاستقامة والتوكل وجميع الأحوال والظروف التي يجتازها الإنسان في حياته ، فإن الرسول الكريم عليه صلوات الله وسلامه مثال كامل للإنسان الكامل في جميع أحواله وأعماله وظروفه و أوضاعه ، وعلاقاته مع الناس ومع الله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1]

فالمسلمون مدينون إلى دراسة سيرة نبي الإسلام التي لا تماثلها سيرة من السير ، وكلما تعمقوا فيها وجدوا فيها علاجا لأدوائهم ، وبلسما لجروحهم ، وشفاء لما في الصدور ، إن هذه السيرة العطرة موهبة من الله تعالى خلعها على عبده ورسوله الذي اختاره كخاتم النبيين ، وختم عليه النبوة بكل معانيها ومناحيها ، وبكل دلالاتها وخيراتها ، وبكل عطائها ومنحها ، هو الذي تناول الإنسان التائه عن طريقه وغايته ، إلى الهدى ودين الحق ، وهو الذي بث في منابت الوثنيات ومراكز الضلالات نورا بدد الظلام ، ونور الطريق ، وطرد اليأس من القلوب .

وما دام الناس سائرين على الدرب الذي مهده لهم الإسلام ، ومتمسكين بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام وعاملين بكتاب الله ، وشريعته ، استقبلهم العز والنجاح ، وأخذ بهم النصر والخير ، وخضعت لهم الأحوال والظروف وذلت لهم

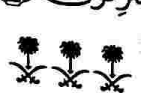
[1] سورة الأحزاب الآية : ٢١ .

العقبات الكاداء ، ولان لهم العيش في ظل الإسلام ، وقد جرّب التاريخ ذلك باستمرار من غير انقطاع منذ أن جاء الإسلام إلى يومنا ، فإن المسلمين كلّما استظلوا بظل الدين والإيمان ، وعاشوا مع الله ورسوله ، واعتصموا بحبل التقوى و الخلق القديم ، دان لهم الزمان ، وأقر بفضلهم العالم ، واقتدت بهم الأجيال والأمم ، ولا يزال هذا الرفد كما كان في يومه الأول فهلا أخذ المسلمون نصيبهم منه .

إن عطاء النبي ﷺ يعم طبيعة الإنسان من كل جانب ، وإن مائدته لممدودة لكل من أراد أن يستفيد منها ، وهو عطاء مستمر لا ينفد ولا ينقص ولا يتقيد بقيود مادية ، فمن أحب أن يسعد حياته ويرفع قيمته ، ويتقرب إلى ربه ويستحق جزاءه ونعمه في الدين والدنيا ، فليسلك ما رسمه النبي ﷺ من طريق للحياة ، وليأخذ نصيبه من هذا العطاء الرباني الكريم : ﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾[1] .

ذاك هو الطريق الأوحد للعز والمناعة والقوة والظهور ، طريق الإسلام وطريق النبي عليه الصلاة والسلام .

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[1]



[1] سورة الإسراء الآية : ٢٠ .
[1] سورة التوبة الآية : ٣٣ .

السيرة النبوية حل لمشاكل العصر*

إن الشريعة التي جاءت مع الرسول الكريم ﷺ هي أكمل شريعة وأدومها، وهي مصوغة من الله سبحانه في قالب الطبيعة الإنسانية بحيث إنها تراعي جميع الشئون والحاجات والأمور التي يحتاج إليها الإنسان في دينه ودنياه، إنها تكيف الحياة في اتزان دقيق وتناسق عجيب، وانسجام تام مع النواميس الكونية والمطالب النفسية، فمن آداب الأكل والشرب والجلوس والقيام، والحديث والكلام والمشي والنيام وحتى آداب الاستنجاء والخلاء إلى طرق العبادات والقربات، وإلى حقوق الأفراد والجماعات، وآداب الحكم والقضاء والعدل والإخاء، والمعاملات والأحكام وفضائل الأخلاق، كل ذلك مشروح مفصل في الكتاب والسنة ومدون في كتب الأئمة والفقهاء.

ثم إن سيرة الرسول ﷺ وحياة الصحابة والتابعين ككتاب مفتوح أمامنا لا يحتاج إلى تحقيق وتدقيق، وفيه كل ما تحتاج إليه الحياة الإنسانية من آداب وأساليب وطرق وتعاليم، في كل مجال من المجالات الفردية والاجتماعية، وفي كل حال من أحوال السلم، والحرب، والأمن والاضطراب، وفي كل

* صحيفة الرائد ٢٢/ ذوالقعدة عام ١٤٠٣هـ.

ناحية من نواحي العيش، وكيف عاشوا مع الأهل والأولاد والأصدقاء والأعداء وكيف عاملوا القريب والبعيد، وبما ذا قاموا في الواجبات والمسئوليات وضرورات المعاش والسياسة وما إلى ذلك.

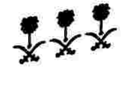
فإذا قابلنا حياتنا بحياتهم، ووازنا سلوكنا مع سلوكهم رأينا بوناً شاسعاً، وفرقاً واسعاً، ورأينا أن جميع أعمالنا تغاير أعمالهم، وأن أخلاقنا تضاد أخلاقهم، حتى إن عبادتنا غير عبادتهم، وعلاقتنا بالله غير علاقتهم به، إن عدداً وجيهاً من المسلمين يؤدي جميع العبادات والشعارات، ولكنها فارغة عن روح العبادة، التي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾[1] ثم إننا إذا عملنا بجانب فاتنا جانب آخر، وإذا أحسنّا أخلفنا المواعيد مثلا، أوعاملنا مع إخواننا معاملة سيئة، وإذا أحسد، إذا العبادة الأخلاق وتظاهرنا بالسلوك الطيب أسأنا أداء الواجبات وقصرنا في الحقوق، وهكذا.. أما أن نكون محافظين على جميع خصائصنا وأخلاقنا وحقوقنا وفرائضنا من غير أن نصاب بنقص أو تقصير فذلك ما يتعسر وجوده اليوم، اللهم إلا رجالا تحروا الدقة والاهتمام في جميع شئون الحياة صغيرها وكبيرها، دقيقها وجليلها، وحرصوا كل الحرص على تطبيق تعاليم الإسلام على حياتهم وتنفيذ شرائع الدين فيما يعيشون فيه، مع النظرة الثاقبة في أمور الدين، والفهم الصحيح الدقيق لجميع أصوله وفروعه والمراعاة التامّة لمقتضيات

[1] سورة الذاريات الآية: ٥٦.

الأحوال والظروف في نطاق الشريعة الإسلامية ، والاحتفاظ بعواطف البر والإيثار والتضحية .

استغنى المسلم عن توجيهات الإسلام وتعاليمه في الأخلاق والسلوك ، وبناء السيرة الفضلى المثالية التي تكون نموذجاً لغيره ، ومثالا يحتذى به ، وباستغنائه عن ذاك ضعفت فيه الروح ، وتهدمت المعنوية وتدهورت الأخلاق وفنيت فيه خصائص المسلم وبقي إنساناً عادياً لا تتحلى حياته بالفضائل ، ولاتتزين سيرته بصفات المؤمن المخلص ، وهنالك تهاجم عليه أنواع من الفساد الخلقى والروحى ، والتجأ إلى نفسه شهوات ورغبات ، ورأى أن العاقل من يتبادر إلى نهب اللذات والتمتع بالطيبات ، وإن كان ذلك على حساب الفضائل والقيم ، والأخلاق والضمائر ، وعلى حساب الحقوق والواجبات .

إن السيرة الإسلامية تنادينا أن نتحلى بها ، ونخلع ما ارتديناه من لباس الضالين المغضوبين ، وما التزمناه من سيرة اليهود والنصارى الذين لاخلاق لهم في الدنيا والآخرة ، ويوم نرمي هذا اللباس ونرتدي لباسنا الأصيل ونتحلى بسيرتنا الإسلامية نجد أن مستوانا ارتفع في كل جزء ، وحل فينا الإيمان محل التزعزع ، والقوة محل الضعف ، والكرامة محل المهانة ، والمهابة محل الجبن ، والقيادة محل التقليد ، وهنالك لا نجد أنفسنا في إعراض عما إذا أصيب جماعة من إخواننا أو بقعة من وطننا بمصيبة أو أذى .



خاطرة الشهر*

ليس من الاعتراف بالجميل أن نحتفل مرة في كل عام بذكرى مولد الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونتناسى طول العام ما جاء به محمد ﷺ من حياة جديدة للإنسانية ؛ ومن انتفاضة كريمة للمجتمع البشري ، وليس من الإنصاف أيضاً أن نتغافل ولو للحظة واحدة سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وحياته الحافلة بجلائل الأعمال وتاريخه الزاخر بالعجائب والمعجزات .

إن بعثة الرسول ﷺ إنما كانت منة كبرى على العالم كله ، وهو الذي غير مجرى التاريخ ، وحول الأمم المتناحرة ، والقبائل المتقاتلة ، والطوائف المتعادية إلى أمة إسلامية لا تعرف غير الحب والوئام ، ولا تعيش إلا في سلم وسلام ، وهو الذي رفع الإنسان من مصاف البهائم إلى منزلة أسمى ، ومن درك الشهوات إلى أوج الطاعات ، ولولاه لم يكن هذا العالم كما نشاهده اليوم ، ولم تكن في الأرض أمة ، لها شأنها ومكانتها كالأمة الإسلامية .

إن العالم البشري كله مدين بهذا الرسول العربي ﷺ في كل شيئ ، في تاريخه و حضارته ، وعلومه وآدابه ، وثقافته و

* صحيفة الرائد ١٦/ يونيو ١٩٦٨م .

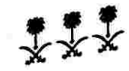
مدنيته ، واكتشافاته وآلاته ، ولا سيما المسلمين ، فإنهم لن يستطيعوا أن يتبرؤا من منته وينكروا فضله ، ويأبوا أياديه الكريمة النقية عليهم .

وقد كان من واجب هذا الجميل علينا أن لا ننسى ولا لمحة واحدة ما يعود علينا من حق هذا الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وأن نستوحي منه دائما ما يقوي إيماننا ، ويثبت أقدامنا ، ويشحذ عزائمنا ، ولكننا - مع الأسف - تناسينا فضله ومنته ، وتجاهلنا حقه من الطاعة ، والاقتداء ، والعمل بتعاليمه التي جاء بها من عند ربه ، وهذا لا شك نكران بالجميل ، وجحود بالنعمة ، وكفران بالمنة وكنود ومعصية لله تعالى .

يقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾ (١)

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ (٢)



(١) سورة الأحزاب الآية : ٤٥-٤٦-٤٧.
(٢) سورة الفتح الآية : ٨-٩.

المعجزة الكبرى للسمو الإنساني *

لا يدرك قيمة السمو والنزاهة إلا من يدرك قيمة الإنسان ودوره في هذا الكون ، والإنسان بطبيعته ميال إلى السمو ، محب للترفرف إلى أجواء فسيحة للحب والولاء والسلام والدعة ، ولكنها أغراض نفسية ، وميول خسيسة . وأعراض دنيئة تهبط به إلى السفل وتزيحه عن مركزه الحقيقي فتنزل به إلى مصاف الحيوان بل إلى أخس من ذلك ، كما تشير إليه الآية الكريمة في القرآن : ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (٢)

ولعل الإنسان أخس خلق الله وأرخصه إذا ما تجرد عن السمو والنزاهة ، وخلع لباس الإنسان وارتدى لباس الشيطان ، وهنالك تمتلئ الأرض جوراً وفساداً ، وظلماً ، وقساوة ، وقتلا ونهباً ، ولقد شهد العالم مناظر هذه الهمجية التي تولاها الإنسان في أرض الله مراراً وتكراراً وتكررت قصة الحروب المدمرة والملاحم المشؤمة في تاريخ البشر بما لا يوصف ، مثل فيها الإنسان دور السباع الضواري مع إخوانه وأسرته وفي قبيلته بما لا يمكن التعبير عنه .

* صحيفة الرائد ١٦/ رجب و ٣ شعبان ١٣٩٦هـ .
(٢) سورة الأعراف الآية : ١٧٩ .

وكذلك يزخر التاريخ البشرى بأمثلة السمو الخلقي والايثار النفسى والعظمة والنزاهة بحيث لا يمكن أن يأتي عليها الحصر ، وقد تم ذلك عندما اتصل الإنسان بمنبع القوة والعز والعلو، وتوثقت صلته بالله تعالى وخضع له كعبد ، مقراً بضعفه ، معترفاً بعجزه ، متظاهرا بعبوديته بأكمل مظاهرها وأجمل صفاتها ، وأحلى خصائصها .

والإنسان في هذا العلو والشفافية ، والنقاء ، وفي هذا الإيمان والرقة ، الليونة ، مدين بأعظم إنسان ، وأكرم نبى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ، ذلك الرسول العظيم الكريم الذي عاد بالإنسان من شقائه الذي كان بسوده ومن تعاسته التي كان يعيش فيها ، إلى ساحة العز والكرامة وإلى منزلة أرفع من منزلة الملائكة ، حيث أعلن القرآن مدوياً مجلجلا : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[1] هذا التكريم والتفضيل منحة من منح رسولنا العظيم محمد ﷺ الكثيرة التي أكرم الله بها هذه الأمة ، ولقد كان اقتراب رسول الله ﷺ إلى جلالة الرب تبارك وتعالى ليلة الاسراء قمة هذا التكريم ، ومنتهى هذه العظمة التي نلناها عن طريق نبينا ﷺ .

عرج بالنبي ﷺ إلى سدرة المنتهى حيث غمره النور الإلهي من كل جهة وتسرب إلى كل جزء منه حتى عاد نوراً كله ، وهنالك

(١) سورة الإسراء الآية : ٧٠ .

ظهرت المعجزة الكبرى للسمو البشري ، وتحقق أن الإنسان كلّما اقترب إلى الله واتصل به وكلما استضاء من هدايته وتعاليمه ، فاز بأعلى منازل العلم والخلق والنزاهة ، وظهر على منصة هذا العالم كالإنسان العظيم ، والقائد الحكيم ، وآية الله في خلقه .

ولولا هذا التكريم من الله لم يكن الإنسان إلا حفنة من تراب ، أو قبضة من حصاة ، ولكنها منة الله عليه عن طريق هذا النبي العظيم الذي أكرمه بالمعراج ، وزينه بأزكى الصفات ، وأسمى منزلته بمكارم الأخلاق ، وأعلى قدره بفضائل السمات والعادات .

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾[1]

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ﴾[2] إلى أن قال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾[3]

(١) سورة الإسراء الآية : ١ .
(٢) سورة النجم الآية : ٨ ـ ١١ .
(٣) سورة النجم الآية : ١٨ .

أين الطمأنينة*

الناس متعطشون إلى شئ يملأ جوانح نفوسهم بما يسمى الطمأنينة ، إذ أن الطمأنينة مفقودة رغم توافر كل متعة من المال والحكم والقوة والغلبة ، والنجاح ، والحضارة ، والعلم والصناعات ، وآراء الناس في ذلك مختلفة ونظراتهم متباينة ، فإن الفقير الذي لا يملك المال يعتقد كل الاعتقاد أن المال هو المصدر الرئيسي للطمأنينة ، وبه وحده يطمئن القلب ويرتاح الضمير ، وبه يجد الإنسان في نفسه دافعاً إلى الطموح والسعادة .

أما الغني فيرى أن مجرد الغنى بدون الحكم والعلم والغلبة لا يفيده معنى الطمأنينة والهدوء ، بل ولا بد لذلك من قوة حكم ودولة تمكنه من العيش في ظل الطمأنينة ، وكذلك من يتمتع بقوة الحكم والدولة يعيش في خوف مرة وحزن أخرى ، وقد تحيط به الأخطار والقلاقل والمخاوف من كل جانب ، فيعتقد أجزم اعتقاد أن الطمأنينة لا تتيسر له ما لم ينجح في نشر السعادة والرفاهية في المجتمع والبلد كله .

وهكذا العامل باليد وحامل والفكر ، والمشتغل بالعلوم والحضارات والعاكف على الأمور القومية والزعامات

* صحيفة الرائد ١٩ شعبان عام ١٣٩٦هـ .

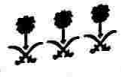
السياسية ، كلّهم يشتكون من اضطراب النفس وفساد الأوضاع ، ونبوء أوساط الناس بهم ، وعدم مواتاة الجو الذي يعيشون فيه ، فهم يفتشون عن سبب ذلك ويبحثون عن الطريق الذي يتولى الوصول بهم إلى ساحة الهدوء والطمأنينة ، ولكن دون جدوى .

إن عقلاء الأرض مختارون في قضية طمأنينة القلب ، إنهم درسوا ويدرسون الموضوع في ضوء الفلسفة وعلم النفس ويتناولون مواضع الفكر والشعور في الجسم البشري بالتحقيق والشرح ، والدراسة العميقة ، ولكنهم لا يهتدون الطريق الحق في ذلك ، وتبوء كل جهودهم بالفشل والإخفاق ، وقد رأينا أن جماعة من الناس في الشرق ، والغرب كليهما التجأوا إلى التمسك بالجانب الروحي وقضاء وقت من أوقاتهم في خلوة النفس والتفكير في ذات النفس والصلاة على طريقتهم ، ووجدوا أنهم طول اشتغالهم بهذه العملية الروحية يشعرون براحة وطمأنينة ولكنهم فور ما ينفكون عن هذا العمل ، ويرجعون إلى نشاطهم العادي وعملهم المألوف يعاودهم الاضطراب والقلق وعدم الثقة بالنفس .

إن هؤلاء وإن كانوا لا يهتدون الصواب في أداء صلواتهم ، وخلواتهم ، إلاّ أنهم يجدون فيها بعض ما تخفف همومهم وتطمئن به قلوبهم وتهدأ به نفوسهم ، إنهم حينما يقومون بكل ما يقومون باسم العبادة والدعاء لطف الله بهم ويوجه إليهم ذرة من الطمأنينة والهدوء ولكن المسلم الذي تدور

حياته كلها حول كلمة الله والتفكير في آيات الله والاتصال بنعم الله ، فلا يشغل بأعماله الرتيبة إلا وهو يجد الله أمامه ، ويتمثل له تعاليم الإسلام ، فلا تتجاوز قدمه حدودها ، وذلك ما يعني ذكر الله ، وبذكر الله تطمئن القلوب ، كما صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[1] وكما جاء في حديث جبريل أنه سأل رسول الله ﷺ عن الاحسان فقال : ما الإحسان ؟ فقال رسول الله ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فمن أراد أن يعيش مطمئن القلب هادئ البال فليدخل في حظيرة الإسلام ، ومن دخل كنف الله والتجأ إلى الله ، وتمسك بشعائر الله ، ولم ينقطع عن ذكر الله عاش سعيداً مطمئناً ، سواء كان غنياً أو فقيراً ، عالماً أو جاهلا ، حاكما أو رعية ، قوياً أو ضعيفاً ، متقدماً أو متخلفاً ، مهما كان ، ومن أي نوع كان ، فإن مصدر الطمأنينة هو الله وحده : ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ ﴿٣﴾﴾[2] ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾[3]



(١) سورة الرعد الآية : ٢٨ .
(٢) سورة الطلاق الآية : ٣ .
(٣) سورة التغابن الآية : ١٣ .

جاهلية القرن السادس وجاهلية القرن العشرين *

ما أشبه الوضع الإنساني اليوم بالوضع الذي عاشه إنسان القرن السادس والسابع الميلادي قبل بعثة النبي ﷺ ، فالجاهلية هي الجاهلية ، إلا أن الجاهلية الأولى كانت في ظل الحضارات الرومانية والفارسية ، والجاهلية الحاضرة تشرف عليها حضارات الغرب والشرق ، الجاهلية الأولى كان يقودها العصبيات القبلية والعنصرية ويغذيها العداوات والحزازات والتنافر والتناحر بين الإنسان والإنسان ، ولكن الجاهلية الحاضرة يتزعمها الفلسفات المادية والنظريات الراعنة ، الموازين الباطلة والمقاييس الزائفة ، ويغذيها الحقد والعداء والطمع والجشع ، وتكتنفها العقلية المحدودة المحصورة بين قطاعات إقليمية وقومية ولغوية وحضارية ولونية وجنسية ، إذا كانت الجاهلية الأولى تعتز بأسواقها ومهرجاناتها وحروبها ورجالها ، فإن الجاهلية الحاضرة تعتز بعواصمها ومؤتمراتها العالمية ، وبسباقها في صناعة الأسلحة النووية وخبرائها الفنيّين ، إذا كانت الجاهلية الأولى تتسابق في وأد البنات وإهانة المرأة وتكبيل عواطف الأمومة وتضيق مجال

* صحيفة الرائد ٢٨/ ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ .

الأسر ، فإن الجاهلية الحاضرة تتسابق دولها في تحديد النسل ، وعرض المرأة كسقط المتاع ، وتشجيع ممارسة العمليات الجنسية الحرة (الفاحشة العلنية) وتعلن عن جوائز ذات قيمة ومناصب عالية لمن يتبنى مبدأ تحديد النسل ولا ينجب أكثر من ولد وبنت .

وهناك وجوه كثيرة أخرى مماثلة تشارك فيها الجاهلية الحاضرة الجاهلية الأولى .

ولما طغت الجاهلية في فجر تاريخها وبغت ، وصارت لها جولة وصولة في المجتمعات الإنسانية ، أشرف الإنسان على فقد خصائص الإنسانية كلها ووقفت البشرية على شفا جرف هار ، وكاد يفنى العالم وتنتهي الدنيا بجميع ما فيها من حضارات وقوميات ومدنيات وصناعات ، ولكن الله قضى في ذلك الوقت العصيب والوضع العجيب ببقاء هذا العالم وإخراجه من ظلمات الجاهلية والشقاء إلى نورالإيمان والسعادة ، وبعث محمداً ﷺ برسالة جديدة تكفلت بأخذ بيد الإنسان الحائر الواقف على هوة الهلاك ونجت به إلى ساحة الحياة والسلام ، وبدعوة جديدة بعثت في القلوب الثقة بالله والإيمان بالتوحيد ، فعرض الرسول الكريم ﷺ على إنسان عصره دعوة الله وتلا عليه آياته وزكاه من تلوثات الجهل والشرك وعلمه كتاب الله وحكمته ، وتحمّل كل مشقة في بث الهداية ونشر الفضائل ، والمنع عن سفاسف الأمور وتوافه الأغراض ، وإخراج الناس من الضلال والظلمات إلى الرشاد والاشراق .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾ [1]

ومن هنالك تبدلت الأرض غير الأرض ، وتغير كل شئ ، وارتجع الناس إلى حظيرة الإسلام وساد العالم جو من الحب والتعاون وروح من الأخوة والمودة ، وتمسكوا بحبل الله جميعاً وعاشوا في هدوء وهداية ، وأمن وطمأنينة ، وعز وعبادة ، وعلم وعقل ، وسمو ورفعة ، ونصح وإيثار ، وسلام ووئام ، فكلما أراد أن يفكك الشيطان عروتهم ويفتت قوتهم ويشتت وحدتهم تذكروا قول ربهم : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [2]

وأسرعوا إلى التطبيق العملي من غير تأخير .

فإذا كانت الجاهلية الأولى قد قضى عليها رسولنا العظيم بدعوته التي جاء بها ، وببلاغه الذي وجهه إلى العالم ، فكيف نرجو أن الجاهلية الحاضرة يقضى عليها بغير دعوته وبغير بلاغه ، وكيف نتوقع أنها تنتهي بمواصفات حضارية أو صناعية وبفلسفات علمانية ونظرات مادية ؟ كيف نأمل أنها تزول

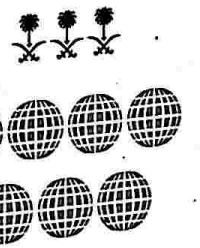
---

[1] سورة الجمعة الآية : ٢ .

[2] سورة آل عمران الآية : ١٠٣ .

بأساليب سياسية ماكرة وبمجالس الأمن في أمم متحدة ، وبلقاءات على مستوى قمة ، واتفاقيات الأمن بين معسكرات كبرى وتوابعها ؟!

كلا بل لا تنتهي إلا بهداية الله تبارك وتعالى التى جاء بها محمد ﷺ ، وبكلمة الإسلام التي نادى بها رسول الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام : ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ [1]



[1] سورة عبس الآية : ١١ ـ ١٢ .

الباب الثالث
الإسراء والمعراج

من وحي فلسطين*

كلما أظلنا شهر رجب الحرام تذكرنا قصة الإسراء التي أخلدها التاريخ كمعجزة كبرى للسمو الإنساني.

وبهذه المناسبة نتمثل فلسطين الحبيبة القبلة الأولى للمسلمين، و موطن الخليل و أولاده العرباء الذين نالت بهم هذه الأرض ذكراً رفيعاً وقد سية وكرامة، ثم نتمثل فلسطين الحاضرة فنبكي دما لهول المأساة التي وقعت فيها ولاتزال.

وهي أن اليهود احتلت فيها على رغم أهلها وسيطرت عليها وطناً ودولة، وقامت الصهيونية العالمية تساندها، وتقوي وسائلها لتعذيب العرب ولتشريدهم، والإبادة والعنصرية بما لا يوجد له نظير في التاريخ.

ولا تزال دولة إسرائيل المزعومة ولا تزال الصهاينة المحتلة تدوس هذه الأرض التي لها قدسيتها ومكانتها وتتصدى أمام العالم بوقاحة تعلن أن فلسطين وطن اليهود من قديم، فلها الحق كل الحق أن تتصرف فيها كيف تشاء.

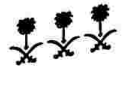
* صحيفة الرائد رجب عام ١٣٨٦هـ، ونوفمبر سنة ١٩٦٦م.

و أيدت دول العالم الكبرى مواقف إسرائيل من فلسطين على رغم إنكار العرب واحتجاجاتهم ونداءاتهم وصرخاتهم ، بل وقد ساعدتها بإمكانيات ووسائل لتظل جاثمة على صدورهم تعيث فيهم قتلاً وتشريداً وإبادة وإفناءً .

واستنكر المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها هذا الظلم والعدوان السافر ، و طالبوا انحياز إسرائيل من هذه الأرض المقدسة ليعيش العرب في موطنهم الحبيب مطمئنين ، ولكن صوت الحق والإنصاف لم يلق عناية ، وراح أدراج الرياح ، وظل العرب في فلسطين يذوقون أسوء أنواع التعذيب و أخس ألوان الظلم على يد اليهود الغاصبين .

وذلك لأن الدول الكبرى تحثهم على هذا الظلم والعدوان وتشجعهم على البقاء في أرض العرب بكل وقاحة وجبر واستبداد .

وقد بلغ أسانا وهمنا مبلغاً لانهاية له حينما رأينا وسمعنا أن مأساة إخواننا الفلسطينين قد بلغت إلى أخر المدى أخيراً ، والعدو الصهيوني يُمطر القنابل على ديارهم ومساكنهم ، ويقذف النيران من خلال الدبابات التي لا تبقي ولا تذر من الأرواح والممتلكات ، فقد بلغ عدد الضحايا إلى ما لايأتي عليه الحصر ، وبلغ الظلم إلى آخر حد .



على هامش الإسراء والمعراج *

الحياة الاجتماعية التي صنعها الإسلام ورفع صرحها على أسس متينة من القيم الإيمانية والفضائل الخلقية هي في الواقع ضمان للسعادة والسلام ، والحب والأخوة ، ومنارة عالية بين المجتمعات البشرية التي قامت أو تقوم على أساس زائف ، والحضارات المادية التي برزت في كثير من أنحاء العالم كنتيجة للصراع العنيف الذي حدث بين الدولة والكنيسة ، وبين حملة لواء العلم والدين ، في القرون الغابرة في أوربا بالذات .

أما الحضارة الإسلامية التي مثلت دوراً كبيراً في المجالات الإنسانية من الوحدة والأخوة ، والحب والسلام ، والأمن والوئام ، ومنحت للإنسان مثلاً عليا تميزه عن غيره من الخلق ، فهي الحضارة الإنسانية قبل كل شئ ، وهي التي رفعت قيمة الإنسان ، وبلغت به إلى منازل عالية من الفضائل والشرف والكرامة ، ووثقت صلته بالخالق العظيم ، بل الحق أنها ربطت مصيره بالملكوت الدائم ، ومن ثم ذابت جميع الوسائط والوسائل التي كان الناس أيام الديانات السابقة يتعلقون بها ، ويتخذونها ذريعةً للتوصل إلى الله تعالى ، ولكن الحضارة الإسلامية حررت الإنسان من جميع هذه العلائق ومن

* صحيفة الرائد ٣/رجب ١٤٢٤هـ .

السماسرة الذين كانوا يتوسطون بين العبد والمعبود، زعماً منهم، ومهدت له الطريق مفتوحاً إلى الله تعالى بصورة مباشرة.

وأعلن كتاب الله تعالى مدوياً مجلجلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾[1] إن هذا الإعلان الرباني الكريم يؤكد أنه ليس هناك أي بعد بينه وبين عباده المؤمنين، وأن جميع الأبعاد الافتراضية والفواصل المصطنعة، قد ذابت من غير تأخير واتصل العبد بالمعبود بدون أي انتظار أو واسطة، واتصلت الأرض بالسماء بصورة مباشرة ودائمة.

وقد تبين هذا الاتصال بغاية من الوضوح في واقع الإسراء والمعراج الذي انطلقت فيه الإنسانية من حضيض المادة والشهوات إلى أوج الروحانية وسمو النفس، وتحرر فيه الإنسان من قيود الحدود والثغور المصطنعة للاتصال بذات الله سبحانه وتعالى، وخرج من عبادة غير الله، لكي يلتجئ إلى حظيرة الله تعالى، ويتخلص من إسار الشيطان إلى كنف الرحمن.

إن ذكرى الإسراء والمعراج لها صلة ماسة بالبلد المقدس فلسطين التي احتلتها إسرائيل، واغتصبت الأراضي المقدسة وحتى القدس وبيت المقدس، بعد نكبة حزيران ١٩٦٧م، ولا يخفى على العالم ما يقوم به الكيان الصهيوني اليوم من إجراءات قمعية وتعسفية عدوانية في فلسطين، والقدس، ضد المسلمين الفلسطينيين.

[1] سورة التوبة الآية ١١١.

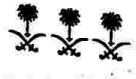
وكرد فعل برزت على الساحة حركات ومنظمات للمقاومة، وللحيلولة دون الأهداف العدوانية التي تقوم بها إسرائيل من خلال تهويد فلسطين، وإبادة المسلمين بطرق شتى، واستدعاء اليهود من جميع أنحاء العالم للتوطن في فلسطين.

وما يجري اليوم على الساحة من المهازل السياسية واللعب الشيطانية، ومن تصفية وجود المسلمين الفلسطينيين بالقذائف والقنابل والأسلحة المدمرة، ومن خلال آلات التعذيب والتنكيل، لم يعد خافياً على أي إنسان يعيش في أي بقعة من العالم.

ولكن الضمير العالمي قد مات، ودوافع العدل والإنصاف قضي عليها بالزوال، والدنيا تتفرج على هذا العدوان، ولا تنبس ببنت شفة ضد قتلة الأنبياء، وسفاكي دماء الأبرياء.

وسيأتي النصر ــ بمشيئة الله تعالى ــ في يوم قريب، وما النصر إلا من عند الله.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾[1]



[1] سورة الإسراء الآية: ٨.

رسالة الإسراء إلى أمة فلسطين وحكام المسلمين*

في ليلة السابع والعشرين من مثل هذا الشهر (رجب الحرام) الذي نجتاره كل عام ، شهد الركب الإنساني أكبر حدث في التاريخ ، وسعدت البشرية بأعظم سعادة في هذا العالم ، وهي سعادة انفردت بها أمة محمد ﷺ دون سائر الأمم ، وخص بها رسولنا العظيم محمد ﷺ بين جميع الأنبياء والمرسلين .

إنها ليلة الإسراء والمعراج ، ليلة المعجزة الكبرى للسمو الإنساني وليلة اجتماع الأرواح النزيهة بمحمد ﷺ ، واتصاله بالرب تبارك و تعالى ، وتقربه إليه ، والمناجاة معه ، فإذا عرج بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السماء عرج بأمته إلى أسمى درجة من العز والكرامة ، وآخر منزلة للشرف والسعادة .

إن هذا الحدث التاريخي العظيم الذي لا ينساه التاريخ البشري على طول مداه إنما يوحي إلينا أسرار الله البالغة في الكون والإنسان ، ويشير إلى عبر ومواعظ تملأ القلوب رهبة ورغبة ، وتشحن النفوس بعجائب قدرة الله التي أودعها في

* مجلة البعث الإسلامي نوفمبر عام ١٩٦٦م .

نفس الإنسان وبما أكرمه الله به من مكانة الخطاب القدسي ، ومنصب الخلافة الإلهية .

إنه يشير إلى أن العلاقة بين الإنسان وربه قديمة متينة لا تقوم على أساس ضعيف ، وإنما هي علاقة العبد والمعبود ، وعلاقة الرب والمربوب ، وهو لا يستغني عن الله في أي حال من الأحوال مهما طغى وبغى ، ومهما جال وصال ، ومهما علا واستكبر في حياته الدنيا ، فإن مصيره إليه ، ومعاده إلى دار الحساب .

وما حديث الإسراء إلاّ انطلاق الإنسانية من حضيض المادة و الشهوات إلى أوج الروحانية وسمو النفس ، والتحرر من قيود الحدود والثغور المصطنعة للاتصال بذات الله سبحانه وتعالى، والخروج من عبادة غير الله للالتجاء إلى حظيرة الله ، والتخلص من قيود الشيطان إلى كنف الرحمن .

لقد خص الله سبحانه وتعالى أمة محمد ﷺ بهذا الشرف العظيم ، وجعلها خير أمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ ﴿١١٠﴾﴾[1] ومنحها قيادة العالم لهداية التائهين إلى الصراط القويم ، ودعوة الناس جميعاً إلى رسالته التي تضمن سعادة الإنسانية بأسرها ، وتتكفل تحقيق حاجات الإنسانية ومطالبها في كل حين وآن .

[1] سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

إن ذكرى حديث الإسراء وقصة المعراج إنما تذكرنا شرف المكانة التي نلناها كأمة محمد عليه الصلاة والسلام ، وعظم المنصب الذي تقلدناه كخير أمة في هذه الأرض ، إنها تتطلب منا أداء تلك المسؤلية الضخمة التي تعود إلينا ، والقيام بذلك الواجب الذي حملناه على عواتقنا منذ دخلنا حظيرة الإسلام ، وانتمينا إلى نبي الإسلام ، ودُعينا مسلمين .

وكان من حق هذا الاسم ، وحق الانتماء إلى رسولنا الكريم أن نؤدى أمانة الله التي حملناها وهي أمانة الإنسانية بأسرها لا تخصُّ بقوم دون قوم أو قطر دون قطر ، إنها أمانة الله الخالدة العامة الشاملة تحيط بجميع الناس وتعود إليهم كمسؤلية ضخمة ، إذا أعرضوا عنها كذبوا الله ورسوله ، وخانوا أمانتهم وعهدهم ، وأساؤا إلى أنفسهم وإلى المجتمع الإنساني بأسره : ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾[1]

ولكن هل قمنا بهذا الواجب الكبير خير قيام ؟ وهل شعرنا بضخامة المسؤلية التي عادت إلينا ؟ ورأينا في شخص محمد ﷺ - رسول الإنسانية ومنقذها - غنى عن جميع الرسالات والفلسفات ، والشعارات والشارات ، وكلما جابهتنا مشكلة من المشكلات الاجتماعية أو الفردية بحثنا عن حلولها

[1] سورة الأحزاب الآية : ٧٣ .

في دعوة الرسول وآمنا بأنها هي الحل الوحيد لكل معضلة ، اجتماعية كانت أو سياسية ، وأنها هي الينبوع الفياض الذي تستقي منه الإنسانية طراً ، وتغترف منه البشرية على اختلاف الأجناس والألوان وتباين الديار والأوطان وتنائي الأقطار والأنساب ؟

كلا ! إننا لم ننظر إلى الرسول ﷺ ، ولا إلى رسالته الخالدة التي جاء بها ، كعلاج ناجع لداء المجتمع البشري ، ولا كحل وحيد لمشكلات الحياة ، بل إننا لم نسمح للرسول عليه الصلاة والسلام ولا لدعوته بأن يخطرا ببالنا إذا خضنا في السياسة والاجتماع أو عقدنا مؤتمراً للتفكير في المشكلات الدولية ، أو إعادة الأمن والسلام إلى الأرواح والأموال ، بل ورأينا من العار أن ننظر إلى الله والرسول ، وإلى تعاليم الإسلام حينما جلسنا في قاعة المجلس التشريعي لوضع دستور البلاد ، والتفكير في صيغته ، وخفنا أشد الخوف أن لا يبدر اسم الله أو الإسلام أو الرسول في أي مكان من ذلك الدستور لكيلا يتسم بالرجعية ويتهم واضعوها بالرجعيين ، حتى في الأمور الدينية البحتة تجنبنا ذكر اسم الله والرسول والإسلام ، ألم يكن من حق الانتماء إلى رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام أن نعتبره الشخصية المثالية المركزية التي تدور حولها حياة أتباعه في كل صغير وكبير ، وعند كل دقيق وجليل ، ثم نفتخر بذلك أمام الأمم المتحضرة التي أفلست في القيم الخلقية والمثل العليا ، وندعوها إلى

الاستقاء من هذا المورد الصافي والمنهل العذب ، فنكون بذلك قد أحسنا إلى الأمم المفلسة ، وأسدينا إلى الإنسانية معروفا لا ينسى يد الدهر.

فلم يكن منا إلا أن تناسينا الله والرسول في كل مناسبة ، ونبذناهما وراءنا ظهرياً ، ولم نحتمل ذكرهما إلا في حدود الجوامع في أوقات الصلواة والأذان وعلى منابر الجمعة فقط ، وذلك أيضاً لمصلحة سياسية ، وزعمنا أن " الرجعية "ولت بدون رجعة ، فلن تنال مكاناً على وجه الأرض ، وأن الدين انقضى شأنه في حياته اليوم ، فلا دين إلا ما يبدر من أفواه الكفار والمشركين من كلام سياسي فارغ في أوربا وأمريكا و روسيا ، ولا خلق إلا ما يمثله الداعرون والداعرات في الغرب ، ولا المثل العليا إلا ما ينشر من منابر موسكو و واشنطن ، و لندن ، وبلغراد ، من أكاذيب وأضاليل ، ووقاحة ومجون.

وهنالك نالت مطالع الدنيا إعجاب أتباعها ، وأذنابها في الشرق ، في قبة الإسلام ، حيث الأزهر والأهرام ، وحيث الشعب المسلم ، والعلم والعلماء الذين يتصل بهم تاريخ العلم والجهاد وجزء مشرق من تاريخ الإسلام الزاهر الطويل ، حتى إن الأذناب قاموا - عن جهل وبلاهة عقل - بقطع البلاد الإسلامية كلها من تاريخها الإسلامي الزاهر وماضيها الديني المجيد ، وتطهيرها من مد الإسلام العميق ، وإبعاد الشعب الإسلامي عن مصدر الحياة والنور ، وقطع صلته بالكتاب والسنة وشخصياته

الإسلامية ، فبدأوا بالحبس والنفي ، والقتل والشنق والتشريد ، وزعموا أنهم سيخنقون صوت الإسلام في مهده بهذا الأسلوب البشع ، وينفسح لهم المجال لكل غواية ودعارة وعبث وفضول.

إن لفلسطين صلة ماسة بذكرى الإسراء والمعراج ، وإن النكبة التي احتلت فيها لم تعد خافية على العالم الأقصى والأدنى ، وهي لا تزال تعاني الاحتلال الصهيوني ، ويذوق أهلها من التعذيب والتشريد على يد اليهود ما لا حد له ولا نهاية ، ويتألم العالم الإسلامي كله بهذه المأساة التي حدثت مع الغرب على يد الصهاينة ويبكي دما ، غير أن هذه المشكلة لا تجد حلولا واقعية ما دام قادة محترفون من الغرب يبيعون ضمائرهم وأرواحهم بيد الغرب ويترسمون خطى سادتهم في أوربا وأمريكا وروسيا ويوغوسلافيا ، وهم الذين يصادقون اليهود ، ويمولونهم لمواصلة التعذيب والتشريد مع العرب في فلسطين ، ثم يساعدونهم بالأسلحة سراً وجهراً ، يحمون ظهورهم لدى كل مناسبة.

إن هولاء القادة المحترفين الذين لا يرضون بخطاب أقل من " الرئيس " و " الزعيم " و " منقذ العروبة والعرب " ، إنما يساومون اليهود وسيبيعون يوما فلسطين بدارهم معدودة - لاقدر الله تعالى - ليبيدوا العرب من فلسطين وما جاورها ، ويقيموا حكومة يهودية صهيونية فى قلب العالم العربي ، وذلك لأنهم يعرفون جيداً أن سادة الغرب لايرضون إلا بمثل هذه المساومات.

إن هولاء القادة المحترفين مثلوا ولا يزالون يمثلون دور جنغيز وهولاكو، في وطنهم ومع شعوبهم، ويشوهون وجه الإسلام اللامع في مركزه بوحي من سادتهم وأصدقائهم، ويتهمون الدين بالرجعية ويمحون تعاليم الإسلام ومعالمه من القلوب، ويستوردون فلسفة الغرب وشعاره فينفذونها في كل شعبة من شعب الحياة، ويرغمون أمتهم وشعوبهم على الخضوع أمامها، والإيمان بها كعقيدة دينية.

إذن! فلا غرابة إذا تشدقوا بأسماء الفراعنة وتبجحوا بالانتماء إلى أبناء الفراعنة، وصادقوا أعداء الإسلام ومتكبري الكفار، وتفاهموا مع إسرائيل سراً، وتآمروا على سلامة الوطن العربي والإسلامي، وسفكوا دماء الأبرياء في وطنهم بقسوة منعدمة النظير، وحاكموا الدعاة من المؤمنين الأبرار في محاكم عسكرية مزعومة، فقتلوا خيرتهم وعذبوهم وشنقوهم، و زجوا خمسين ألفاً في غياهب السجون و ❖❖ و ❖❖❖❖!

كل ذلك ليقضوا على الدين والعقيدة نهائياً، فليعلموا أن دين الله لن يقضى عليه، مهما تآمروا ضده وتألبوا عليه؟

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾[1]

❖❖❖

[1] سورة الصف الآية: ٧.

درس من الإسراء *

أسري برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى حيث تم اللقاء والتعارف بينه وبين الأنبياء السابقين (عليه وعليهم الصلاة والسلام) ومنه عرج به إلى السماء، فكان حادث المعراج الذي تم به الاتصال بين السماء والأرض، وذلك هو المؤشر الحقيقي إلى أن الإنسان المسلم لا يستطيع أن يعيش في سعادة وهناء ما لم ترتبط حياته برب الكون ارتباطاً مباشراً، لقد أكد الإسلام هذه الحقيقة الخالدة بحادث الإسراء والمعراج، وركز على بناء الحياة الإسلامية في تطلعات وآمال نحو السماء التي تتكفل بمستقبل المسلم اللامع والسعادة التي تجمع بين حسنتي الدين والدنيا.

أما الإنسان الذي عاش قبل الإسلام فقد كان بمعزل عن هذا التصور الجامع وهذا المفهوم الواسع للحياة، لم يكن هناك ما يؤكد أن الإنسان يقدر على الاتصال بالله تعالى مباشرة بدون أي واسطة، فقد كانت الديانات وأصحابها الممثلون لها يتولون توسيع الفجوة بين الإنسان وربه، وكانوا يبذلون أقصى جهودهم في إبعاد الشقة بين السماء والأرض بحيث إن اللقاء بينهما مستحيل، فكانت النتيجة الطبيعية لهذه المحاولات الخاطئة أن الإنسان بدأ يبحث عن وسائط تتكفل بإبلاغ أشواقه وحاجاته إلى

* صحيفة الرائد ٤/٢٠/ رجب عام ١٤٠٦هـ.

صاحب السماء ، وهنالك برزت الوسائط المزورة في أشكال مختلقة متعددة تساوم العقول الضعيفة فيما إذا توسطت بينها وبين الملكوت الأعلى ، كأنها كانت تقوم بعملية الوكالات التي تتحمل مسئولية الإبلاغ وقضاء الحاجات ، وكان الناس يعتمدون عليها في شئون الحياة ومشكلاتها .

هذا النمط من الحياة كان سبباً في زيادة شقاء الحياة لأنها كانت مكبلة بأغلال من الوساطات والوكالات الانتهازية التي كانت تستغل الفرص وتخدع الناس بأهميتها المزعومة .

وجاء الإسلام فكذب هذا الباطل أول ما كذبه من افتراءات وافتراضات ونظرات كاذبة مزورة ، كان الناس قد اختلقوها لسد مآربهم الحقيرة وإرضاء شهواتهم النفسانية ، وأثبت الإسلام أنه لا وساطة بين الإنسان وربه ، ولا حجاب بين السماء والأرض ، و إنما العبد يتصل بربه في كل زمان ومكان من غير أي مانع ويبث إليه بأشواقه وأنفاسه ، ويناجيه بآماله وأحلامه ، ويطالب منه قضاء حاجاته وحل مشكلاته وتفريج كروبه وتذليل عقباته ، ويتضرع إليه بما شاء ، ويتزلف إليه بما أراد ، ويتمنى عليه ما بدا له ، ويستغفره ، ويسترحم منه ، ويستهديه ويطلب منه الوقاية والحماية والسداد والتقى ، يفعل كل ذلك ويملأ قلبه الإيمان والثقة بأن ربه قريب يسمع كل ما نطق وهمس ، وكل ما دار وخطر بباله ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1] .

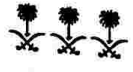
[1] سورة البقرة الآية : ١٨٦.

بهذا التأكيد الرباني نادى الإسلام بأن العبد قريب من معبوده ، وأن المخلوق متصل بخالقه ، ولا يخفى عليه شئ من سره وإعلانه ، وعلى هذا الأساس المتين من العلاقة الوثيقة بين العبد والمعبود وضع الإسلام منهج الحياة ورسمه على الإيمان بالرابطة الوطيدة التي يتمتع بها الإنسان مع ربه .

وفي هذا دعوة صريحة إلى توحيد الله والالتجاء إليه وحده في كل صغير وكبير ومع كل قريب وبعيد ، وفي هذا إبطال للوثنية والثنوية ونفيٌ لنظام الوسائط الذي كان قد اصطنعه الكهنوت للاتصال بالملكوت الدائم .

ليس الإسراء إلا دليلا على العلاقة القوية المتينة المباشرة التى يسعد بها الإنسان نحو ربه ، وفيه سر لسعادته واستقلاله ، وتحرره من الخضوع أمام العبيد والأصنام ، ذلك الذي شقي به الإنسان طويلا وعاش في معاناة من الذل والخسارة والعبودية ، ولو لا الإسلام لما خرج الإنسان من هذه التبعية والوثنية إلى نور من الإيمان والاستقلال .

﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾[1]



[1] سورة آل عمران الآية : ١٠٣.

فلسطين تنادينا*

في هذا الشهر العظيم الذي نجتازه شهد الركب البشري أكبر حدث في التاريخ، وسعدت الإنسانية بأعظم سعادة في هذا العالم، وهي سعادة انفردت بها أمة محمد صلى الله عليه وسلم دون سائر الأمم وخص بها رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم من بين جميع الأنبياء والمرسلين.

إن هذا الحدث التاريخي العظيم الذي لا ينساه التاريخ البشري على طول مداه إنما يوحي إلينا أسرار الله البالغة في الكون والإنسان، ويشير إلى عبر ومواعظ تملأ القلوب رهبة و رغبة، وتشحن النفوس بعجائب قدرة الله التي أودعها في نفس الإنسان، وبما أكرمه الله به من مكانة الخطاب القدسي، ومنصب الخلافة الإلهية.

وما هذا الحدث التاريخي العظيم إلا انطلاق الإنسانية من حضيض المادة والشهوات إلى أوج الروحانية وسمو النفس، والتحرر من قيود الحدود والثغور المصطنعة للاتصال بذات الله، والخروج من عبادة غير الله للالتجاء إلى حظيرة الله، والتخلص من أسار الشيطان إلى كنف الرحمن.

* صحيفة الوالد ٢٢ رجب عام ١٣٨٨هـ.

إن لفسطين صلة ماسة بذكرى الإسراء، وإن النكبة التي احتلت بها لم تعد خافية على العالم الأقصى والأدنى، وهي لاتزال تعاني من الاحتلال الصهيوني، والاستعمار اليهودي ألوانا وأنواعا من العذاب والاضطهاد، والظلم والوحشية، ويذوق أهلها الآن من التنكيل والتشريد على يد الشرذمة اليهودية ما لا حد له ولانهاية، ويتألم العالم الإسلامي كله بهذه المأساة ويبكي دماً، وينتظر ذلك البطل العصامي الذى ينقذ أهل هذه الأرض المقدسة من ظلم الأفاقين، وجور الشذاذ من حثالة البشر.

إن هذا البطل العصامي كامن في جماعة المؤمنين أولي الأيدى والأبصار، وموجود في وطننا الإسلامي، ولكنه ينتظر أمر ربه بالجهاد، ويترقب صوت النفير وساعة الصفر، حتى إذا نادى منادى الجهاد وثب إلى ساحة القتال وتعارك مع العدو القاعد بالمرصاد، ولم ينته من المعركة مالم يطرد العدو الغادر، وأنقذ الأرض السليبة، وحرر الشعب المضطهد، وأقام حكم الله، وبسط العدل والأمن في الأرواح الخائفة، والقلوب المضطربة، والنفوس القلقة.

إن فلسطين تنادي أولئك الأبطال المغامرين والمؤمنين المخلصين الذين يحررونها من وطأة اليهودية الرجسة، ويطهرونها من الأراذل النجسة، وينقذون أهلها من عذاب الحصار والتدمير، وخنق النفوس والأرواح من غير تبرير، إن فلسطين الجريحة المنكوبة تناوينا، فهل من مجيب ؟؟

واقع المعراج توطيد لدعائم التوحيد والإيمان*

كان واقع المعراج الذي خص الله به سيدنا ونبينا محمداً ﷺ دون سائر الأنبياء والمرسلين (عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين) آخر آية للسموا البشري الذي امتازت به أمة محمد ﷺ ورمزاً واضحاً إلى الصلة المباشرة القوية التي تربط العبد مع المعبود في كل حاجة ولدى كل دافع ، وفي جميع التطلعات والتساؤلات والمشكلات والأزمات ، فبينما كانت الديانات الأخرى والمذاهب المطردة قبل مجئ النبي ﷺ تحرم الإنسان أن يتصل بربه في أشواقه ، وحوائجه إلا بواسطة الكهنة أو رجال الدين الذين كانوا يعتبرون الشخصية المرضية ، عند الله دون العامة ، إذا بالإسلام جاء فهدم جميع هذه الاعتبارات الواهية والحواجز المصطنعة ، أعلن أنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمى على عربي ، ولا لأبيض على أسود ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى ، كلكم من آدم وآدم خلق من تراب ، وهناك عاد الإنسان ولم يعد بينه وبين ربه واسطة ، لم يعد بحاجة إلى رجال الدين أو السماسرة الذين كانوا يتصيدون الناس

* صحيفة الرائد رجب ١٣٩٧هـ.

ويتوسطون بينهم وبين الله تعالى في أمورهم وضروراتهم ، ثم كانوا يأخذون منهم ثمنا غالياً لهذا التوسط والسمسرة .

لقد كانت هذه المصيبة عامة في عهد هؤلآء المحترفين بالدين والمتاجرين باسم الله تعالى ، وما كان أحد يظن أن الاتصال بالله تبارك وتعالى والتناجي معه ، وبث الأشواق والأحزان ومد يد السؤال إليه يمكن من غير واسطة ، بل إن الله تعالى قد أقام سماسرة ، لكي يتقرب إليه الإنسان عن طريقهم ويطلب منه حاجاته بواسطتهم ، فإذا ما أنجزت حوائجهم وتم ما كانوا يريدون من فرج وعافية وجب أن يتقاضى أولئك ما بدالهم من أموال وأعراض .

ولكن الله تعالى أراد أن يزيل هذا الظن الخاطئ والفهم الزائغ عن طريق نبيه ورسوله محمد ﷺ بدعائه إليه وتقريبه إلى جلالته ، بحيث لا يكون بينه وبينه أي واسطة ، وإنما يخاطب رسوله بما يطلع عليه الناس ويعرفون أن الله ليس بينه وبين عبده حاجز بل الصلة مباشرة ، والدعاء مسموع ، والمناجاة مسموحة والابتهال مطلوب ، وأن الله أقرب إليه من حبل الوريد ، وقال وهو يخاطب نبيه ﷺ في هذا الشأن .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1]

[1] سورة البقرة الآية : ١٨٦ .

دحض واقع المعراج جميع تلك النظريات الباطلة التي كانت تفرض بين الله تعالى وبين عبده واسطة ، وكانت تتخذ هذا الافتراض الخاطئ ذريعة للاحتراف والتكسب والتجارة الخبيثة وأثبت أن الله مع كل عبد ، وفي كل دعاء وثناء وتضرع وابتهال ، وهو أسرع إلى استجابة دعوات العباد في كل وقت ما دامت مراعية لآدابها ومخلصة في غاياتها ، وصادقة في طلباتها .

وصل النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج إلى سدرة المنتهى حيث رأى ما رأى ، ونال ما نال من الشرف والكرامة ، وكل ذلك في سبيل إسعاد أمته ، ورفع معنويتها ، وتعظيم شأنها ، ومن هنالك انتهت خرافة الوساطة ، بين العبد والرب تبارك وتعالى : تلك التي كانت شائعة قبله ، وعامة في أوساط الناس السابقة .

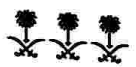
ومن هنالك " توطدت نظرية التوحيد " وتلاشت وسائل الشرك والانحراف ، وعرف الناس أن ربهم أقرب إليهم يسمع ويرى ، ويقضي ويستجيب ، ولا راد لما قضاه ولا مانع عما أعطاه ، ولا معطي لما منعه .

وكلما ضعفت الصلة بين العبد والرب ، راجت ألوان من الشرك وأنواع من الخرافات والبدع وأقبل الناس على اتخاذ الوسائط ، فمنهم من يقبل على القبور والأموات ويجعلهم ذريعة لإشباع نهمته ، ومنهم من يلتجئ إلى عمليات " العاملين "

المحترفين ، ومن يقدم النذور والقرابين باسم ولي أو نبي ويزعم أن ذلك يتكفل بقضاء مآربه ، ويحقق غاياته .

وتلك هي الناحية الشيطانية المشركة التي نالت قبولاً وإعجاباً في الأمم السابقة ، ولعبت الأهواء بعقول الناس من جرائها ، وهي التي تؤدي إلى الشرك الجلي ، وتجلب غضب الله .

وتلك هي التي أراد الله سبحانه وتعالى أن يقضي عليها بمثال عملي واضح فأرسل إلى نبيه ﷺ وأسري به ، ثم عرج به إلى السماوات العلى وإلى سدرة المنتهى ، فأوحى إليه ما أوحى وصدق الله العظيم ، حيث قال : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ ﴾[1]



[1] سورة النجم الآية : ٨ ـ ١٨ .

الباب الرابع
رمضان شهر الصيام والقرآن

ربيع القلوب ! *

جاء رمضان موسم الإيمان والحنان ، وربيع القلوب المؤمنة ، والنفوس التواقة إلى الخير والبر .

فمرحبا برمضان ، شهر القرآن ، شهر الرحمة والغفران ، شهر الاتصال بالملكوت الأعلى مباشرة ، وشهر الطهر والعفاف ، والنزاهة والتقوى ، وشهر يتمثل فيه صبر المؤمن بأسمى معانيه ، وورع الصائم بأروع مظاهره .

رمضان شهر أفاض الله عن طريقه على المسلم خيرات كثيرة ، وأكرمه بواسطته بخصال لا تتسنى بغيره من الشهور ، إنه قبل كل شئ يربي فيه دافع السمو إلى آفاق الفضائل والمكرمات التي لا تكمل حياة الإيمان بغيرها ، وينفخ في قلبه روح التقوى التي إذا ضعفت أو نقصت ، ضعفت صلة المؤمن بربه ، ونقصت قيمته في عينه ، وبقدر ما يكون المسلم قويا في روحه وعلاقته بربه بقدر ذلك يكون مؤثراً في بيئته ومحيطه .

والمسلم لابد من أن يكون حائزاً على أفضل سمات الإيمان وأسمى صفات القوة والرجولة ، ولكن ذلك لا يتيسر له ما لم يتجشم في هذا السبيل من مشاق ، ولم يرض بالخوض في الأخطار والمشكلات ، إنه يحرص دائما على أن لا يفارقه السرور

* صحيفة الرائد رمضان ١٣٩٣هـ .

في الحياة، ولا الطمأنينة في رحلته إلى الغاية التي يتوخاها، فإذا جاء رمضان تدرب على هذه المعاني الكريمة بالبرنامج الذي يضعه هذا الشهر للصائمين القائمين، وتعوَّد على تحمل المشاق، ومخالفة العادة المتبعة في الأكل والشرب، والتمتع بلذات الحياة مما أحله الله.

ولما ثبت في صبره على محاربة النفس والشيطان، واستقام لما أمر الله به من اتخاذ التقوى والطهر تحلت نفسه بالفضائل، وتخلت عن الرذائل التي كانت تعوقه في سيره إلى الإمام.

ومن ثم كان هذا الشهر حاجة أكيدة للمسلمين، يتطلعون إليها طوال السنة، وكلما حان الشهر الفضيل، وجاء أوانه يتهيأون لاستقباله بحرارة وشوق ونشاط، فإذا أظلهم هذا الشهر يقومون بواجباته خير قيام، ويتنفسون في لذاته طويلا، ويتمتعون بنفثاته في لياليهم مناجاة مع ربهم، واستجابة لندائه المدويّ الصارخ:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴿١٨٥﴾﴾[1]

وعملا بقول النبي ﷺ:

(ومن صام رمضان إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه).



[1] سورة البقرة الآية: ١٨٥.

تحية رمضان *

قد آن للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، أن يستقبلوا رمضان، ويحيوا فيه ضيفاً كريماً يملأ قلوبهم مرة في كل سنة غبطة و سروراً، ضيفاً من أحب ضيوفهم، وآثرهم لدى قلوبهم، وما أن أهل هلال رمضان يبشرهم بصيام النهار وقيام الليل إلا وقد تهللت وجوههم بشراً وانطلقت ألسنتهم بالدعاء، وتفتحت قلوبهم لكي تتلقى منه درساً للحب والمؤاخاة، وتستوحي منه عبرة للمعاضدة والمواساة لأن رمضان كله رحمة ومغفرة، وعبادة وإخلاص.

ففي كل بيت من بيوت المسلمين دويّ بحلول رمضان وما فيه من الخيرات والبركات، وفي كل طبقة من طبقاتهم حديث عن الصيام وما يتبعه من العيد السعيد، فلا تكاد تجد وجهاً إلا ويعلوه من البشر والحبور ما لا يقدر، ولا قلباً إلا وهو مفعم بنشوة من السرور العجيب الذي يجعل روحه ترفرف عالية مستبشرة إلى السماء.

وبالرغم من أن رمضان يعود كل سنة ويدوم لمدة شهر دون أن يتجدد بتجدد الزمان والظروف ويتطور بتطور الأعوام

* مجلة البعث الإسلامي فبراير ١٩٦٣م - رمضان ١٣٨٢هـ.

والسنين وإنما هو إمساك عن الطعام والشراب نهاراً وقيام بالنوافل والتلاوة والذكر ليلا ، لا تشق على النفس هذه الخصال التي لم يكن لها بها عهد طوال أحد عشر شهراً من السنة ، ولا تحس بشئ من المشقة والثقل مثل ما تحس بخفة ونشاط نحو هذه الخصال التي تعد بحق هدية رمضان العظيمة .

ولعل الصيام أكبر مثال عملي للاستسلام والانقياد والخضوع أمام إرادة الله ، وإلا فلم يكن لهذا الجوع والعطش والحرمان معنى سوى أنه نوع من الإمساك أو ضرب من فلسفة اقتصادية حديثة ، لأن الذي يجوع ويعطش ويحرم نفسه اللذائذ لا يفعل ذلك لأجل أنه لا يملك رزقا يأكل ، أو ماءا يشرب ، أو لذة يحظى بها ، ولكن الذي يبعثه على ذلك ، إنما هو رضا الله الذي حرم عليه الأكل و الشرب والاستلذاذ في نهار هذا الشهر ، رغم أن الصائم يستطيع أن يسد جوعه وعطشه دون أن يشعربه أحد إلا أنه لا يتجرأ عليه خوفا من الله الذي يعلم السر وأخفى ، والرزق مهيئا والطعام اللذيذ متوافر ، والشراب العذب موفور متيسر ، ولكنه لا يتناول شيئاً من ذلك أبداً ، بل و لا ينظر إليه نظرة فيها طمع أو رغبة إليه .

إنه يرضى بالحرمان لأن فيه ما يقوي صلته بالله ويدعوه إلى قوة في إيمانه وعمله ، والمؤمن أحرص دائما على تقوية صلة بالله منه على تقوية صلته بالخلق ، غير أن هذه الصلة بالله تُنْتِجُ له قرباً إلى الخلق وحباً في أعين الناس .

ولا شك أن لله حكمة كبيرة في فرضه الصيام على المسلمين في كل عام ، وتتجلى فيه رأفته على عباده ورحمته لهم ، كما أن الأم تمنع الطفل في بعض الأحيان عن الأكل والشرب وتختار له الجوع لفترة من الوقت إذا ما رأت أن الطعام يضره ويزيده مرضاً أو نحولا ، و الله أرحم وأرأف على عباده بمقدار ما لا نعلم ولا نتصور ، فهل يستسيغ العقل أن نعد هذه الرحمة ظلماً ، وهذه الرأفة قسوة كما يعدها بعض خصوم الإسلام الذين يرمون هذا الدين بتهم وأباطيل مختلفة .

والصوم يبعث في الأمة المسلمة (الصائمة) روح الأخوة والتعاون الاجتماعي ، فلا يترك الغني والفقير ، ولا الأمير والرعية ، ولا الشريف والوضيع إلا ويقيمهم في صف واحد فلا يغني الملك و الأمير والغني من جوعه وعطشه ، وحرمانه شئ من المال والجاه ، وإنما تجوع معدة الغني كما تجوع معدة الفقير ، وتتعطش أمعاء الملك والأمير كما تتعطش أمعاء الرعية والجماهير ، فكلهم سواء أمام إرادة الله ، وكلهم عبد ضعيف من عباده .

وهنالك عند ما يحس هولاء الكبار آلام الجوع والعطش في أنفسهم يتذكرون أن إخوانهم الفقراء يذوقون نفس هذه الآلام طول عمرهم ومدة حياتهم ، فيتبادرون إليهم بالمواساة ومد أيدي التعاون بعاطفة أخوية ملؤها الحب والرحمة والحنان ، ويشاركونهم في سرائهم وضرائهم ، فيتفقدون أحوالهم وترق

قلوبهم لكل فقير في العالم عند ما يتصورون جوعه وعريه اللذين يعانيهما في حياته .

هذا ، وقد بقيت ناحية أخرى مهمة تسترعي الانتباه وهي أن رمضان قنطرة تصل الطرف الأول بالطرف الثاني ، يعبر عليها الإنسان جميع الذنوب والآثام التي تقع بينهما بكل سلام ، لأنه جاء في الحديث الصحيح ، عن رسول ﷺ قال : من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه[1] ، فلا يذنب المسلم ولا يرتكب الآثام إلا ويأتي رمضان فيمحو كل ذنبه ويكفر جميع الآثام التي ارتكبها كأنه لم يذنب ولم يأتثم ، وذلك لأن شدة الطاعة التي توجد في الصيام تقوي الصائم إيمانا ويقيناً ، وتزوده بغذاء روحي من الإيمان ، وما أن اضمحل تأثيرها وضعف عملها إلا وجاء رمضان آخر وجدد عملية الشحن والتزويد ، وهكذا دواليك ، من رمضان إلى رمضان ، ومن صيام إلى صيام .

إن هذا الإيمان والطموح لا يزال يستمتع بهما الصائم طوال السنة ، فكل عمل صالح يصدر منه لا يصدر إلا بدافع من هذا الإيمان ، وهو يرى أثره في كل حين حتى إنه يعيش في جو من

[1] صحيح البخاري كتاب الصوم ، باب من صام رمضان إيماناً واحتساباً ونيةً ، رقم الحديث : ١٩٠١ ، ومسلم رقم الحديث : ٧٦٠ .

الإيمان و التقوى ، فلا يعصي الله في شئ من أحكامه وأوامره ، ولا يؤذى الناس بنيل الأعراض وصب الشتائم ، والاغتياب والنميمة ، وإنما هو رجل مسلم مسالم يعيش حياة مسلمة مسالمة كما تعودها وهو يؤدي فريضة الصيام .

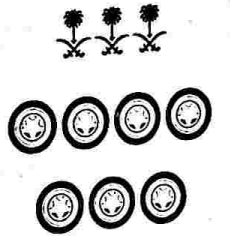
فلا جرم أن رمضان يعلّم الصائم أخلاقا نبيلة ويعوده خصالا حميدة ، لا تسمح له بعمل يخالف دينه وأمانته وتأباه عقيدته وإيمانه ، وإنما تبعثه على كل خير وكل صلاح وتغرس في نفسه روح المروءة والشهامة ، والطموح ، وذلك ما يقتضيه الإسلام .

ولكن هناك عدداً من الصائمين من لا يريدون بصيامهم وامتناعهم عن الأكل والشرب واللذات ، إلا اتباع عادة ورثوها عن قديم ، ورأوا آباءهم كذلك يفعلون ، فلا يهمهم من الصيام إلا الجوع والعطش ، وترك الملذات في النهار ، ولاتراهم إلا متنمرين ، مستعدين للجدال والسباب في كل حين ، ولم يدعوا شيئا من السيئآت والمنكرات سوى الأكل والشرب و هذا ليس هو غاية الصيام ، وقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه ، وشرابه[1] " وفي حديث آخر " إذا كان يوم صوم

[1] رواه الإمام الترمذي ، باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم : ٧٠٧ .

أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم[1].

فالغاية من الصوم أن تنشأ في الإنسان عاطفة قوية نحو الخير والتقوى، وأن يتمرن عليه في بقية الشهور ويتدرب على هذه المعاني، وهذه الغاية لا ينالها الصائم بمجرد الجوع والعطش ما لم يكن هذا العمل خالصاً لوجه الله وامتثالا لأمره، وابتغاء مرضاته ؟.



[1] رواه البخاري في كتاب الصوم: باب هل يقول: إني صائم إذا شتم رقم الحديث: ١٩٠٤ - ١٨٩٣، ورواه مسلم في كتاب الصيام باب حفظ اللسان للصائم: ١١٥١، وأخرجه أبو داؤد: ٢٣٦٣.

صلتنا برمضان*

عاد رمضان والأمة الإسلامية تعاني من الضعف والخمول ما يجعلها لا تهتز لاستقباله، ولاتعتز بهدية الصيام التي جاء بها إليها كما كان شأنها في الماضي، ولا شك فإن مقاييس الفضيلة والقوة تغيرت وحلت محلها مقاييس زائفة من أخلاق وقيم لا تمت إلى الفضيلة بصلة، ولكنها تحيط بالأمة الإسلامية من كل جانب، وتريد أن تسلب منها جوهرة الإيمان والتقوى، وتتركها أمة قد تجردت عن جميع خصائصها ومميزاتها، التي جعلتها مرفوعة الرأس بين أمم العالم وشعوبه كلها.

إن الشعوب التي تعادي الإسلام والمسلمين تبذل أقصى جهودها في تجريد المسلمين عما يتصفون به من صفات وسمات وأخلاق وفضائل، إنها لإنجاح خطتها هذه تتخذ ألواناً من الدسائس وأنواعا من الوسائل الظاهرة منها والخافية، وترصد الأمة التي نشأت وترعرت على الأخلاق السامية النظيفة وعلى الإيمان والعقيدة الراسخة، لتفتك بها في عيندتها وإيمانها من غير أن تشعر بذلك، إنها تتودد إليها بحكمة بالغة وتتقرب إلى أفكارها و أذهانها فترسخ فيها نظرياتها وفلسفاتها، وتنفرها من تعاليم دينها، وأحكامها.

* صحيفة الرائد رمضان عام ١٣٩٣هـ.

وهكذا يتم لهذه الشعوب المعادية النجاح في هذه الخطة الدنيئة ، وتتنصل الأمة التي تربت على أسمى الفضائل وأعلى الأخلاق من خصيصتها فلا تعود للشعائر الدينية في نظرها قيمة ، ولا للعبادات عندها أهمية .

فلتتنبه الأمة الإسلامية لهذه المكايد التي تكيل لها أعداؤها المتربصون لها بالدوائر ، وتفكر فيما ألحقوه بها من ضعف وخزي ، وتبحث عن علاجها في تعاليم دينها وعباداته التي تعتبر كهدية من السماء إلى الأرض ، ورمضان الذي لا يأتي في السنة إلا مرة واحدة يؤهل المرء لمحاربة الرذائل وقوى البغي والطغيان ، وينفي من القلب الذي هو منبع القوة كل الخبث والداء ، كما ينفي الكير الصدأ من الحديد ويلمعه .

عن طلحة بن عبيد الله أنَّ أعرابياً جَاءَ إلى رسول الله ﷺ ثائرَ الرأس فقال : يا رسول الله ! أخبرني ماذا فرض الله عَليَّ من الصلاة ؟ فقال : الصلوات الخمس إلا أن تطَوَّع شيئاً ، فقال : أخبرني ما فرض الله عَليَّ من الصيام ؟ فقال : شهر رمضان إلاّ أن تطوّع شيئاً ، فقال أخبرني بما فرض الله عليّ من الزكاة ؟ فقال ، فأخبره رسول الله ﷺ شرائعَ الإسلام ، قال : والذي أكْرَمَكَ لا أتطوّع شيئاً ، ولا أنقص مما فرض الله عليّ شيئاً ، فقال رسول الله ﷺ : أفلح إن صدق أو دَخَلَ الجَنَّة إن صدق[1] .

---

[1] الجامع الصحيح للإمام البخاري ، كتاب الصوم ، باب وجوب رمضان ، وقول الله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ رقم الحديث : (١٨٩١)

الأمة الوسط وشهر رمضان العظيم*

يأتي شهر رمضان العظيم والمسلمون يشهدون صراعاً عنيفاً بين انهيار النظرات الوضعية والفلسفات المادية وإثباتها ، وهم يعدون العدة لتمثيل دورهم في هذا الصراع ، ذلك بأن يتسلموا زمام القيادة الإنسانية بأيديهم ، ويؤكدوا للقيادات الفاشلة والزعامات المزعومة أنها سائرة على غير هدى وتائهة في ضلال مبين ، والتجربة شاهد عيان أنها أخفقت في الرهان وإعطاء الحياة والإنسان شيئاً مما يسمى بهدوء القلب وراحة الضمير ، وما يدعى بالأمن والسلام ، وإذا قمنا بتحليل أسباب الفشل والإخفاق في ضوء الواقع والتاريخ تبين لنا أنها لم تواجه هذا المصير المؤلم لمجرد أنها كانت مادية فحسب ، بل لأنها لم تدرك سر القصد والاتزان في وضع الأشياء موضع الاعتبار وتطبيق الأحكام الحضارية عليها ، فكان من نصيبها الإفراط حيناً والتفريط حيناً آخر في الأخذ والعطاء ، وفي تربية الجسم على حساب الروح ، وتنمية النفس ومطالبها بتجفيف منابع العاطفة والإيمان .

---

* مجلة البعث الإسلامي رمضان عام ١٤١٢هـ .

لم يكن دور الصيام في شهر رمضان وما فيه من الإنابات و أعمال الخير والبر والعدل والإيثار، دائراً حول تجلية الروح وتزكية النفس فحسب، بل و دوره في المراقبة الدقيقة لكي تسير الحياة على مسارها الطبيعي ولا تحيد عن جادة القصد والاتزان للحظة واحدة، ذو أهمية كبيرة جداً، فطالما يتغافل المرء عن وظيفته ويتناسى أحياناً أنه يحمل مسئولية خطيرة في بناء الحياة الاجتماعية على أسس سليمة من الوسطية التي عرفت به الأمة الإسلامية، فيأتي رمضان على فترة من الزمن ويعود بالحياة إلى ساحة العمل المتزن وينفخ في المجتمع روحاً من الجدية والطاعة في قصد واعتدال، كأنه يعالج ما تسرب إليه من أدواء ويصف له من الوجبات والعلاج ما يتكفل بالصحة والبرء من كل سقم، وهنالك تقبل النفس على الله تعالى زكية جليلة، وتتزود بزاد دسم من التقوى التي تجنب صاحبها من الوقوع في كل ما ينافي روح التقوى، وينحرف به عن جادة الاعتدال، ولا شك فإن التدبر القليل في معنى التقوى، التي تعتبر النتيجة الأولية للصيام، يكشف لنا آفاقاً بعيدة من المفاهيم والحب للحياة الإسلامية التي تبنيها الأمة الوسط لنشر السعادة والأمن والحب والرخاء في العالم البشري بكامله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [1]

[1] سورة البقرة الآية: ١٨٣.

هذه الأيام المعدودة من شهر رمضان تستعرض أعمال ومجهودات الأمة الوسط طوال أيام السنة الماضية، وتلعب دوراً مهماً جداً في تنظيم الحياة على أساس من القصد والاتزان، وفي الرقابة الدقيقة على كل ما يكون قد طرأ على بعض جوانب الحياة من إهمال أو وقع بعضها فريسة التجاوزات غير الشرعية التي تنال من ميزة الحياة الإسلامية شيئاً غير قليل، فإن صيام الشهر وقيامه بدافع من الإيمان والاحتساب يتوليان إصلاح كل فساد تسرب إلى حياة المرء المسلم على غفلة منه، وتسبب انحرافات وزلات، وأدى به إلى المعاصي في بعض الأحيان، وقد عبّر عن ذلك لسان النبوة البليغ بقوله الذي رواه الشيخان، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفرله ما تقدم من ذنبه[1] وفي حديث آخر عنه: ومن قام رمضان إيماناً واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه"[2].

إن الذنب يشمل كل إثم ومعصية عمداً كانت أو خطأً، وإن الخروج عن نطاق الوسطية والتعدي عن حدود الاعتدال، وكذلك الغفلة والإهمال وكل ما يحيد بالحياة عن الخط المستقيم، ذنب يقترفه الإنسان المسلم عن غفلة أو نسيان أو يصدر منه عن عدم المبالاة وأحياناً بضغط من العوامل الخارجية والظروف

[1] متفق عليه ـ صحيح البخاري، رقم الحديث: ١٩٠١، ومسلم: رقم الحديث: ٧٦٠.
[2] متفق عليه ـ صحيح البخاري، رقم الحديث: ٢٠٠٨، ومسلم رقم الحديث: ٧٥٩.

الطارئة ، ويستمر المرء على ذلك دون شعور بما يحيط به من أحوال ، فإذا بشهر رمضان يستهل له برحمات وبركات وفيرة ، ويتمثل أمامه واجبه الديني والاجتماعي ، وميزان الشهر الميمون الذي يوزن عليه الأعمال فيفرز منها ما يتجاوز حدود الاعتدال والقصد ويسبب المتاعب ويؤدي إلى الشقاء ويعرقل سير المجتمع الأفضل ، ولذلك إذا جاء رمضان نادى مناد من السماء : يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر[1] .

وفي ما رواه البيهقي عن سلمان الفارسي ﷺ خطبة النبي ﷺ الذي ألقاه في آخر يوم من شعبان ، فضائل عديدة ودلائل كثيرة على أن رمضان يعلم الأمة الإسلامية دروساً من الدين والأخلاق ويبعث فيها روحاً من الثقة والإيمان والاستقرار ، والإيثار ، ويبشرها بمثوبة من عند الله جزيلة ، وتقرب إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة وبخصال الخير والبر والإحسان والولاء لمن هو في حاجة إلى ذلك ، ومن هنا يتمتع الصائم بالتوازن في جميع شئون الحياة ويكون عاملاً قوياً في بناء مستقبل لامع للحياة والمجتمع ، وفي نشر الخير والأمن في جميع قطاعات الحياة وعلى جميع المستويات .

ولنقرأ الآن خطبة النبي ﷺ ونتدبر في معانيها :

[1] سنن الترمذي ، باب ما جاء في فضل شهر رمضان ، رقم الحديث : ٦٨٢ .

"عن سلمان الفارسي ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال : يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم ، شهر مبارك ، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر ، جعل الله صيامه فريضة ، وقيام ليله تطوعاً ، من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وشهر المواساة ، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطّر فيه صائماً كان له مغفرة لذنوبه ، وعتق رقبته من النار ، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شئ ، قلنا يا رسول الله ! ليس كلنا يجد ما يفطّر به الصائم ، فقال رسول الله ﷺ : يعطي الله هذا الثواب من فطّر صائماً على مذقة لبن ، أو ثمرة أو شربة من ماء ، ومن أشبع صائماً ، سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ومن خفّف عن مملوكه فيه ، غفر الله له وأعتقه من النار "[1] .

إنها شهادة الصيام على الناس ، في تحلية حياتهم بالسلوكيات الرفيعة ، والبلوغ بهم إلى أعلى منازل العبودية والتقوى ، وحيث يتفانى صاحبها في إيجاد جو من الخلق العظيم

[1] رواه ابن خزيمة في صحيحه ، وقال : إن صح الخبر ورواه البيهقي ورواه الشيخ ابن حبان .

الـذي حملـه الـرسول ﷺ ، وصبغ أصحابه بصبغة الله الثابتة ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [1]

إن الإسلام يوجه أتباعه إلى إخلاص العبادة والعمل لله سبحانه وتعالى ، وبقدر ذلك يضاعف الحسنة من عشر أمثالها إلى سبع مأة ضعف ، وهنالك تكون الحياة نموذجاً مثالياً للناس جميعاً ، يكتسبون منها القدوة ، ويسيرون على دربها لتحقيق الأمن والسعادة والرخاء والحرية ، وكل حياة يكون لها هذا الشأن كم تكون عادلة معتدلة ذات قصد واتزان ، ولكن العمل في رمضان يرتفع قيمته بحيث لا تأتي في عداد الحصر والتصور ، ذاك أن الله يخصه لنفسه ويتولى جزاءه بما لم تره عين ولا سمعته أذن ، ولا خطر على قلب بشر ، فكم ذا يكون تأثيره عميقاً وسريعاً في بناء الأمة الوسط العظيمة من أمة رمضان الصائمة القائمة لله تعالى ، وكيف تقوم هذه الأمة الوسط بدورها البناء في إعادة الثقة بمنهج الإسلام للحياة إلى النفوس ، وتعظيم شعائر الله وإعلاء كلمته ، وبث الأمن والعدل والرخاء والاجتماعية الصادقة في المجتمعات الإنسانية بأجمعها .

جاء في الحديث الصحيح القدسي عن رسول الله ﷺ قال : " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مأة

[1] سورة البقرة الآية : ١٣٨ .

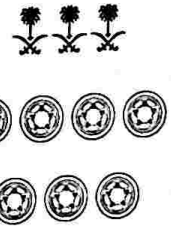
ضعف ، وقال الله تعالى: " إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي ، يدع شهوته وطعامه من أجلي "[1] .

يقول شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي في كتابه"حجة الله البالغة"وهو يتحدث عن أسرار الصوم : "والصوم حسنة عظيمة يقوي الملكية ، ويضعف البهيمية ، ولاشئ مثله في صيقلة وجه الروح وقهر الطبيعة ، ولذلك قال الله تعالى: "الصوم لي وأنا أجزي به " ويكفر الخطايا بقدر ما اضمحل من سورة البهيمية ويحصل به تشبه عظيم بالملائكة فيحبونه فيكون متعلق الحب أثر ضعف البهيمية ، وهو قوله ﷺ: " لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك[2] " وإذا جعل رسما مشهورا نفع عن غوائل الرسوم ، وإذا التزمته أمة من الأمم سلسلت شياطينها وفتحت أبواب جنانها وغلقت أبواب النيران عنها ، والإنسان إذا سعى في قهر النفس وإزالة رذائلها كانت لعمله صورة تقديسية في المثال ، ومن أزكياء العارفين من يتوجه إلى هذه الصورة فيمد من الغيب في علمه فيصل إلى الذات من قبل التنزيه والتقديس ، وهو معنى قوله ﷺ: "الصوم لي وأنا أجزي به "[3] .

[1] صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، رقم الحديث : ١٨٩٤ ، وصحيح الإمام مسلم ، باب فضل الصيام رقم الحديث : ١١٥١ .
[2] البخاري رقم الحديث : ١٨٩٤ ـ وصحيح الإمام مسلم : ١١٥١ .
[3] حجة الله البالغة ج ١ / ٢٢١ ، دار إحياء العلوم بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م .

هكذا كان لشهر رمضان العظيم دوره المميز في توطيد دعائم الحياة الإسلامية و تثبيت أركانها ، وكانت الأمة الوسط ذات صلة عميقة بما أودع الله تعالى في هذا الشهر من عوامل تكوينها وتوجيهها إلى معان كريمة من الجامعية والعدل والتوازن ، ذلك العنصر العظيم الذي إذا فقدته الأمة لم تقم لها قائمة ، ولا كان لها وزن على الصعيد العالمي .

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ (١)



(١) سورة البقرة الآية : ١٨٥ .

المسلمون وعبادة الصيام ! *

الصيام يخفف حدة المعدة ويصرفها لفترة من الوقت عن متطلباتها المادية من الأكل والشرب ثم المتعة الجسدية ، وفي خلال هذه الفترة يهتم الصائم بالاتصال بالأجواء العلوية الشفافة ، يقبل على ربه ذكراً وتلاوة ، وشعوراً بأنه عبد الله وحده ، ليس غير ، ورغم امتلاكه كل شيئ من المواد الغذائية والطيبات من الرزق ، ورغماً من احتياجه الشديد إليها لا يستطيع أن يتصرف فيها ، بل يحرمها على نفسه إلى وقت معلوم ، امتثالا لربه تبارك وتعالى ، وهو يحمل بذلك على فائدتين : فائدة التدريب على الامتناع عن الأشياء المألوفة وإعداد النفس لتحمل المشاق في سبيل الهدف ، والحصول على فائدة الطاعة الخضوع أمام كل حكم من أحكام الله تعالى وتنفيذ أوامره في كل شيئ في كل حال وزمان .

ومما هو معلوم أن الناس لا يتحاربون فيما بينهم ولا يتخاصمون إلا على أساس من المناقع العاجلة المادية ، ولكن الإنسان إذا تجرد عنها ولو لمدة قليلة لان قلبه وترقق شعوره ونشأت فيه عاطفة النصح والتواضع ، وعاد عبداً خاشعاً لله ، مسالماً للناس ، ومحباً للمعروف وكارهاً للمنكرات ، ويمثل نفسه

* صحيفة الرائد رمضان المبارك عام ١٤١٢هـ .

كمسلم مسالم ، متواضع ، لا يجد في نفسه شيئاً من الحقد والكراهة والنفور.

الصيام يتيح فرصة كبرى لتطهير النفس من جميع الشوائب والإغراءات التي تتسفل بالمرء أحيانا إلى أسفل درك من البهيمية ، ويقوم بالتزكية الروحية وتوطيد علاقة صاحبه بالرب تبارك وتعالى ، حيث تتقوى معنويته إلى درجة أنه يجد نفسه مع الله في كل حين ، ويعيش في شفافية تنذاب فيها جميع العلائق المادية ولا يحتاج إليها الإنسان إلا بقدر الحاجة والكفاف ، ومن هنا يأتي الإعلان العام الذي ينطلق من فوق السموات العلى ويتلقاه رسول الله ﷺ فيتحدث عنه في حديث قدسي يرويه عن الله تعالى يقول : " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي ، وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه وشرابه من .... "[1] .

وهنالك يعلو الصائم على قمة من الإخلاص وتتوطد علاقته بالله تعالى بحيث يحل لديه محل المحبوب الأثير ، وينال جزاءه بما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، " للصائم فرحتان : فرحة عند إفطاره ، وفرحة عند لقاء ربه "[2] .

وهذه البشارة تفوق كل شيئ آخر ، فإن الفرحة التي يعطاها الصائم ، عند لقاء ربه لا تساويها بشارة ولا نعمة ولا لذة ، إنها

[1] رواه البخاري في كتاب الصوم رقم : ١٨٩٤ ، والإمام مسلم في باب فضل الصيام : رقم الحديث : ١١٥١ .

[2] صحيح البخاري رقم الحديث ١٨٩٤ ، وصحيح مسلم ١١٥١ .

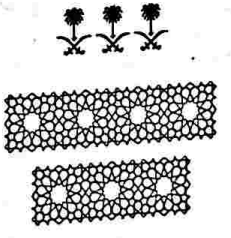
فرحة مزدوجة طالما يتمناها الإنسان ولايجدها ، ويحلم بها في حياته ولكن دون جدوى ، إن لقاء الرب تبارك وتعالى لمن أعظم السعادات وعلامات الفوز والقبول في الآخرة ، ففي سبيل ذلك يضحي المسلم الواعي والمؤمن الصادق بكل ما عنده من عدة وعتاد ونفس ومال ، وأهل وأولاد ، ومتاع ، ولكنه قد لا ينجح ، وقد لا تجد محاولاته وجهده أي قبول ، بل يرفض ويرمى على وجهه ، ولكنه هو الصيام الذي يصومه المؤمن بإخلاص وصدق ولإرضاء الله تعالى وابتغاء وجهه ، إنما يكرمه بهذا اللقاء ويسبب له هذه الفرحة العظيمة ويقدِّر له هذه النعمة الكبرى .

أمَّا الأعمال الأخرى فإنَّها ليست مثل الصيام الذي يخول صاحبه بالسعادة في الدين وبالصحة والهناء وشفافية الحياة في الدنيا ، لذلك فإن أولئك الصائمين الذين يجمعون بين الجوع والعطش والكذب والزور ، ويعيشون في حالة الصيام وفي أيام رمضان حياة لا تتميز عن حياتهم في غير هذا الشهر ، فإن الله تعالى لا يحتاج إلى صيامهم الذي يتلخص في الجوع والعطش والسهرات ، يقول الرسول ﷺ " من لم يدع قول الزور والعمل به ليس له من حاجة أن يدع طعامه وشرابه " ويقول " رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر "[1] .

[1] رواه ابن ماجة ، باب ماجاء في الغيبة والرفث للصائم رقم الحديث : ١٦٩ .

في ضوء هذه الأحاديث الشريفة يمكن أن يتأمل كل قائم في أيام رمضان فيما يقوم به من أعمال ونشاط ، وفي مدى الإخلاص والورع الذي هو النتيجة الأولى والآخرة للصيام ، ذلك لكي تكون المشقة ذات ثمار حلوة ، ويكون الصيام تدريباً عملياً للمسلم على الطاعة والامتثال ، ونموذجاً مثالياً للعبودية والتواضع والنصح والتعاون على البر والتقوى .

فما أحوج المسلم اليوم إلى هذه الخلال الطيبة ، وهذه السلوكيات الفذة ، التي لا تكاد تحلم بها أمة ولاشعب ولا فلسفة ولا نظرة تعبدية .



رمضان ومجازر وحشية تقشعر منها الجلود!*

مع استهلال شهر رمضان الكريم واحتفال المسلمين بالصيام والسهرات الرمضانية ، يقبل أفراد الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها على تبادل الحب والأخوة ومشاركة الهموم والأفراح وروح التطوع والإيثار ، ويعيشون لحظات حانية وساعات مباركة ، بقلوب واعية ونفوس زكية ، بعيدين عن الغل والعداوة وجميع الأدواء الخلقية ، ويهتم الأغنياء منهم بإخوانهم ذوي الحاجات ، ويعتني الموسرون بالمعسرين ، وتتجلى في الجميع عواطف التعاون على البر والتقوى ، وبذلك يتشكل مجتمع إسلامي جميل ، تهب فيه رياح الإيمان والإحسان ويتعانق فيه الصفاء والسخاء ، والود والإخاء ، وتتوارف فيه ظلال النصح والثقة والخير .

هكذا يؤدي رمضان دور التزكية والتطهير ، ودور التقريب بين الصفوف المتفرقة والتأليف بين القلوب المتنافرة ، فالذين كانوا يعيشون حزازات وخلافات يحوّلهم رمضان إخوة متحابين وأصدقاء متقابلين ، ويجمعهم على التحابب والتناصح ، وعلى التضحية والإيثار ، ويثير دوافع الإخلاص

* صحيفة الرائد رمضان المبارك عام ١٤١٨هـ .

والشفافية في نفس الصائم ، فلا يلبث أن ينال تقرباً إلى الله وجزاءً خاصاً منه حيال ما يقوم به من إخلاص العبادة له ، وذلك ما يبشربه رسول الله ﷺ الرجل الصائم فيقول : " شهر مبارك شهر فيه ليلة خير من ألف شهر .... شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار "[1] .

ولكن العقل يحتار ويتندى الجبين حياءً وينتكس الرأس خجلاً حينما نطلع على ما تذيعه وسائل الإعلام من أنباء المجازر الرهيبة التي تقام في بلدان المسلمين ، ومع بدء شهر رمضان تفاقم الوضع ، وقامت فئات إرهابية بتدبير قتل جماعي وتدمير البيوت والأسرى المسلمة من غير رحمة وهوادة بجميع أفرادها ، ومحاصرة قرى المسلمين بأسرها وإحراقها على بكرة أبيها ، ثم يعزى كل ذلك إلى الجماعات الإسلامية وتنسب إليها هذه الجرائم البشعة .

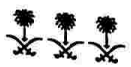
تشهد هذه الأوضاع الشاذة بلاد تُعْرفُ بأبنائها المسلمين وتاريخها المشرق في مجال الدعوة إلى الله ، تجتاز الجزائر في الغرب وباكستان في الشرق الأوسط بمثل هذه المجازر التي يذهب ضحيتها المسلمون من غير تمييز بين الشيوخ والشباب والنساء والأطفال ، وذلك عار لا تغسله البيانات الاعتذارية وقرارات الاستنكار وكلمات التغرية ، هذه الإجراءات الإجرامية لا ينسيها الوعود المعسولة بتوفير أجهزة الأمن والسلامة لصيانة الأرواح

[1] مر الحديث بطوله في صفحات سابقة .

وتأمين الأعراض والأموال ، إن هذه المسلسلات الدموية جزء من المخططات الدقيقة التي تدبر ضد الإسلام بقتل المسلمين وتضييق الخناق عليهم في كل مكان ، والانتقام من دعاة الإسلام وعلمائه الذين يتولون توسعة نطاق الصحوة الإسلامية وتكثيف مجهوداتهم في مجال العودة إلى الإسلام .

هناك أيد مجرمة خفية تنفذ هذه المخططات الإجرامية من وراء الكواليس ، ولكنها توجه هذه العملية الخسيسة إلى الإسلاميين الذين هم برءاء من كل عنف وقسوة ، والذين ليسوا إلا دعاة الخير والحب والسلام ، وليسوا إلا رسل الأمن والدعة والوئام ، وإن أعداء الإسلام يئسوا من كل أسلوب جربوه فالتجأوا إلى القتل والفتك والدمار جهارا ، وسوف تخونهم هذه الحيلة الأخيرة بمشيئة الله تعالى ، ويفشلون في نيل ذلك الهدف الذي ينشدونه من خلال هذه المجازر الوحشية وسفك دماء الأبرياء المسلمين الذين ليس لهم إلا الله وحده .

﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ ﴾[1]



[1] سورة إبراهيم الآية : ٤٦ - ٤٧ .

أمة الإسلام في شهر الصيام *

تتطلع الأمة الإسلامية اليوم بلهفة وشوق بعد ما عاشت فترة انتظار طويلة ، إلى شهر رمضان ، إنها تستبشر باقتراب موعده وتعد للترحيب به برحابة وفرحة بالغتين ، وتعتبره أكرم ضيف ينزل بمجتمعات المسلمين وبيوتهم ، فيحتفي به أفرادها ويغتبط به أعضاؤها على اختلاف بلدانهم وطبقاتهم .

يأتي شهر الصيام يحمل معه بركات من السماء ، ويفيض على المسلمين بخيرات لا نهاية لها ، ويفتح قلوبهم بعواطف البر والإحسان ، والسباق في مجال الحسنات ، سواء تتصل بإخلاص العبادة لله تعالى وتقواه أو بالإحسان إلى عباده ، بطريق الإيثار والإنفاق والعطف والوداد ، والشعور بالمسئولية مع الله ومع الناس .

لايأتي الشهر إلا وينادي مناد من السماء : " يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر " فإذا بجميع ألوان الخير تملأ الساحة وتثري الحياة والمجتمع ، وجميع أنواع الشر تقلع وتصفد الشياطين ، فيخلو الجو لكل عمل ونشاط يمهد الطريق إلى الله وجلب رضاه والاستمتاع بنعمة الهدوء والطمأنينة في الدنيا ، والجنة ونعيمها في الآخرة .

* صحيفة الرائد شعبان عام ١٤١٨هـ .

يصوم المسلم فيتطهر عن جميع التلوثات المادية ويتزكى قلبه عن غبار الأدواء الخلقية من البغض والحسد والطمع والرياء ، والغي والظلم ، ويتحول إلى مخلوق ملكي ، يشف عن الطهر والعفاف والنصح والبر ، ويدعو إلى الفضائل ، ويمثل الوحدة الإيمانية والاجتماعية ، والأخوة الخالصة فيحقق التواد والتراحم والتعاطف والتناصح ، وتتجسد فيه روح الإيمان بغاية من الوضوح ، كأنه المؤمن الذي أشار إليه رسول الإسلام ﷺ بقوله : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى "[1] .

أما إذا جمع بين الصيام والزور ، وأجاع المعدة من الطعام والشراب وملأها من الاغتياب والنميمة ، وإذا جمع بين الإكثار من العبادة وممارسة الرياء والكذب ، فلا يغني عنه الجوع والعطش والإمساك عن الشهوات شيئاً ، بل قد يكون ذلك سبباً للزيادة في قائمة ذنوبه وسيئاته ، وتبتعد عنه رحمة الله ، ويكون أشقى إنسان في أفضل شهر ، وأتعس شخص في أسعد أيام ، وذلك ما عبر عنه لسان النبوة قائلاً : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " وذلك هو الذي يشق عليه الصيام ، ويعبس أن دخل عليه شهر رمضان ، وألجاه إلى تغيير العادة التي ألفها طوال السنة .

[1] متفق عليه ، البخاري رقم الحديث : ٦٠١١ ، ومسلم : ٢٥٨٥ .

ويصوم العالم الإسلامي تحت ظلال الرحمة والبر والإحسان ، فيتنفس في جو من بركات الحب والأمن والسلام ومن الأخوة الإيمانية التي تربط المسلمين كلهم برباط واحد من الإيمان والعمل ، وتقف بهم على طريق واحد من التعاون على البر والتقوى .

وهنالك تعم الاجتماعية الخالصة أسرو مجتمعات العالم الإسلامي ، وتسود روح الحب والبر والإحسان في نفوس الناس ، وتذوب الفوارق من كل نوع ، وتسقط الفواصل التي اصطنعها الناس بين بلد وبلد ، ومدينة ومدينة ووطن وجنس ولغة ، ولقد كان دور الصيام في تقوية روح التقوى والورع وتمتين علاقة الإنسان بالإنسان ، وعلاقته مع الله تبارك وتعالى ، عظيماً رائعاً جداً ، ومن أجل هذه الميزة خصه الله تعالى بالبركة والطيب ، وخلال البر والإحسان ، ونسبه إلى نفسه ، وبشر الصائمين بذلك فقال في حديث قدسي رواه رسول الله ﷺ : " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي ، وأنا أجزي به ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " .

يعيش المسلمون اليوم هذا الشهر الفضيل بروح من التقوى ، والاتصال المتين القوي بالله - عز وجل - ، وبذلك يستطيعون أن يواجهوا القضايا والمشكلات بالشجاعة الإيمانية ويقدموا لها حلولا تنبع من خلال الثقة في وعد الله بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض ، ولكن بشرط أن يخلصوا

العبودية لله ، ويحاربوا الشرك بأنواعه ، وهنالك يتحقق الوعد ، وتنحل المشكلات ، ويعود العالم كله إلى ظلال الحضارة الإسلامية فينجو من مخاوف الحروب والمجاعات ، وأخطار تهدد وجوده من كل جهة .

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1]

شهر الصيام يدعونا إلى العودة إلى الله تعالى ، والثقة بشريعته ، والاعتماد على وعده ، وما أحوجنا إلى كل ذلك بأسرع وقت .



[1] سورة النور الآية : ٥٥ .

سلاح الصيام في وجه الطغيان !*

ليس هناك في الإسلام عمل من الأعمال التعبدية التي فرضها الله سبحانه على عباده ، إلا ويحمل في طيه سراً من أسرار السعادة والهناء ، ويسير بالحياة على درب الهدوء والطمأنينة ، فيتمهد للمرء طريقه نحو تغذية الروح ورفع المعنوية والتطلع إلى المعالي والكراهية من المعاصي ، والفرار من الأدواء الصالحة في المجتمع الذي يعيش فيه .

ولقد كان للصيام دوره المعلوم في هذا المجال بالذات ، ذاك أن المسلم عند ما يحرم على نفسه الأكل والشرب وينصرف عن جميع متطلبات النفس من أشباع الغرائز والشهوات ، ويترك الزور بجميع أنواعه والإثم بكل ألوانه ، ويقضي جل أوقاته في نوع من الاتصال بربه سواء بالذكر والتلاوة والعبادة ، أو بالنصح والخير والحب والإيثار والإحسان والمواساة مع الناس ، فلا يكون لكل ذلك معنى سوى إسعاد الحياة وإعدادها لأداء الواجب الذي نيط بالإنسان المسلم بوجه خاص .

ومن هنالك كانت عبادة الصيام سراً بين العبد والرب ، كما صرح به الرسول ﷺ في الحديث القدسي الذي جاء فيه رواية

* صحيفة الرائد شوال ١٣٨٩هـ .

عن الله تعالى : " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده : لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه "[1] .

إن تحليلا واقعياً لهذه الرواية القدسية يكشف لنا كثيراً من الجوانب الإيجابية البناءة التي لا تكتمل حياة الإنسان بدون ذلك ، ولا يمكن أن تتمثل الحياة الإسلامية بدون الالتزام بها ، ولا يأتي الصوم مرة كل عام لمدة شهر كامل إلا للتدريب على هذه الخصال الزكية التي تبني الإنسان المثالي الذي يؤدي دوره في بناء الهيكل الاجتماعي النزيه الذي لا يعرف الظلم والعدوان ، ولا الإساءة والنفاق والبغض والعدواة ، إنما هو الحب والعدل والإيثار والنصح والأخوة ، بمعناها الأوسع .

ترتفع بالصيام معنوية المسلم فتذوب في عينه هيبة المال والمتاع وتتلاشى قوة الحكم والسلاح ويجد في نفسه اندفاعاً نحو العمل لإعلاء كلمة الله ودحض الباطل والظلم ، فلا يبالي بما إذا دعا ذلك إلى النفور في سبيل الله والتوجيه إلى ساحة الجهاد

[1] صحيح البخاري رقم الحديث : ١٨٩٤ ـ وصحيح الإمام مسلم رقم الحديث : ١١٥١ ، وسنن الإمام الترمذي ، باب ما جاء في فضل الصوم ، رقم الحديث : ٧٦٦ .

والقتال مع أعدائه، وقد سجل التاريخ الإسلامي أمثله رائعة للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى في هذا الشهر المبارك، وأشهر المعارك الفاصلة التي سميت بالفرقان بين الحق والباطل، إنما هي معركة بدر، حيث تجلت فيها آيات البطولة الإيمانية وحب الشهادة وصناعة الموت لابتغاء وجه الله تعالى، وكانت معركة حاسمة بين الكفر والإسلام، انتصر فيه المسلمون الصائمون على قلة عددهم وعددهم، واندحر الكفر على كثرة أنصاره وتوافر معداته وسلاحه.

ولا يزال يعيد التاريخ نفسه في ديار المسلمين المختلفة ويمتحن عباد الله المؤمنين في قوة إيمانهم و علاقتهم بالله تعالى، ففي الشيشان كان جهاد ضد العدو الكافر العنيد الذي لا يترك أي حيلة للقضاء على روح الجهاد الذي يقوم به المسلمون في بلادهم ويجاهدون في سبيل الحق، ويقاومون الشراسة والضراوة بقوة الإيمان وسلاح الصبر والتقوى، وفي البوسنة والهرسك صمود ومقاومة ضد العدو اللدود الذي لا يكاد ينتهي عن عدوانه واعتداءاته الصارخة، لمجرد أن يقضي على من يحملون راية الإسلام ويصرون على الالتزام بالإسلام من غير أيّ تنازل عنه.

كل مسلم يواجه الحياة بسلاح الصيام في هذا الشهر الميمون ويقتلع به جراثيم الفساد والآثام و يقضي به على ميكروبات النفس الأمارة بالسوء فإذا به يخرج زكياً طاهراً مع

نهاية الشهر، ويقدم للعالم قدوة لحياة الإنسان المؤمن التقي، يبتهج بفرحة عيد الفطر التي تمهد الطريق نحو أكبر فرحة وأعظمها، وهي فرحة لقاء الرب تبارك وتعالى يوم يلقاه مثقل الميزان بالأعمال الصالحة بإذنه.

﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[1]



[1] سورة البقرة الآية: ١٨٥.

الصيام مطلب طبيعي للإنسان ! ★

اعتنت جميع الأمم بالصيام في أي شكل كان ، وحتى المجتمعات الإنسانية اعترفت بضرورة الصوم في حياتها سواء لتحسين نظام الهضم وترويح الجهاز الأمعائي ، أو لتجديد الشهية وإنعاش الروح ، وقد وجد هناك ناس يلتزمون بالإمساك عن الأكل والشرب لفترة من الوقت كعادة ، ويرون أن هذه العادة تترك على نظامهم الجسماني تأثيرات جيدة ، وقد رأينا أفراداً من غير المسلمين أنهم يصومون في مختلف أيام السنة مثل صيام المسلمين ، ويشهدون أنهم يجدون لهذا الصوم راحة نفسية كبيرة .

ولكن صيام الإسلام الذي شرعه الله سبحانه وتعالى كركن مهم لبناء سيرة الإنسان ليس كصيام العادة ، أو كما يختاره الناس لمصالح صحية ونفسية ، إنما هو عبادة قبل كل شيئ ، وامتثال لأوامر الله تعالى وخضوع لنظام الشريعة التي لا يكتمل بناء الإسلام بدونه ، كما صرح بذلك رسول الله ﷺ : " بُني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان [٢] " وبذلك

★ صحيفة الرائد إبرايل عام ١٩٩٠م .

[٢] متفق عليه ، صحيح البخاري : رقم الحديث ١ ـ ٨ وصحيح الإمام مسلم رقم الحديث : ١٦ .

تكون صلة الصيام بحياة المسلم كشيئ طبيعي لا تهنأ الحياة بدونه ، ولا تجد طريقها نحو مرضاة الله تعالى من غيره .

الصيام في الإسلام يمهد الطريق إلى الله ويتولى توثيق صلة العبد بالمعبود الحقيقي ، والالتجاء إلى كنفه والعيش في رعايته ومراقبته ، وذلك ما نعبر عنه بالتقوى ، وهي التي تعتبر النتيجة الأولى والأخيرة للصيام ، والعلة الوحيدة لهذا الركن ، كما قد أوضح ذلك الله تبارك وتعالى في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [١] والتقوى هي الصلة المعنوية الشفافة التي تصل العبد بربه وتمثل له وجوده في كل لحظة من لحظات الحياة وفي جميع الأعمال والأنشطة والأحوال والأوضاع .

هذا من الناحية التعبدية والصلة المعنوية ، ولكن الصيام من الناحية الإنسانية مطلب طبيعي ، يعمل عمله في إعداد الإنسان لحمل وظيفة الحياة ، ويبعث فيه الروح والنشاط للتقدم في مجالات الحياة المختلفة والأمل لبناء المستقبل اللامع ، وكذلك يثير في النفس كوامن الرحمة واللطف مع الضعفاء والمساكين وأهل الحاجات ، خاصة إذا كان في أيام تشق على النفس فيشعر فيه المرء بمرارة الجوع وشدة العطش ، ورغم وجود كل شيئ مما يشفي الغليل ويسد الجوع لا يقدر على ذلك ، لأنه يخاف الله

[١] سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

الذي يراه كل حين وفي كل حال ، وإن كان الناس لا يرونه ولايطلعون على سره .

من هنا كان للصيام دوره في بناء مجتمع أفضل يتساوى أعضاؤه في العمل والسلوك وفي الشعور والتفكير ، ويعيشون متعاطفين متحابين ، فقد قال الرسول ﷺ وهو يمثل المؤمنين في موازرتهم ومؤاخاتهم ، : "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً "[1] وجاء في كتاب الله : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[2]

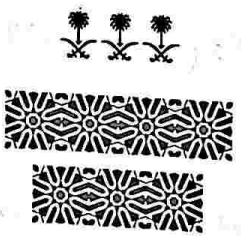
أما مراعاة آداب الصوم فضرورة أكيدة لا ينفع الصيام بدونها ولا ينال قيمة في عين الله تعالى ، وإلى ذلك أشار لسان النبوة على صاحبها ألف ألف تحية وسلام فقال بالتأكيد : " إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل : إني امرؤ صائم " .

وكل صيام يتم بمراعاة دقيقة للآداب ، ويكون صاحبه على إعداد تام لتحمّل مسئوليته فهو الذي يساعد على بناء الإنسان المسلم ، والاجتماع الأفضل الذي يُمَهِّد الطريق إلى السعادة الدائمة ، في الدنيا والآخرة ، ويجعل المرء أقرب إلى ربه من جبل الوريد ، وأتقى منه وأحق بحبه ومرضاته في كل حين ، انظروا إلى

(١) رواه البخاري رقم الحديث : ٢٠٢٦ ، ومسم : ٢٥٨٥ .
(٢) سورة الحجرات الآية : ١٠ .

رسولنا ﷺ كيف يعبر عن هذه السعادة العظيمة والقربة النادرة ، يقول : " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف ، قال الله تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع طعامه وشرابه من أجلي ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه " .

وفي ضوء هذه الحقائق التي تواجهنا في شهر رمضان نتزود بالوقود الصالح الذي يدفع عجلة الحياة إلى الأمن والهدوء والمودة والإيثار وجميع الخصال الإنسانية الملكية التي لا يستغني عنها المرء في بناء المستقبل المشرق السعيد .



مدرسة الصيام ودورها في بناء الحضارة *

لمدة شهر كامل من كل عام هجري تتمثل أمامنا مدرسة الصيام بدورتها التربوية كعادة سنوية ، والمسلمون في العالم كله يتطلعون إليها ، لكي يؤدوا ضريبة الصيام للحصول على جوائز غالية من الرحمة والمغفرة ، والعتق من النار ، ولكي يدركوا فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر ، تجاه ما بذلوه في شهر واحد فحسب من مجهودات ، وما تحملوه من مشاق ، امتثالاً لما أمر الله به من تغيير العادة التي ألفوها طوال أحد عشر شهراً ، فيما يتصل بالأكل والشرب ، والنوم والشهوات ، إلا أن مجرد تغيير العادة والامتناع عن الرغائب من المطعومات والمشروبات كان سبباً لما سيجيز به الله سبحانه عباده المؤمنين الصائمين ، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، فإذا كان التطلع إلى اقتراب موعد الشهر الفضيل من أغلى آمال المسلم ، فلا غرو أنه يربح تجارة لا تعادلها تجارة ، لذلك لم تكن هذه المجاهدة التي يرضاها المسلم بوجه باسم وقلب شاكر عبئاً بإزاء ما يجنيه من خيرات ، وما يتمتع به من بركات ونفحات طوال هذه الأيام المباركة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم

* صحيفة الرائد رمضان المبارك عام ١٤٢٤هـ.

مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ ﴾ (١)

وما كتب الله الصيام على المسلم إلا لكي يذوق طعم الإيمان ، ولذة الطاعة للرحمن ، وينزه نفسه من جميع الشوائب والوساوس التي تكدر صفو العبودية ، وتشوش أوتار الولاء والوفاء ، وتبعد المرء من ذلك الجو الإيماني العلوي ، الشفاف الذي تتمثل فيه رقابة الله بأجمل صورها لدى كل عمل ونشاط ، وذلك ما نعرفه بتقوى الله تعالى ، التقوى التي كانت ثمرة الصيام ونتيجته الأولى والأخيرة ، كما قد عبر عن ذلك كتاب الله تعالى في قوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝١٨٣ ﴾ (٢)

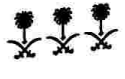
فإذا كان الصائم يتمتع بروح التقوى والواقعية الإيمانية كانت حياته مثلاً أعلى للآخرين ، وهو بذلك يتمكن من بناء مجتمع إنساني مثالي يكون مرآة صادقة للمجتمعات الإنسانية البعيدة عن المثالية الإنسانية العالمية ، فالنصح والإيثار والبر والمواساة والحبّ والأخوة ، والصدق والعدل ، وجميع الصفات الإنسانية التي ركز عليها الإسلام ، إنما تتجلى في حياة الصائم حيث إن الله تعالى قد أكرمه بانتماء عمله هذا إلى ذاته تعالى ، وأحاطه بسياج من العطف والرعاية الخاصة به ، بياناً لأهمية الصيام ودوره في مجال التربية والبناء ، كما جاء في الحديث

(١) سورة الصف الآية : ١٠ ـ ١١ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

القدسي الشريف ، الذي رواه رسول الله ﷺ عن ربه تبارك وتعالى ، يقول : " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ؛ فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه .

من خلال هذه النفحات الربانية يجب أن لا ننسى ما علينا من حق في مشاركتنا آلام ومتاعب إخواننا الذين هم يعانون من مرارة المشكلات والأحداث ، بعيدين عن الوسائل التي توفر لهم السعادة والهدوء النفسي ، والطمأنينة القلبية ، للاستمتاع من الفرص الغالية التي أودعها الله تبارك وتعالى في هذا الشهر الفضيل ، وساعاته المباركة .

حاجتنا اليوم إلى مدرسة الصيام في جميع مجالات الحياة الفردية والجماعية ، وإزالة ما طرأ علينا من الفتور الاضمحلال ، ومن اليأس والخذلان في مجال نشر الدعوة ، وبناء الحضارة الإنسانية ، أشد من حاجتنا إليها بالأمس ، لا سيما وهناك مخططات حضارية ، وهتافات مادية رائعة زائفة لقطع صلة المسلمين عن دينهم وحضارتهم ، وإزاحتهم عن مركز القوة ، وعن دور السلوكيات المثلى في إعطائهم المكانة الفريدة بإزاء الشعوب والأمم الأخرى كلها .



جوانب مهمة في الصيام *

واقع العبد مع ربه ليس سراً فقط ولا إعلاناً فحسب ، ولكنه يجمع بين هذين الجانبين ، فقد يقف أمام ربه ويعبده في جماعات من الناس ، يرونه ويخلعون عليه ما يستحقه من نعوت الفضل والحب والتواضع ، وقد يخلو العبد بربه فيناجيه ويبث إليه بأشواقه وآلامه ، ويفتح عليه قلبه بجميع ما يحتوي عليه من ملابسات وعواطف ودوافع الخير والشر ، ويعيش خلوة صافية ، بعيدة عن أنظار الناس ، مختفية في ظلام الليل ، يدعوه ويتضرع إليه ويتململ خشية لله ، وخوفا من الذنوب والمخالفات التي صدرت منه بتعمد أو من غير قصد .

ولقد وضع الله سبحانه في العبادات المفروضة كذلك جوانب من السر والإعلان ، ففي الصيام مثلا جانب من الإعلان حينما يبتدئ موعد الإمساك عن الأكل والشرب ، وقبله فيما يستعين به الصائم من السحور لكي يساعده في القيام بالمهمة ، ثم اشتغاله بالذكر والتلاوة واستحضاره عبادة الله تعالى التي يؤديها في نهاره وأمام كل الناس عن طريق الصيام ، ثم في انتظاره لموعد الإفطار وجلوسه على مائدة الطعام وانتظامه مع

* صحيفة الرائد يونيو ١٩٨٥م .

الجماعة لأداء التراويح ، والأمور التي يمارسها على مرأى من الناس ومسمع منهم .

ولكن في الصيام جانبا من السر مهماً جداً ليس في العبادات الأخرى ، وهو إسرار العلاقة الخالصة والإخلاص العظيم لله تعالى بتحمل مشاق الجوع والعطش والصبر على الإمساك عن تناول الوجبات اللذيذة في مكان لايطلع عليه أحد إذا ما استساغها في خفاء وبعيداً عن الأنظار ، والفرص متوافرة ، والظروف مواتية ، وليس بينه وبين الألوان الشهية والأطباق اللذيذة إلا هو ، فيستطيع أن يتصرف فيها بما شاء دون أن يعرف ذلك أحد من خلق الله ، غير أنه رغم كل ذلك لا يخطر بباله أن ينتهز الفرصة فضلا عن تناول شيئ من المشروبات والمأكولات اللذيذة .

لماذا هذا الامتناع عن استجابة الشهية ، ولماذا هذا الانسحاب عن مائدة الأطباق اللذيذة في مكان بعيد عن الناس ، بعيد جداً ؟ ما الذي يمسك يده كلما أهواها إلى كأس باردة تتدفق شراباً طيباً أو ماء أعذب ، وهو في أشد أحوال العطش ويعاني من غليل قاتل ؟

لعل ذلك هو التقوى التي أشار إليها كتاب الله في بيان علة الصيام ، فقال عزمن قائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [1]

[1] سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

ولعل ذلك هو الجانب السري في عبادة الصيام الذي يغلب على الصائم ويحيط به في كل وقت ، ومن هنا يسهل على المتأمل في حكمة الصيام وكونه صلة قريبة وعلاقة خاصة بين العبد وربه ، ما قد صرح به رسول الله ﷺ في الحديث القدسي الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ ، قال : قال الله عز وجل : كل عمل ابن أدم له إلا الصيام ، فانه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يضخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه .

أليست هذه القيمة العظيمة للصيام في عين الله تعالى نتيجة للسرية التي يحافظ عليها الصائم في هذه العبادة المهمة ؟ بلى ! إن الله تعالى ينظر إلى القلوب والأعمال ولا ينظر إلى الصور والأموال ، وينظر إلى الروح التي هي الركيزة الأولى والأخيرة للأعمال التي يمارسه العبد المخلص لله تعالى ، والحنيفية التي يعتمد عليها في الحياة .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴿٥﴾ ﴾ [1]



[1] سورة البينة الآية : ٥ .

رمضان يدفع إلى الأمام *

خرج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، زكي الروح ، نقي القلب بعد فترة دامت عليه شهراً كاملا ، وهي فترة عملية للتطهير والتزكية التي يتيحها رمضان للمسلمين مرة في كل عام ، وهي تعتبر بحق فترة تنشيط للمجتمع الإسلامي كله من ذلك الفتور الذي يلحقه طوال السنة ، بضغط وتأثير عوامل الزمن المختلفة ، ويتوارد عليه بحكم كثرة الاتجاهات السائدة ، والنزعات الإنسانية المتباينة مما يؤثرالنفسيات فيعكر صفاء القلب ويكدر نقاء الروح .

وهذه الفترة في الحقيقة فرصة غالية لإزالة كل يأس وتشاؤم يتسربان إلى نفس المسلم فيثبطان همته ، ويعزلانه عن معترك الحياة ويجعلانه عضواً أشل في مجتمع حي كريم .

إنها فرصة علاج الأرواح والقلوب من تلك الأسقام والأدواء التي تهاجم عليها عن طريق الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء ، فتحول دون كل نشاط يطلبه منها الدين والأخلاق والمروءة .

كما يتعرض بعض الناس لأمراض مختلفة وأدواء متعددة منشؤها المعدة ، فيشير عليه الطبيب بعملية تعالج غسل المعدة ،

* صحيفة الرائد شوال : ١٣٨٩هـ .

وهي تدوم إلى مدة تقارب أسبوعين ، فإذا بالمعدة تنقت عن كل العلائق والأخلاط ، وإذا بالمريض يشعر بنشاط وخفة وحياة جديدة رغم نقاهته وضعفه ، وهو يريد أن يخوض غمار المعركة من جديد ويستأنف سير الحياة .

وهكذا بالضبط شأن المسلم بعد خروجه من فترة الصيام ، إنه يخرج إلى معترك الحياة بروح جديدة ، ونشاط جديد ويستأنف سير العمل بعزم أكيد ، بعيد عن كل يأس وتشأوم .

فليهنأ العالم الإسلامي هذا الشهر الأغر ، وما أفاض من خير وصلاح على المجتمع الإسلامي ، وتهنأه هذه الفترة الطيبة التي أثارت في قلوب أعضائه معاني سامية من الإيمان والتقى ، ووجهت إليهم ذلك النشاط المنشود الذى سيواجهون به الاتجاهات المضادة للدين والأخلاق التي يبثها في المجتمع الإسلامى عناصر الهدم والتخريب لزعزعة بنيانه ، واقتلاع قواعده .

إن هذا النشاط والعزم ضرورة مجتمعنا الأكيدة لكي يقاوم المسلمون كل قوة معتدية ، ويردوا كل فتنة على أعقابها ، ويقمعوا كل ظلم واضطهاد ، ويحطموا كل طاغية يريد أن يفسد عليهم دينهم وعقيدتهم ، ويهدم مقدساتهم و معابدهم .

فليتقدم المسلمون إلى الأمام وإلى الحق رغم أنوف الأعداء والطغاة ، ورغم الظلم والإرهاب والمؤامرات ، بفضل دينهم وعقيدتهم .



درس من شهر رمضان ★

جاء رمضان كدأبه كل عام و حلَّ في بيوت المسلمين كضيف عزيز كريم ، تقر بقدومه العيون وتثلج به الصدور ، وتنبسط له النفوس ، ويستبشر به كل فرد من أفراد الأسرة .

جاء رمضان شهر الخروج من عادة إلى عادة ، ومن لون إلى لون ، من كثافة المادة وثقلها إلى لطافة الروح وخفتها ، شهر كله بر ومواساة وعطف وحنان ، وشهر كله رحمة وإيمان وذكر وقرآن .

ولا ينسى المجتمع البشري ما لهذا الشهر من فضل في إعادة اعتبار البشر ومكانته ، وكان قد فقد قيمته واعتباره من خضوعه أمام كل شهوة رخيصة ، ونزوله عند كل رغبة حقيرة ، ولكن الصيام هو الذي أمسكه عن ممارسة الشهوات والنزوات بدون وازع ، وهو الذي وضع عليه حداً في التمتع بطيبات الحياة وملاذها ، وقال : إن الأكل والشرب والاستمتاع بلذات الحياة وتحقيق رغباتها حرام في نهاري ، إنه حرم الطيبات ، حرم الطعام والشراب والرفث وقد كان حلالا قبل مدة ، وشنع

★ مجلة البعث الإسلامي دسمبر عام ١٩٦٧م .

الصخب والسب ، والاشتغال بكل ما يلهي عن الغاية ويعكر صفوها ، وذلك لأن الصيام يسمو بصاحبه إلى آفاق نظيفة حيث ينظف القلب من كل كدر يعلوه ، أو رين يصدأ به ، وهو يطير به إلى أجواء روحية لطيفة حيث يتخلص من كل شائبة ذنب ونفاق ويتطلع إلى إشعاع من النور ويعيش في شفافية الروح وحساسية الضمير .

إن هذا الشهر يقوم بعملية كبرى لتنظيف القلب مما تراكم عليه من الغبار والتراب ، وتطهير المجتمع من الأهواء والملابسات والعلائق والشهوات ، شأن الميكانيكي الذي يتعهد الماكينة وينظفها كلما تكدست عليها الأتربة وتراكمت عليها الأدران .

و دور الصيام في قطع دابر الفساد من المجتمع الإسلامي يفوق جميع الأدوار الأخرى التي يمثلها النظام الإسلامي ، لأنه يقوم باستئصال الداء من أساسه ، واقتلاع النزعات الفاسدة الضاربة في الأعماق من جذورها ، وذلك لأن التقوى و رقابة الله ومحاسبة الضمير تتمثل في الصيام ما لا يتمثل في غيره من العبادات .

أما فضله على المجتمع البشري في إشعار المساواة وإيجاد المواساة على رغم جميع التفضلات والخصيصات التي يتفضل بها البعض على البعض فكبير لا يوجد في أي شيئ ، مهما كان كبيراً ، وإنما هو الصيام ذلك الركن العملاق الذي

يأوي إلى كنفه شعور التعادل والمواساة والأخوة في شكله العملي ، ويتربى في أحضانه روح التعاون والتعاضد والتآزر بصورة نهائية .

إن الإنسان لا يستطيع أن يقدر آلام أخيه ومصابه ولو كان على جانب عظيم من الرقة والحنان حتى يصاب بنفس تلك الآلام والمشاق ، والصيام يشعر الإنسان مدى تألم أخيه بالجوع والعطش قبل كل شيئ ، لأنه هو نفسه يحتمل الجوع والعطش ، ولا شك أن الإنسان في قالبه المادي يتألم بالجوع والعطش أكثر من كل شئ ، وهو جانب حساس في حياة الإنسان يتصل بجسمه المادي ويؤثر فيه بأعمق تأثير .

والشعور برقابة الله يتجلى في نفس الصائم ويشتد حينما يجد نفسه عاجزة عن استجابة أي نداء لشهوة من شهوات النفس أو الجسم رغم توافر كل شيئ من الطعام والشراب وملذات الحياة ، ورغم توافر الفرصة السانحة لمزاولة الشهوات بحيث لا تطلع عليها عين إنسان ولا تخطر على بال شخص .

إنها التقوى !

تلك الناحية الحساسة التي يحرص عليها الإسلام أشد الحرص ، وهي سمة الإيمان البارزة ، التي لا تخلو منها حياة المؤمن الصادق ، إذ لا يتصور إيمان بدون التقوى ، وهي للإيمان بمثابة الروح للجسد ، فإذا خلا الإيمان من التقوى فقد كل قيمته

وذهب أدراج الرياح ، أما الصيام فهو تمرين عملي على الاتقاء ، ودرس حي لتنمية هذه الناحية وصبغ الحياة كلها بصبغة الله سراً وعلانية ، وقد أشار القرآن في علة وجوب الصيام إلى هذه الناحية فقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ [1]

والصبر على الشدائد من آيات الإيمان ، فإن المؤمن يواجه البلاء والامتحان في كل خطوة يخطوها ، فإذا كان قليل الصبر كثير التشكي ضجر وتبرم من الدنيا وتمنى الخلاص منها سريعاً ، وفاتت الغاية التي خلق من أجلها ، ولكن الإيمان يتطلب الثبات والاحتمال ، والصبر والتأني ، إنه لا يرحب بفكرة تدعو إلى السآمة من شدائد الحياة والكراهية لكل بلاء ، وإنما يريد من المؤمن أن يكون قوياً في كل حين ، وعند كل مناسبة يواجه الشدائد والصعوبات بوجه باسم وقلب ثابت ، ونفس قوية ، وعزيمة راسخة ، ويعتقد أنها ليست إلا من عند الله الرؤف الرحيم .

وكم يتمثل صبر المؤمن وتجلده في رمضان الذي سماه بعض العلماء شهر الصبر ، والحقيقة أن صيام هذا الشهر يوجه إلى الصائم درساً عظيماً للصبر والثبات ، ويؤكد له عجزه أمام أمر الله ، ويريه أن أكوام الذهب والفضة وذخائر الطعام والشراب وطيبات الحياة التي تملكها لا تغني عنك شيئاً ما لم يرد

[1] سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

الله ، ومن هنا ينشأ في نفسه شعور العبودية الصادقة بكل معناها ، وتصور الكبرياء الحقة بكل معناها لله وحده .

أنظر كيف يعيش المسلمون طوال شهر كامل في جو من الإيمان والتقوى والصبر ، ويوطنون نفوسهم على هذه الخلال الكريمة ليل نهار صباح مساء ، لا يتلهون عن واجبهم للمحة واحدة ، ولا ينسون للحظة أنهم في شهر الرحمة والبر ، وشهر الذكر والتلاوة ، وشهر الدعاء والنوافل ، شهر فيه ليلة القدر ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝١ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥ ﴾[1]

وقد كان النبي ﷺ أجود من الريح المرسلة في هذا الشهر يتفقد أحوال الناس ويسدّ حاجاتهم ، روى البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان النبى ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن ، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسله[2] .

إن لهذا الشهر فضلاً كبيراً في تكوين مجتمع مثالي أفضل ، ذلك المجتمع الأفضل الذي يتسم بسمة المساواة والمواساة ،

[1] سورة القدر الآية : ٢ـ٣ـ٤ـ٥ .
[2] صحيح البخاري ، باب كيف كان بدء الوحي ، رقم الحديث : ٦ .

ويتصف بصفة الإيمان والتقوى ، ولو لا هذه العبادة وهذا الركن الكبير في الإسلام لنقص بناؤه ، وفقد النظام الإسلامي ذلك التكامل والشمول الذي يعتبر خصيصة هذا النظام الكبرى .

وهكذا يعتبر هذا الشهر الميمون نعمة الله الكبرى على المسلمين ، التي تشعر بعظمتها القلوب المؤمنة الواعية لأنها تستوحي في هذه الفترة إشارات لطيفة من الإيمان والتقوى ، لا تدركها في غيرها ، إنها تشعر بلذة العبودية الخالصة وترى أن هداية الله ما ثلة أمام الأعين ، ورحمته تحف بها من كل جانب ، وهنالك تستعد النفوس لتمثيل ذلك الدور العظيم الذي أخرجت له هذه الأمة العظيمة ؟ .

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۝١١٠ ﴾[1]

[1] سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

ما أحوجنا إلى رمضان ! *

إذا احتاج الناس إلى فترة من فترات الراحة والاستجمام بعد سيرهم المضني الطويل على درب الحياة .

وإذا احتاج الناس إلى عيد سعيد يمسح عن وجوههم كآبة الحياة ويكشف عن قلوبهم صدأ العيش ، وينور في عيونهم مستقبلهم الشاحب الكالح ، وحاضرهم القاسي المكدود .

وإذا احتاج الأطفال ـ وكلنا أطفال أمام القدرالعظيم ـ إلى لباس جديد ، وطعام لذيذ ، وعيش رغيد .

وإذا احتاج العاشق الهائم إلى بريق الحب في عين الحبيب .

وإذا احتاج المريض البائس إلى بسمة الصديق وسلوة القريب ، فإنا ـ نحن المرهقين اللاهثين ونحن المشدوهين ، الحائرين ، ونحن الهائمين البائسين ، ونحن الباحثين عن الله في خلوات أنفسنا وفسحات آفاقنا ـ أشد حاجة ، وأشد حنيناً ، وأشد هياما ، وأشد ترقبا إلى هذا الشهر الحبيب الكريم .

إن رمضان يمثل هذه الناحية بغاية وضوح ، ويثير هذه المعاني الكريمة في النفوس كل الإثارة ، إنه الرحمة والمواساة ،

* مجلة البعث الإسلامي يناير عام ١٩٦٦م .

يقوم فيه الغني والفقير ، والصغير والكبير ، والعالم الجاهل ، كلهم في صف واحد ، وبروح واحدة ، يعيشون كل لمحة في شعور واحد ، ويتنفسون برئة واحدة ، فلا يتطاول واحد منهم الآخر ، ولا يكابر أخاه ، بل يتناسى جميع الفروق المصطنعة ، والحواجز الزائفة التي أقامها البشر ، ولا يقرها منطق الشريعة للحظة واحدة .

إن رمضان يوسع روح الإخاء والعدالة ، وينزه النفس من كل الملابسات التي تقوم في وجه الإشعاع الروحي والإشراق الإلهي حاجزاً فيسد على القلب منافذ النور ويتركه في ظلام ، ظلام الغفلة والركود وظلام الجهل والغواية ، وما يحل رمضان إلا وهو يجلو هذا الظلام ، ويبسط جناحه بالرحمة والبركة على العالم كله ، فتشرئب الأعناق المؤمنة إلى الأخذ منه قسطاً صالحاً ، وتشمئز النفوس المتمردة من تبعاته التي جاء بها .

وليس رمضان إلا رمزاً للكفاح العملي الذي لا تكتمل الحياة بدونه ، ولا تتجلى جوانبها قبل أن تمر به وتباشره كواجب لا محيص عنه ، وهو إعلام بأن حياة المؤمن كلها جد وجهاد ، وحب وإخلاص ، وهو إيذان بأن المؤمنين إخوة بمعناها العملي ، فما إن استهل هذا الشهر إلا وقد أقبل المسلمون كلهم على واجب واحد بروح مشرقة وقلب مخلص ، وعادوا على اختلاف أقطارهم وتباعد أوطانهم أسرة واحدة يربطهم رباط العمل لله

سبحانه وتعالى ، فيجعل قوة من ضعف تتسم بطابع الإيمان والفتوة ، وتتجلى بظاهرة الاحتساب والإنابة .

وكم في رمضان من معنى كريم وخلق عظيم ، استقى من نبعه السابقون من المسلمين ، وتمتع بحيويته المخلصون من المؤمنين ، واعتبروه مقدمة للخير والحب ، وطليعة للإنابة والتقوى ، وموسما للعبادة والدعاء ، فعاشوا رجالا يغمر نفوسهم الورع ، وتعلو وجوههم ومضة الإيمان واليقين ، يحكمون أرض الله ، يعلون كلمته فوق كل كلمة ، وكان الخلق كله خاضعًا لإرادتهم لأنهم كانوا خاضعين لإرادة الله .

لقد كان هذا واقع المسلمين فيما مضى من الزمان ، يوم كان للإسلام سلطان على القلوب ، ومهابة في النفوس ، أما واقع المسلمين اليوم وموقفهم من رمضان فقد تغير ، كما تغير كل شيئ وأصبحوا لا يقيمون له كبير وزن ، فيقبل رمضان وينقضي ، ويستهل شهر الرحمة والتقوى ويعود ، ولكن لا تتفتح قلوبنا لتلقيه ، ولا تتفسح بيوتنا لإضافته ، نستقبله بوجه عبوس، وقلب مشمئز ، ولا نعطيه قسطاً من الحفاوة والرعاية ، ولا نرضى بالخير والخلق الذي جاء به ، وإنما نرد كل ما يوجه إلينا من هدايا فاخرة ، وتحف نادرة بقسوة منقطعة النظير ، وشراسة عديمة المثال .

أفبهذا النوع من الخلق والمروءة وبهذا الأسلوب من الكرم والفتوة ، نستطيع أن نستفيد مما أودع الله فيه من المنافع الروحية

والمادية ، ونحقق ما حققه سلفنا الصالح من الانتصارات الباهرة ، والغلبة الواسعة على أرض الله ، وصرف النفوس إلى منبع العز والسيادة ومصدر الفخر والقيادة ، بما فيه رضا الله سبحانه وتعالى .

ولنعد إلى الماضي السعيد ، إلى رمضان القرن الأول لنرى ملامحه في ضوء بعض الحقائق ، فقد كان رسول الله ﷺ لا يستقبل رمضان إلا بإعداد كامل وتهيئة ضخمة ، وكان يترقب دخوله بقلب ملؤه إجلال وتقدير، وإذا جاء رمضان أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، فقال : من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفرله ما تقدم من ذنبه (متفق عليه)[1].

فما هذا التشويق إلى صيام رمضان والبشارة بغفران الذنوب المتقدمة إلا لأجل أن صيام رمضان له أهمية كبرى في تاريخ المجتمع الإسلامي ، وقد أدى دوره في فترة من فترات التاريخ ، ولا يزال يترقب تمثيل دوره اليوم ، وقد فقدت الأمة الإسلامية قوتها وحماستها وأشرف صرحها على الانهيار .

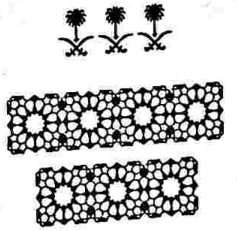
إن حاجتنا إلى رمضان رمضان الماضي ، رمضان الروح و الإنابة والتقوى ، ورمضان الإيمان والحنان ، أشد وأقوى منها إلى رمضان العادة والتقليد ، ورمضان المآدب والحفلات .

---

[1] متفق عليه ، صحيح البخاري رقم الحديث : ١٩٠١ ، وصحيح الإمام مسلم رقم الحديث: ٧٦٠ .

وحاجتنا إلى رمضان الرسول وأبي بكر وعمر والصحابة ﷺ، أشد من حاجتنا إلى رمضان زيد وعمر وبشر.

حاجتنا إلى رمضان الباحثين عن الله في خلوات النفس وفسحات آفاقها، أعظم من حاجتنا إلى رمضان الغارقين في الذنوب، الخارقين كرامته، والعابثين بحرمته، وبذلك نستطيع أن نحقق معنى قوله تعالى (لعكم تتقون).



رمضان ... حاجة المسلم *

المنهج الإسلامي للحياة يستوعب حياة المسلم بشيئ كثير من الدقة والشمول، فلا يفوته جانب وإن كان حقيراً من غير إعطاء كامل لحقه، والعناية بشأنه، وبمجرد الاعتراف بهذه الحقيقة الثابتة نستطيع أن نفهم معنى " فطرة الله التي فطر الناس عليها " والفطرة لا بد لها من أن تكون كاملة شاملة، خاصة وهي فطرة الله العلي الخلاق.

والذين يؤمنون بالواقع العملي للإسلام ويعيشونه يدركون تأثير الأعمال في الحياة ويعتقدون أن المسلم إذا التزم بالأعمال التي سنَّها الإسلام فرضاً، وسنةً وتطوعاً، وطبقها على حياته حسب درجاتها عادت حياته مطمئنة، فيها الاتزان الكامل، وفيها الشعور بالسعادة، والهدوء، والأمن والعافية.

وإذا تميزت الحياة بهذه الميزة الإيمانية العالية توثقت علاقتها بربها وعاشت في طاعته الخالصة وتحلقت في جو إيماني نظيف لا يعكر صفوها أكدار المعاصي والرذائل والمنكرات، ولايمس طهرها تلوثات المادية ورغائب النفس الحقيرة.

* صحيفة الرائد رمضان عام ١٤١٠هـ.

لذلك لم تكن الأعمال والواجبات الدينية في الحياة عادة روتينية (Routine, Work) لدى المسلم ، ولا برامج رتيبة ، ولم تكن فرصاً سانحة كذلك فقط ، وإنما كانت قبل كل شيئ حاجة أكيدة لها دورها الكبير في تحقيق الكمال الذي يتميز به المنهج الإسلامي ، ويكيف الحياة بالقوة والتوفيق ، لكي تؤدي الدور المطلوب في ساحة الطاعة والانقياد ، وبناء المجتمع السليم ، وإعلاء كلمة الله في جميع القطاعات وعلى كل المستويات .

فالمسلم الصادق الكامل هو الذي يتولى قيادة المجتمعات كلها إلى الأمن والسلام ، وإلى ساحة العز والعلو في الأرض ، ويمتلك زمام النفس فيصرفها إلى صالح النوايا وإخلاص الطاعة وطيب النتائج ، ويقود بالتالي الإنسانية كلها إلى السعادة الخالدة والنجاح الحقيقي ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝ ﴾[1]

وقد وضع الله تبارك وتعالى شهر رمضان وصيامه كعنصر مهم جداً في الترتيب التربوي لحياة المسلم التي لا تحظى بالكمال إذا سقط رمضان ـ لا قدر الله ـ من هذا الترتيب ، بل وتظل خداجاً تنقصها حلقة كبيرة من سلسلة التربية الإسلامية التي أودعها الله سبحانه في العبادات المفروضة بصفة خاصة .

[1] سورة النازعات الآية : ٤٠ـ٤١ .

ونظراً إلى هذه الأهمية وضعها الله في صيام رمضان ، وباعتباره من أعظم المقومات تقوم بدور التزكية وشحن القلوب بالإشراقات الأخرى ، فقال في الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة ﷺ " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فانه لي وأنا أجزي به ، الصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب و فإن سابه أحد أوقاتله فليقل إني امرؤ صائم " .

فلولا أن صيام رمضان تحل محل هذه الأهمية الكبرى في بناء الإنسان المسلم الصادق لما أولاه الله تعالى هذه القيمة العالية ولما أضفى عليه هذا اللون الشفاف اللامع من الطهر والقدسية والانتماء الرباني الكريم .

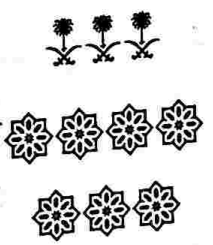
من هنا كان رمضان الكريم وصيامه حاجة الإنسان المسلم الأكيدة التي يفتقر إليها كعادة سنوية للحفاظ على شخصيته الدينية وتقوية كيانه الإسلامي .

فإذا كان المسلم يتطلع إلى رمضان قبل إظلاله بالإشراقات والبركات ، وإذا كان يتحسرعلى فوات أيامه ، وذهاب لمحاته بسرعة مدهشة ، فإنه يسير على ناموس الهداية ، ويتظاهر بطبيعة الدين الحقة .

إن المسلم الصادق يعتبر رمضان حاجة الحياة والمجتمع قبل أن يعتبره فرصة للاستفادة منه في المجالات الروحانية وسد منافذ الشهوانية في النفوس.

إن في رمضان فرصاً سانحة للتقرب إلى الله وللتورع ولاريب، ولكنه حاجة أساسية أكيدة لبناء الحياة والمجتمع وبدونه تظل حياة المسلم ناقصة ضعيفة لا تستطيع أن تقوم بدروها في هذا الكون.

﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ ﴿١٨٥﴾﴾[1]



[1] سورة البقرة الآية: ١٨٥.

واقع الصوم بين الأمس واليوم *

لو أن الله سبحانه وتعالى أودع في هلال رمضان قوة للنطق والتكلم لتكلم بما يأتي:

كان رمضان في ما مر من الزمان ضيفاً على المسلمين كأعز ما يكون، وأكرم ما يمكن فتتفتح قلوبهم بقدومه الميمون، وتنطلق ألسنتهم بالشكر الجزيل لمن عاد به وأنزله فيهم، لقد كانوا يقومون بالإعدادات اللازمة لاستقباله بإكثار صيام التطوع في شعبان وغسل صدأ القلب بتوطيد علاقته بالله وزيادة الإقبال على الله وإخلاص العبادة لله، وشحن النفس بالعاطفة والرقة والحنان والاقتلاع عن الذنوب والسيئات والعصيان.

كان المسلمون في الماضي ينتهزون شهر رمضان ويعتبرونه آخر فرصة أتاحها الله لهم بالخيرات والحسنات، ويتخذونه ذريعة للتقرب وتجديد نعمة الإيمان، وتصفية القلوب من أوضار الحياة الدنيا وتزكية النفس من هموم المعاش ووساوس الشيطان، إنهم كانوا يعتبرون رمضان موسماً للبر والخير والإحسان، وفصل الربيع الذي تهب فيه رياح الإيمان وينادى فيه بالرحمة والمغفرة

* صحيفة الرائد رمضان المبارك عام ١٤٠٦هـ.

والرضوان ، حيث ينادي فيه مناد من السماء " يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر " فيدوي صوته في الأجواء ، و إذا بالشر يتوقف ، وبالخير يزدهو ، ويتحول الزمان والمكان كله رحمة وسكينة وإيماناً وعملا خالصاً ، فلا عمل إلا لطلب الرحمة وجلب السكينة والتماس المغفرة ، من غير تلويث المعدة بالطعام والشراب وتعكير صفو النفس بالنظر إلى الحرام ، وتنجيس اللسان بأكل لحوم الإخوان ، إنما هو صفاء وطهر وتقوى ، وحب ومودة ، وترحم وتعاطف ، وعبادة فوق عبادة ، ونور على نور ، هذا رمضان المسلمين بالأمس .

أما رمضانهم اليوم فلا يعني إلا اتباعاً للعادة ، عادة الجوع والعطش فقط خوفاً من المجتمع ، وفراراً من التهمة ، ولا شيئ فوق ذلك ، ولا فكرة سوى هذا .

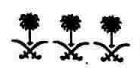
إن رمضان اليوم يتسم بصفة عامة بطول النوم وتهيئة الألوان من الطعام وكثرة الهذيان والثرثرة والكلام ، والرتع في الأعراض ، واستساغة الغيبة ، وكل قبيح من القول والعمل .

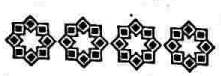
الصائم يظن في نفسه أنه ما أمسك من الأكل والشرب فكأنما صنع معجزة أو تاريخاً عجز عنه البشر ، أو منَّ على الإسلام وبالتالي على الله - والعياذ بالله - وله الحق كل الحق أن يفعل ما يريد ، أن يضرب من شاء ويشتم من أراد ، ويخرق الكرامات وينتهك الحرمات ، ويمدّ عنقه إلى السماء فخراً ، وعلى

الناس أن يجلوه بكل ما في الكلمة من معنى ، وأن يكرموه بكل ما في وسعهم من إكرام ، وأن يمشوا خلفه عبيدا مقتدين ، ويتناولوه بالثناء والمدح ، ويصفقوا له إذا جلس على مائدة الافطار بين ألوان الأكلات وأنواع الشهيات ، ويمكن أن يكون مثل هذا " الصائم " ملكاً أو سلطاناً أكبر من الملك والسلطان ولكنه ليس بصائم البتة ، وليس من صيامه إلا الجوع والعطش ، وليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه ، من غير تورع ولا تقى ولا رعاية آداب الصوم .

(وقد جاء فيما رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) .

هذا صيامنا اليوم ، وذاك صيامنا بالأمس ، فأي صيام نحبه ونرضى به ؟ صيام اليوم أو صيام الأمس ؟ .







ماذا بعد مدرسة الصيام ؟ ★

عاشت الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها منذ فترة قليلة مضت ، مدرسة الصيام التي قامت بواجب التربية والتهذيب والتزكية مدة شهر كامل ، وقد كان حظ المسلمين خلال ذلك وفيراً في النعم التي أغدق الله سبحانه بها على عباده المؤمنين الصائمين ، وأنزل عليهم من البركات والرحمات ما كان ذريعة للتقرب إلى الله ، والاتصال به برباط وثيق متين من التقوى التي هي النتيجة الأولى والآخرة لعبادة الصيام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (٢) .

من ثم كانت الحياة قد تمسكت بالنهج القويم الذي خلقه الله سبحانه للإنسان ، وأصبح مثالاً عملياً حياً لما يحب الله ويرتضيه من الأعمال في الدنيا وإعداد الزاد للآخرة ، تمثل المجتمع الإسلامي بالحب والوداد والإخلاص ، والتعاون والنصح ، والخير والإيثار ، والبر والإحسان ، وجميع الفضائل الخلقية ، تمثل

★ صحيفة الرائد شوال عام ١٤٢١هـ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٣ .

فيه الإيمان بالله ووعده ، والطاعة لله ولرسوله ، وأصبح المسلم مغبوطاً يغتبط به الملائكة ، كأنه سفير المملكة السماوية إلى أهل الأرض ، يبلغ إليهم رسالة الله ، ويمهد لهم الطريق نحوه ، ويهيّئ الوسائل للولاء ، والوفاء لربه تبارك وتعالى .

ومدة شهر كامل كانت فترة للعلاج والتطهير من الأمراض والشوائب ، حتى خرج المؤمن بعد ذلك زكياً تقياً ، ونقياً من جميع الأوساخ النفسية ، وقد وفق إلى التدرب على الطهر والورع ، بعيداً عن الشهوات والمطامع ، وحتى من إشباع ضرورة الطعام والشراب ، والحاجات النفسية ، فكان تأثير ذلك شاملاً وعميقاً ، ومبيناً في سلوكه وأحواله ، وظهر في جميع ممارساته وقوراً مخلصاً ، ومؤمناً كاملاً .

وجاء يوم العيد ، ويوم الفطر ، يوم الشكر لله سبحانه على التوفيق الذي أكرمه به خلال هذه الأيام المباركة ، يوم الحمد على النعم التي استمتع بها في رمضان ، وظل يعيش في نزاهة وتورع ، للفترة من الوقت حتى كاد يزول عنه ذلك اللون رويداً رويداً ، وما هي إلا فترات قليلة إذ كاد يتخلى عن السلوكيات الرفيعة التي تعلمها في مدرسة الصيام ، ويعود إلى الدرب القديم الذي كانت الحياة تسير عليه ، وعاد كل لون من السابق ، وتسرب إلى النفس عادات غير مرضية ، ودوافع غير طيبة ، وصفات تأباها طبيعة المؤمن الصادق .

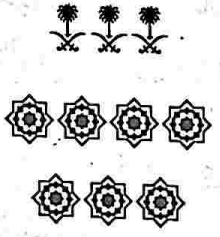
حينما يرتقي المرء على مدارج الروحانية والفضائل ، ويتذوق لذة الحب والإخلاص لله تعالى ، كيف يمكنه أن يتراجع عن ذلك ، وينزل إلى الحضيض ، ويمارس السفاسف من الأمور ، ويتناسى صلته المتينة بربه تعالى ، إنه ليس جديراً في أيّ حال بأن يتغافل مكانته ، ويتشاغل عن مسئوليته ، ويمثل ما لا يليق بالإنسان ، فضلاً عن الإنسان المؤمن المتخرج من مدرسة الصيام ، والحائز على شهادة الرحمة والمغفرة ، والعتق من النيران ، والمستجيب لنداء منادي السماء ، الذي يقول : " يا باغي الخير ! أقبل ، ويا باغي الشر ! أقصر وأدبر " .

وكيف يمكن المتخرج من مدرسة الصيام أن يستغني عن تلك القوة الهائلة المعنوية ، والذخائر من الأعمال التي كانت عطاء رمضان ، كيف ينسى أن يستخدمها فيما تنتابه من الظروف القاسية ، والأحوال المستعصية ، والأوضاع الحرجة ، وفيما تتعرض له من الأحداث ، والمآسي على المستوى الفردي والجماعي .

أليس المسلمون اليوم مستهدفين في دينهم وإيمانهم وعقيدتهم في كل بلد ، وفي كل بقعة من العالم ، أليست القوى الكافرة الشريرة تركز على القضاء على الشخصية الإسلامية ، وإخماد شعلة الإيمان من قلوب المسلمين .

فهلا نستمد من قوة الإيمان المدخرة ، وروحانية رمضان الباقة النامية في مقاومة العدو اللدود ، وتضييق الحصار عليه حتى يلوذ بالفرار ، فيكون مصداق ما قاله الله تعالى :

﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[1]



[1] سورة الحشر الآية : ٢.

من وحي الصيام *

جمع الله سبحانه في هذا الشهر العظيم، شهر الصيام من المعاني الإنسانية الكريمة ما لو تأملنا فيه قليلا لاعترفنا بعبقرية الإسلام وكونه رسالة الحياة الإنسانية الخالدة، لو تأملنا فيما يعود على المسلمين منذ إهلال هذا الشهر من واجبات وأعمال في ليله ونهاره، ورأينا كيف يرتب برنامجا خاصا للصائم من الصباح إلى المساء ومن المساء إلى الصباح، لو فكرنا في كل ذلك لزدنا إيمانا على إيمان بأن الإسلام حاجة البشرية في كل زمان ومكان، وهو رسالة السماء التي لا يستغني عنها أهل الأرض في أي حال من الأحوال.

وليس الصيام وحده الذي يستوحي منه المسلمون هذه الروح الإيمانية، بل كل عبادة وكل تشريع للإسلام يمنح مثل هذه الدرس ويملأ القلوب إيماناً، غير أن في الصيام بعض مظاهر، مرئية، إذ هو يختص بما لا تختص به جميع العبادات فقد يرى الصائم أنه حرم عليه رزقا طيبا ولذة كان يحظى بها طوال السنة، فيضطر إلى التفكير في ذلك، وكلما يزيد تفكيره وتتوسع نظرته في البحث عن سببه تتجلى عليه حكمة الله سبحانه وتعالى في فرضه الصيام على المسلمين كل سنة.

* صحيفة الرائد عام ١٩٦٢م.

ولكن الذي يصوم ولا يفكر في أن صومه رمز لامتثال ما أمره الله به وهو يجلب له رضاه ويقرّبه إلى رحمته، فالذي لا يتأمل في هذا المعنى وإنما يجوع كما يرى الناس يجوعون، ويعطش كما يراهم يعطشون فيقلدهم تقليدا، فإنّه لا يقدر أن يدرك من الصوم إلا الجوع والعطش، ولا يستطيع أن يعمل عملا سوى التقليد الأعمى.

وكم من الناس من يصومون دون أن يفكروا في أنهم صائمون فيعيشون في رمضان أيضا عيشتهم في الأيام العادية، ولا يتجنبون مما يخرق حرمة الصوم ويذهب بجميع ما فيه من الخيرات والبركات والرحمة، فأولئك هم يحرمون فوائد رمضان ويخسرون ثوابا لا يعدله شئ.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد الاهتمام برمضان لنفسه ولأهله جميعا، فكان إذا دخل العشر أحيا ليله، وأيقظ أهله، وشد مئزره، فما لنا نحن المسلمين لا نعير هذا الشهر العظيم من الاهتمام والرعاية كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

يجب أن لا ننسى أن الصيام يشحن القلوب بإيمان قوي وينضرها ويبعثها على كل عمل إيجابى بنّاء، بينما الغفلة عنه تهدم كيانها تكثّف صدأها، والقلوب تصدأ كما يصدأ الحديد) والقلب الصدئ كا لحديد الصدئ لا يصلح لشئ.

[1] صحيح البخاري، كتاب الوحي باب كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ.

رؤية المسلم نحو أيام الله ولياليه*

من حكمة الله تعالى في خلقه أنّه فضل الأيام والليالي بعضها على بعض ، شأنه في الإنسان وفي الكائنات الأخرى ، ذلك لأنه إذا استوى الناس كلهم في القيمة والمكانة ، ولم يكن هناك تفاوت بين الإنسان والإنسان ، وبين السيد والعبد ، وبين الحاكم والمحكوم ، وكان كلّ هؤلاء في درجة واحدة متساوية ، لضاعت تلك الأحكام والآداب التي لها علاقة بالاجتماع ، ولم تكن أي حاجة إلى توجيهات فردية واجتماعية وتفككت أواصر الحياة وشقي الإنسان والمجتمع ، وانحل النظام ، وانطلقت الأهواء وعاش الإنسان والبهائم أسلوبا واحداً من الحرية الوحشية .

وقد جرب الإنسان المعاصر جانباً من هذا الفساد في النظام الشيوعي الذي كان يدعي بالمساواة المطلقة بين الناس ولا يرضى بالفوارق الطبعية التي خلقها الله تعالى في الإنسان من السيدية والمسودية ، ومن الفقر والغنى ، والصغر والكبر ، والذكورة والأنوثة ... كيف إنها فشلت في وزن الناس كلهم بميزان واحد . وقياس كل فرد من أفراد الشعب بمقياس واحد ، فهل هناك مستوى واحد لحياة أفراد الشعب كلّهم ، أو أن فكرة

* صحيفة الرائد ١٨/ رمضان عام ١٤٠٠هـ.

الحاكم والمحكوم قد انصهرت في بوتقة الفلسفة الشيوعية ، ولم يعد هناك أي تفاوت في درجة الحاكم والوزير والأمير والعامل والفقير والأجير أو أن هناك تفاوتا أشد بين هؤلاء و هؤلاء ، وأن المستوى الواحد للحياة الذي ينادون به يتوزع بين مئات وآلاف من المستويات .

بل كل ما يدعيه هؤلاء الأقزام كذب وافتراء وبهتان ! يريدون أن يبدلوا فطرة الله وقانون الله ، وطبيعة الله في الخلق والأمر ، ولكن : ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .

كذلك من يحاول الفرار من الاعتراف بواقع الفضل بين أيام الله تعالى ولياليه ، فإنه يفر في الحقيقة من مسؤلياته نحو الحياة ، ويريد أن لا يثقل نفسه بالشعور بما في اختلاف الليل والنهار من آيات وعبر ، ويعيش كما يعيش حوله كثير من المخلوقات ، ومن ثمّ فإنه لا يعترف بفضله على كثير مما خلقه الله من البهائم والأنعام والدواب .

ودع عنك هذا النوع من الإنسان فقد وجد في كل زمن وجيل أناس عاشوا بالمستوى السافل الذي لا يليق إلا بغير الإنسان ، ولكن يعنينا أولئك الذين يتطلعون إلى كل خير وفضل

[1] سورة الروم الآية : ٣٠ .

فيتسابقون إلى أخذ نصيبهم منه وافراً غير منقوص ، والذين يحرصون على اكتساب مرضاة الله ، من كل عمل ارتضاه الله ، ومن كل لحظة فضلها الله على لحظات أخرى ، الذين يترقبون الفرص والمناسبات وينتهزونها للطاعة والعبادة والاتصال بالله والمناجاة معه ، وبث أشواقهم إليه .

ولذلك كانت أيام رمضان ربيعاً للقلوب المؤمنة ومهرجاناً إسلاميا عالمياً للأمة الإسلامية ، فقد فضل الله أيامها ولياليها على أيام السنة الأخرى ولياليها ، وجعل فيها ليلة عظيمة سماها ليلة القدر ، وأعلن أنها خير من ألف شهر ، وأنها سلام ، وأن من أدركها فقد نال جائزة الشهر المبارك ، وسعد بالحظ الأكبر ، وقد حث النبي ﷺ على تحريها والاستفادة منها بأهمية بالغة ، فعن أنس ﷺ قال : دخل رمضان ، فقال رسول الله ﷺ : حضركم هذا الشهر ، فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرم خيرها فقد حُرم ، ولا يحرم خيرها إلا محروم .

ولكي يتمكن الإنسان من جني ثمار هذا الشهر العظيم ، وانتهاز فرصه السانحة فتح الله أبواب السماء على مصارَيعها وأغلق أبواب الجحيم ، وصد عنه ربه تبارك وتعالى عدوه الأكبر الشيطان وقد صفده بالأغلال حتى لا يحول دون الصائم ودون العمل ، ولا يحرمه خيرات الشهر وفوائده الجليلة ، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : أتاكم رمضان شهر مبارك ، فرض الله عليكم صيامه ، تُفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب

الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم .

فهل بعد هذه الشهادة الصادقة التي لا شهادة بعدها ، نستطيع أن نتغافل عن فضل أيام رمضان ولياليه ، ولمحاته المباركة والذي يتهاون ـ عن علم ـ هذه اللحظات الغالية فلا يضر إلا نفسه ، ولا يخسر إلا حظه .

لا جعلنا الله ممن يعلمون ولا يعملون ويقولون ولا يفعلون .



فرحة الصيام في خضم المادية*

لا يزال المسلمون في كل بلد على عهدهم القديم باحترام شهر رمضان وصيامه في غالب الأحوال ، رغم توافر النظرة المادية نحو الحياة وشؤنها ، ورغم وزن الأشياء على ميزان المادية ، وقياسها على مقياسها ، وإن هذا الاتجاه خير دليل على ما تحمله الشعائر الإسلامية من قيمة وأهمية في نفوس المسلمين ، وأسطع برهان على اعتقادهم بأن الإسلام هو في الحقيقة رسالة الحياة الأخيرة ودعوة الروح والنمو التي تجاوب جميع متطلبات الفطرة ، وتجاري الطبيعة في كل حال ، وتغلب كل نشاط مادي وتهزم كل دعوة متطرفة تزين للإنسان وجه المادة الكالح ، وتحيد به عن جادة الحق التي تصل به إلى مركز الهدوء والطمأنينة والنجاح والسعادة .

إن إقبال المسلمين على التمسك بشعائر دينهم واحترامهم لأركانه وفرائضه يشير إلى أن مؤامرة الحضارات المادية وفلسفاتها وجهود زعماء النظرات الإلحادية لم تنجح في إذابة الحياة الإسلامية والقضاء عليها بقوة العلم والمادة ، بل إن المنهج الإسلامي للحياة لا يزال معمولا به في مجتمعات

* صحيفة الرائد ١٦/ رمضان عام ١٣٩٧هـ.

المسلمين بوجه عام ، وإن أغلبية المسلمين لم ترفض الإسلام وشعائره مؤمنة بأنه لا بد من العمل بتعاليم الإسلام وتنفيذ أحكامه في الحياة ، وأن ذلك هو الطريق السليم للتوصل إلى ساحة السلام والأمن والهدوء .

شاهدت المجتمعات الإسلامية جميع تلك التجارب التي مر من خلالها البشر في تاريخه الطويل في العالم الحديث والقديم ، ورأت كيف أن هذه الفلسفات وتلك الدعوات المادية فشلت في توفير الأمن والهدوء إلى الأرواح والأموال وتهيئة العدالة الاجتماعية والانسجام الفكري والعاطفي بين مختلف طبقات البشر والشعوب التي ذاقت مرارة الشقاء الذي شمل كل جزء من أجزاء الحياة ، والتي عاشت خاوية القلب فارغة العواطف ، بين ضجيج الماكينات وصخب الآلات وروتينات الأعمال ، فلا نظام للأسرة ، ولا علاقة بين الأولاد والوالدين وبين البنات والأمهات ، ولا تربية من الآباء للأبناء ، ولا مسؤلية يشعرون بها نحو تعليم وتربية الأبناء والبنات ، بل كل واحد مشغول بنفسه ، إنما هي الفوضى تعمل في الحياة الاجتماعية والفردية ، والكل فيها حر طليق يمارس من يشاء ما يشاء عن الجرائم والشنائع .

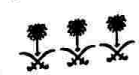
وأحست بمرارة هذا الشقاء بعض الحكومات المسلمة في الأقطار الإسلامية ، فأقبلت على وضع نظام جديد للحياة وصوغ سلوكيات جديدة في ضوء الشريعة الإسلامية ، وطالبت

الجماعات الإسلامية ، والمجالس الدينية بتحكيم الشريعة في الحياة ، وتنفيذ الأحكام الإسلامية فيها .

فإذا كانت الأمة الإسلامية تستقبل الصيام بقلوب متفتحة وعقول واعية ، وترى فيه ما يوفر لها بعض الطمأنينة والراحة من شقاء المادية التي تحيط بها من كل جانب ، وإذا كانت تجد فيه شفاءً لآلامها وجروحها التى أصابتها في زحمة السباق المادي ، فلا جرم أنها خاضعة للطبيعة التي أودعها الله فيها ، وممثلة للفطرة التي فطرها الله عليها .

ولا بد من انتصار الروح على المادة وتغلب الفطرة على قوة العلم والصناعة وعلى الأشكال الواهية ، ورجعة الإنسان إلى التعاليم السماوية فراراً عن التعاليم الوضعية ، وهنالك يتم الانتصار ، ويستبشر المؤمنون : ﴿ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝ ﴾ (١)

﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ ﴾ (٢)



(١) سورة الروم الآية : ٥ .
(٢) سورة الصف الآية : ١٢ .

الصّيام كما نراه ويراه ....!*

لا يزال المسلم يتقرب إلى الله بأعمال وواجبات طوال أحد عشر شهرا ، من شوال إلى شعبان ، ولكنه يصعد قمة التقرب إلى ربه في شهر رمضان الفضيل حينما يتمتع بشفافية الروح وإشراقة النفس من أجل صيامه الذي يؤديه في غاية من صفاء النية وإخلاص العمل وصدق الإرادة ، لله تعالى وحده ، ولو لا هذه الصفات العالية التي يتمتع بها الصائم المؤمن لما جاء في الحديث القدسي ما جاء من وعد رباني كريم بالجزاء الأوفي مقابل ما يقوم به الصائم من عمل مخلص زكي " قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزى به " .

هذه القيمة الغالية التي يتقاضاها الصائمون المخلصون ليست هينة ، ولا يسع أي إنسان أن يقدرها كيفاً وكماً ، ولا أن يتصورها في شكل معين أوشئ بالذات ، بل إنها فوق ذلك كله ، حيث يعجز العقل البشري عن الإدراك ، وتعيا الوسائل الإنسانية عن التحديد .

ورغم هذه الأهمية الكبرى والعناية الخاصة بهذا العمل الذي يتولاه المسلم في هذا الشهر أراد أن يهمله عدد ضخم ممن

* صحيفة الرائد ١١/ ٢٧ رمضان في المبارك ١٣٩٨هـ .

ينتمون إلى الأسر المسلمة ، وهذا العدد الضخم يتوزع بين نوعين اثنين فيما أرى :

١ـ طبقة المثقفين بالثقافات الغربية التي لا تثق في مثل هذه الفضائل وأجورها الموعودة ، فهي تقلل من أهميتها نظرا إلى أن هذه الأمور لا يعيها العقل الظاهر ، وليس من المعقول أن يحرم الإنسان على نفسه لفترة من الوقت ما يعيش فيه طول السنة وما يحلله ويمارسه طوال العام ، وكيف يحرم الطعام وهو حاجته في ليله ونهاره ، وكيف يحرم الشهوات وهي من طبيعته الانسانية؟ إذن لا يقبل العقل ما يقدمه " رجال الدين " في موضوع الصيام .

هذا أو ما أشبه ذلك يقوله المثقفون بالثقافات الغربية ، والمعجبون بحضارات الغرب ، وإن كانوا مسلمين .

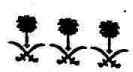
٢ـ الطبقة الفقيرة التي ترفض الصوم بحيلة أنها تعاني من الفقر والجوع بصفة دائمة فما لها تصبر على مشقة الجوع والعطش كلما توفر لها من الطعام ما يشبع به المعدة ولو كان ذلك في شهر رمضان ، أما الطبقة الكادحة فإنها تعول على العمل الشاق الذي تشتغل به ولا يسمح لها بالجوع والعطش فيما ترى ، لأنها لا تستطيع أن تقوم بما تقوم به من أعمال إذا واظبت على عبادة الصيام .

ولكن الذي يعرف طبيعة الشرع الذي يفرض على الناس واجبات وأعمالا ، يدرك الدقة التي يتحراها عند كل عمل يفرضه على أتباعه ويدرس جميع المناحي والجوانب التي تنطوى

عليها الطبيعة الإنسانية ، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، وبعد الإحصاء الدقيق والدراسة الشاملة يفرض عملا ، ويقرر واجباً ، ألم يكن المسلمون السابقون فيهم الفقراء وفيهم الكادحون والعمال ، بل ألم يكونوا يخرجون في المعارك والحروب ضد أعداء الإسلام في أيام رمضان في الحر الشديد ، فوقهم الشمس في غاية من الحرارة ، وتحتهم الرمضاء والرمال في غاية من السخونة .

أما الطبقة المثقفة بالثقافات الغربية التي ترفض أهمية الصيام وتعتبره مشقة يفرضها " رجال الدين " على المسلمين ، فهي في الحقيقة صنيع الاستعمار العدو ، ورببب أعداء الإسلام الذين لا يتركون فرصة إلا وينتهزونها لتشويه صورة الإسلام الناصعة ، وهذه خطة مدبرة ينفذونها في بلاد المسلمين ومجتمعاتهم عن طريق عملائهم وتلاميذهم الذين تمت تربيتهم على أيديهم ، وعرضوا عليهم الإسلام كدين مرهق ظالم ، وكشريعة تضاد الحياة الإنسانية وتعرقل سيرها .

يجب أن يقوم علماء الإسلام لدحض هذه الأباطيل وتفنيد هذه الأقوال السخيفة في أسلوب علمي سائغ ، لا تنقصه قوة الدليل ، وحكمة الدعوة .



الصبر .. ودوره في حياة المسلم *

للصبر في جميع شؤن الحياة الفردية والجماعية دور كبير ، وتتجلى قيمته في إيجاد الاتزان بين مختلف الجهات والاتجاهات ، وبين متعدد الاهتمامات والنزعات في الحياة الإنسانية ، عليه يرتفع صرح السعادة والهدوء النفسي في هذا العالم ، ومنه ينبع الحب الصادق لله ، والثقة الكاملة به ، والاعتماد القوي عليه ، وبالصبر يسبر غور الأصالة النفسية ، وعمق الإخلاص لله وقوة الإيمان به ، ولكون الصبر هذا العامل الأقوى في رفع شأن المرء وإغلاء قيمته ، أولاه الإسلام أهمية كبرى وأوصى المسلمين بالتشبث بأذياله لدى الشدائد والمصائب بوجه خاص ، وأمرهم بالحرص عليه والتمسك به في كل مناسبة ولدى كل حاجة .

فأمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالاهتمام الشديد بمعنى الصبر ، وأمرهم أن يتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر ، لأن في ذلك تفادياً من كل خسارة ، وضمانا لكل فوز ونجاح وسعادة ، ولأن الإيمان والعمل الصالح لا يثمران الثمار المطلوبة بدون الصبر ، ومن غير المواظبة عليه في كل لحة ، وقد بشر الله تعالى

* صحيفة الرائد ٢٢/ رمضان المبارك عام ١٣٩٩هـ .

الصابرين بشارة عامة ، ولم يحدد لهم جزاء ، فقال في كتابه العظيم : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ ﴾ [1] وقال في الحديث القدسي " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنّه لي وأنا أجزي به " وقال عن شهر رمضان : "وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة " .

ولزيادة أهمية هذا العنصر الكريم في حياة الإنسان كرر الله سبحانه ذكره في كتابه ، وعظم شأنه ، ورفع منزلته وجعله أساساً كبيراً للإيمان والإخلاص والحب والثقة ، وجميع الصفات الإنسانية المثلى ، بل أقام عليه في الواقع أساس السيرة المثالية والأسوة الحسنة ، وربط به السعادة والنجاح والغلبة والانتصار على الباطل والاعتبارات الزائفة ، وإنّ نظرة واحدة على تاريخ الاسلام البدائي توكد ما للصبر من دور كبير في ترسيخ أقدام المؤمنين ونصرهم وغلبتهم على قوى الشر والطغيان ، فكم صبر رسول الله ﷺ على أذى المشركين والكفار وكم صبر أصحابه رضوان الله عليهم على ما واجهوه من ظلم وقساوة وسوء مخاطبة ومعاملة ، ظهرت من الطغاة والأعداء .

ولإبراز دور الصبر في حياة المسلم وتعويده عليه وتجديده إلى النفس شرع الله سبحانه وتعالى ركنا مستقلا في الإسلام هو

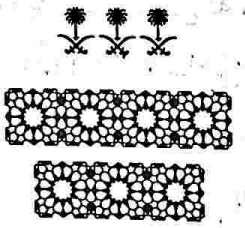
[1] سورة البقرة الآية : ١٥٥-١٥٦ .

إحدى دعائم الدين ولا يكتمل بناء الإيمان بغيرها ، وهو الصيام الذى جعله مرآة صادقة للصبر ومظهرا جلياً له ، وفرضه لمدة شهر كامل بغية تثبيته في النفس ، وترسيخ جذوره إلى الأعماق ، لكي لا يغفله المؤمن في أعماله وعاداته وفي إسراره وإعلانه ، ولا يتناساه إذا ما حل به امتحان أو أصابه بلاء ، فالله سبحانه وتعالى طالما يبتلى المؤمن في أحب الأحباء لديه ، وآثر الأشياء عنده ، ويختبر صبره وقوة تحمله للامتحان ، فإذا كان الصبر مألوفاً قد ألفه في كثير من الشدائد والصعاب ، وحيثما ينقطع الأمل ، ويخيب الرجاء ، فلا شك أنه ناجح في امتحان صبره وفائز برضا ربه (بإذن الله تعالى) .

ولكن شهر الصبر هذا ينال من الجفاء وقلة الاحتفاء ما لا يخفى ، في مجتمعات المسلمين ، فكثير من الناس يتجاوزون الحدود المألوفة في دعوى الإسلام والإيمان فيهم ، ولكنهم لا يخجلون أبداً إذا أفطروا في نهار رمضان ، وأعلنوا إفطارهم بوقاحة منقطعة النظير أو صاموا ولكن لم يعرفوا للصيام معنى سوى الإمساك عن الأكل والشرب دون أن يحفظوا ألسنتهم وأيديهم من إيذاء إخوانهم المسلمين ويحاولوا التعرف بمعنى الصبر في الصيام ، أو يكتفوا بالجوع والعطش فقط ، ولم يروا بأسا فيما إذا تعاملوا بالربا مثلا أو تشاغلوا بأمور ومعاملات محرمة ، أو انتهزوا الفرص للانتقام من شخص أو النيل من عرض أو انتهاك حرمة .

في مثل هذا الوضع أو شبهه يعيش المسلمون هذا الشهر العظيم الذي هو ربيع القلوب المؤمنة وموسم العبادات والمكاسب الغالية على الإطلاق ، على أن الرسول ﷺ أعلن مدوياً مجلجلا فقال : من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

فكيف يفهم المسلمون معنى قوله ﷺ ، ومتى يعودون إلى الرشد ؟!



شهر التقوى ولكن ..؟*

يظلنا شهر التقوى بعد كل أحد عشر شهراً ، ويستقر في بيوت ومجتمعات المسلمين شهراً كاملا ، فيتزودن خلال ذلك بالمعاني العلوية الروحانية من الطاعة والبر والمواساة ويشحنون خلايا النفس بالنشاط والقوة والإيمان ، ويجدُون علاقاتهم مع الله تبارك وتعالى بالتقريب إليه والإخلاص له ، حتى إن الله تعالى هو نفسه يتولى جزاءهم في هذا الشهر الفياض " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فانه لى ، وأنا أجزي به " (حديث قدسي) .

إن التقوى التي تعتبر نتيجة الصيام الأولى والأخيرة ، ليس خطبها هيناً ، كما يزعم بعض الناس ، ليست التقوى في الإمساك عن الأكل والشرب لفترة من الوقت محددة ، ليست التقوى في الامتناع عن الاستجابة للشهوات وكسر جماح النفس من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ولو كان ذلك يعني التقوى لكانت النساك من الهندوس والمجوس ممن يحرمون على أنفسهم الطيبات ، من الأكل والشرب ولذة الجنس ، تحقيقا لبعض مراحل الرهبانية ، وتوصلا إلى غاية من التبتل والزهد عن الدنيا والرغبة

* صحيفة الرائد ٨/ ٢٤ رمضان عام ١٤٠٢هـ.

عن اللذات ، لكان أولئك القوم على قمة عالية من تقوى الله يصعب على غيرهم الوصول إليها ، ولكن التقوى في الإسلام لا تعني : وضع الحد على النفس فيما تشتهيه أو لا تشتهيه ، أو تحريم الطيبات عليها ، أو مراقبة فكر من الأفكار لساعات طويلة في وضع واحد وحالة واحدة ، أو دفن الجسم الحي في قبر أمام جموع من الناس تظاهراً بالتقوى والعزوف عن الشهوات والطبيات لمدة محدودة ، ثم الخروج عن ذلك القبر على قيد الحياة والروح ، لو كان ذلك تقوى لكان هؤلآء أتقى من الجميع .

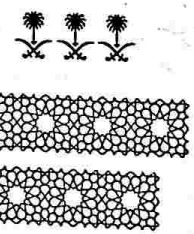
ولكن شأن التقوى لدى المسلم المخلص غير هذا الشأن ، إنها تلك الصلة الروحية الشفافة التي تصل العبد برية ، وتتمثل له وجود الله تعالى في كل حين ولدى كل نشاط وعمل وتؤكد مراقبته للإنسان العبد في كل أحواله وأوقاته ، وفي إسراره وإعلانه ، وفي صغيره وكبيره ، وفي اجتماعه وخلواته ، وفي أماناته وخياناته ، وفي نياته ، وأفكاره ، وفي نزعاته ونزواته ، ولو لا إيمانه بهذه المراقبة الدقيقة لكان قد خالف بعض آداب وقيود الصيام في سرية تامة ومن غير أن يطلع على ذلك أي إنسان ، ولكنه لا يستطيع ذلك لأن الخيط المتين الذي يربطه بربه لم ينقطع بعد ، ولأن المراقبة الآلهية لا تزال ترسل عليه هيبتها ، فكيف تقبل النفس على مكروه أو منكر ! وكيف يتجرأ العبد المسلم على محاربة أحكام الله ونقض قوانينه .

بهذا المعنى الواضح الصريح يتمسك الصائم بصيامه في شهره هذا ، وكأنه يظل متصلا بمنبع الروح والقوة والخلق والأمر أقوى اتصال ، ولا يقدر على الخضوع أمام الشهوات والإغراءات مهما كانت الظروف ، وهو يستمر على هذه الخلة الطيبة شهرا كاملا يزوده بالوقود الإيماني القوي الذي يمده بجميع معاني الأخلاق والفضائل والحسنات ما يكفيه لمدة طويلة ، وهنالك تجدون العبد المسلم مثالا للطاعة الكاملة والإيثار والحب والإيمان والبر والمواساة وصلة الرحم ونصرة الضعيف ومحاربة الظلم ومساندة العدل ، وهلمّ جراً إلى جميع الخلال الإنسانية الطيبة والمكارم الخلقية ، واذكر ما قاله رسول الله ﷺ يخاطب الصائم المؤمن : " إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إنى امرؤ صائم ".

ثم انظر إلى شرذمة ممن يزعمون أنهم في أفضل شهر مع أجل أجر ، غير أنهم المساكين لا يترددون في ارتكاب أي معصية أو جريمة فيه ، بل وقد يتخذون الشهر الفضيل مطية للتوصل إلى أهداف خبيثة ، وتحقيق مآرب خسيسة من إرضاء ذى جاه لنيل شرف كاذب ، أو عزة مزورة ، أو التملق لذي منصب وشرف لإثبات ولاء أو وفاء ، ثم الحصول على متعة قليلة من مال أو جاه أو عرض زائل من دنيا حقيرة .

لا يتلكأون فيما إذا تظاهروا بالتقوى الكاذبة ، وهم في شهر التقوى وحازوا لقاء ذلك رضى موقتاً ، يعقب حزناً دائماً وألماً مستمراً ، ولا يترددون أبداً في اغتياب ونميمة وقول زور وقتال ، نزولا إلى طاعة الشيطان وإرضاءً للنفس الجامحة .

ولولا هذا النوع من الصائمين في المجتمع الإسلامي لما قال الرسول ﷺ ما قال : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " :



لماذا يصومون ؟*

كثير من المسلمين ممن لا ينشطون لأداء الواجبات الدينية والعبادات المشروعة المفروضة في الإسلام ، إنما يحترمون شهر رمضان ويجلون ما فرض الله فيه من صيام ، فرغماً من أنهم لا يحافظون على الصلوات ، ولا يتقيدون بقيود الأخلاق الدينية في معاملاتهم وشئون دنياهم ، يصومون في رمضان ويعتقدون ترك الصوم فيه ذنباً ولا يجدون في أنفسهم حرجاً أو ضيقاً من مخالفة عادة الأكل والشرب ، بل على العكس من ذلك يشعرون بالراحة والطمأنينة في صيامهم ، وبالرغم من توافر فرص التمتع باللذات بطرق سرية في الصيام يحافظون عليه بغاية من الاهتمام ويراعون بدقة فائقة ، فما السبب في ذلك ؟

فكرت في ذلك وتحدثت إلى نفسي فظهر لي أن الصيام عادة تتميز عن غيرها ببعض الجوانب المهمة :

أولا : إنها تفرض واحدة لمدة شهر في طول العام

ثانياً : إن الله سبحانه تحمل فيها مسؤلية الجزاء بنفسه ، دون سائر العبادات ، وصدع بذلك وأعلن كما جاء في الحديث القدسي الصحيح : قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا

* صحيفة الرائد ٢٠/ رمضان عام ١٣٩٦هـ.

الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه (رواه البخاري واللفظ له ومسلم) .

فالصلاة والزكاة والحج وجميع الأعمال الصالحة التي يقوم بها العبد له ، ولكن الصيام لله ، لأنه يخلو من الرياء على توافر فرصه ، ويخلو من شوائب الشرك لأنه ليس مما يجلب به رضا العباد ، ولأن جانب الإحسان فيه أقوى من غيره ، فالصائم إذا خلا له الجو في أيام الحر الشديد وهو مغلوب بالعطش والجوع وأراد أن يتناول ماءً بارداً ، أو طعاماً لذيذاً من غير أن يراه أحد إذا بربه يتمثل أمامه وكأنه يقول : الصوم لي وأنا أجزي به ، ويحاول الصائم أن يكذب ويخون ، ويغتاب ويتخاصم ويقاتل ويرفث ويصخب في وجه أخيه ، ولكن جنة الصيام تحول دون ذلك ويتذكر أنه صائم .

وهل يجد الصائم لذة وفرحة في فطور أو طعام بمثل ما يجده في طعام الإفطار ، وهل يجد الصائم خفة وطراوة كما يجده في شهر رمضان ، وقد بلغ من إكرام الله إياه ورفع مكانته إلى أنه يتلقى نكهة فم الصائم بأطيب من ريح المسك .

ولعل ذلك هو السبب الذي يحبّب الصيام إلى نفوس المسلمين أكثر من كل شئ ، ولعلهم من أجل ذلك يتنافسون في

شهر الصيام بالبر والمواساة والإحسان إلى إخوانهم الفقراء ويتبارون في تلاوة القرآن ، وإكثار الصالح من الأعمال ، والزيادة في الخيرات والتطلع إلى الرضا والرحمة والمغفرة ، والحرص على كسب الأجر والمثوبة وادخار الحسنات في الآخرة .

هذا وقد نرى شرذمة قليلة من المسلمين أيضاً أنهم لا يصومون وينتهكون حرمات الله بوقاحة أو يصومون ولكن لا يجعلون صيامهم جنة بل اتباعاً للعادة فقط ، والذين يجاهرون بالإفطار في أيام رمضان لقلة غيرتهم الدينية يستهزأون بإخوانهم الصائمين ويقولون ما لهؤلاء يجوعون ويعطشون ، ويزهدون في لذائذ العيش ومتع الحياة ، وإن من الحرمان أن يحرم الإنسان على نفسه الطعام والشراب ، ويمتنع عن الرغبات والملذات وهو قادر عليها ويقولون أيضاً : يا لذلة هؤلاء المساكين الذين يعذبون أنفسهم بالجوع والعطش ، تبا لهذا التدين الذي يتظاهرون به ، وسحقا لهؤلاء الأشقياء البؤساء ، والحمقاء من الناس .

إنني لا أسوق هذا الكلام جزافاً بل إنني أقوله عن مشاهدة وتجربة وليس لنا إلا أن نأسف على هذه العقلية العفنة التي تعيش في غضون أدمغة من يسمون أنفسهم مسلمين ثم لا يستحيون من انتمائهم إلى الإسلام ، وأنّى الحياء إذا خرج الإيمان ، بل ولما يدخل الإيمان في قلوبهم .



ما أحوجنا إلى الصبر *

يحتاج الانسان في جميع مجالات الحياة ومراحلها إلى التمسك بأذيال الصبر ، بل الحقيقة أن الإنسان صورة للصبر ولا تقوم دعائم حياته إلا على أساس الصبر ، ولولا الصبر لم تكن حياة ولا نشاط ، ولا عمل ولا سعي ولا جهود ، ولذلك فإن الحياة الإنسانية التي تتطلع دائماً إلى المعالي أو تريد أن تنجز أي نوع من العمل أو تحرز أي شئ من النجاح ، وتحقق أي غاية من الغايات مهما كانت ، تحتاج إلى مقدار من الصبر ، حتى إن المجرم عندما يفكر في جريمة يخطط لظلم أو بغي أو ثورة ، فإنما يستعين بقوة صبره ويعتمد عليها في إنجاح مهمته ، إذ أنها هي العمدة التي ينال منها غذاء لنفسه ، ودافعاً لقلبه ، وبها وحدها يخوض في الأخطار ، ويتشجع على جني الثمار .

ولكن المسلم المخلص أحق بالصبر والتحلي به في كل مناسبة ولدى كل عمل ، لأنه لا يستطيع أن يقوم بواجبه خير قيام ولا يتمكن من أداء وظائفه إذا لم يجعل الصبر دليله ، ولم يتكئ عليه في غدواته وروحاته ، وقد أشاد الله سبحانه وتعالى بالتواصي بالصبر وأمر بالمصابرة ، والاستعانة بالصبر ، ووعد بأنه

* صحيفة الرائد ٥/ رمضان ، ١٣٩٦هـ .

مع الصابرين ، فقال : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [1] و ﴿ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾ [2] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [3] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [4]

ونظراً إلى أهمية الصبر في الحياة جعل الصيام عبادة الصبر ورمضان شهر الصبر ، وكلما كان الصبر أدخل في حياة المسلم وأمس بأعماله ونشاطاته ووظائفه و واجباته كلما كان كفيلا بالنجاح والسعادة ، وجالباً لصفة الورع والتقى ، وباعثاً على الاتصال بالله والتقرب إليه والحب له والبغض له ، ودافعاً إلى العبودية الخالصة ، والافتقار إلى عتبه كبريائه وعظمته ، وجلاله وسلطانه : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [1]

والصيام فيه دوافع الصبر والتقى أكثر من غيره ، الصائم المؤمن يصوم لله ، ويحرم على نفسه الشهوات والملذات في ساعات النهار ، نفس الشهوات والملذات التي يحلّلها في ساعات الليل ، وفي كل وقت في غير رمضان ، لماذا يحرم الطعام

(١) سورة العصر الآية : ٣ .
(٢) سورة البلد الآية : ١٧ .
(٣) سورة آل عمران الآية : ٢٠٠ .
(٤) سورة البقرة الآية : ١٥٣ .
(١) سورة يوسف الآية : ٩٠ .

والشراب ، لماذا يجعل الاقتراب إلى أهله حراماً ، بينما كان ذلك عبادة في غير أوقات الصيام ، وكان التمتع بنعم الله حلالا طيبا يثاب عليه العبد إذا شكر الله وذكره في غير ساعات النهار في رمضان ، وفي جميع الأوقات في غير رمضان ؟

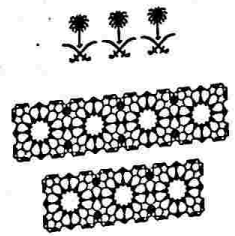
ومن هنا تتبدى حكمة ما جاء في الحديث القدسي من أن الله عز وجل قال : " كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي " وأنا أجزي به" ، لأن الصائم المؤمن لم يلوث صيامه بشئ من الرياء ، ولم يخطر بباله أبداً ، وكان في وحدة ليس معه أنيس ولاجليس ، والماء البارد متوافر ، العطش بالغ إلى آخر المدى ، والنفس تواقة إليه ، أن يتناول من الماء ما يشفي غليله من غير أن يعلم بذلك أحد أو يطلع عليه غيره بل إنه يحرم ذلك الماء عليه ويخاف الله ويخشى بطشه وعذابه ، ويخالف النفس ويعصي الشيطان ، ويقول بلسانه حاله ومقاله : ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1]

ولا يكتفي بكف شهوة الطعام والشراب واللذات المادية فحسب ، ولكنه يكف لسانه عن كل كلام يغاير كرامة المؤمن ويخرق حرمة الصيام ، فلا اغتياب ولا نميمة ، ولا كذب ، ولا فحش ، ولا سب ، ولا زجر ، حتى ولا صخب ولا صوت ، بل صيامه أكرم من كل هذا ، إنه يتذكر بصفة دائمة أنه صائم ، فيشتغل بالذكر ، والتلاوة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

(١) سورة المائدة الآية : ٢٨ .

والدعوة إلى الله في حكمة بالغة ، ويعيش في سرور وفرحة ونعمة وسعادة في الدنيا ، وفي الآخرة يدخل الجنة من باب الريان ، ويبعد وجهه عن النار سبعين خريفاً (والخريف مدة سير تستغرق سبعين عاماً) .

أليس هذا مما يرغب فيه الناس ، ثم أليس ذلك منة الله على عباده الصائمين التي يتنافس فيها المتنافسون .



الباب الخامس

الحج والتضحية

إلى بيت الله العتيق من كل فجٍ عميق *

رغم أن المسلمين يقومون بأداء فريضة الحج كل عام ، وبعضهم يسعد بالحج أكثر من مرة ، ولكنه إذا سئل عن شوقه لأداء مناسك الحج كل عام ، ووجهت إليه دعوة للحضور إلى بيت الله العتيق في كل مناسبة فسوف يستبشر بذلك خيراً وسعادة ويغتبط به ، ويؤخر جميع أعماله ومسئولياته على تحقيق هذه السعادة العظيمة ، ولاشك فإن الله سبحانه قد وضع في بلده الأمين وبيته العتيق ومدينة الرسول مغناطيسية تجذب قلب كل مسلم إلى زيارتها لأداء ضريبة الشوق والحب والعبودية ، وتبعثه على شحن بطاريته بعواطف الشكر والغبطة والتضحية .

ذلك أن الله سبحانه وتعالى بدأ قصة هذا الوادي الغير ذي الزرع بأعظم مثال من الحب والولاء وبأعلى نداء للعبودية والفداء ، وأطلق لسان عبده الحبيب إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالدعاء لعمارة وادي مكة ، وبطحائها وجبالها ، برجال مخلصين من عباده وذريته والمؤمنين بعظيم قدرته والملتجئين إلى أبواب رحمته ، فاستجاب الله دعاءه كاملا ، وعمر وادي غير ذي زرع بالقائمين والعاكفين والركع السجود ، حتى أصبح مهوى

* صحيفة الرائد ذوالحجة عام ١٤١١هـ.

الأفئدة ومحط الأنظار ومركز الأشواق ومصدر الحب والشوق ، وذلك ما نراه اليوم من تهافت البشر من كل جنس ولون ومن كل بلد وقطر على هذا الوادي ، وطواف بيته المحرم ، وتعظيم المشاعر ، وأداء المناسك مما لا نظير له في تاريخ البشر .

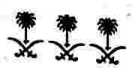
إن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام يمتثل أمام ربه بأدب وخشوع ويدعوه بأعماق القلب منقطعاً عن كل رغبة وأمنية في الحياة إلى طلب حبه ورضاه وتحصين البلد الأمين بالأمن والسلام ، وتطهيره من الوثنية وعبادة الأصنام اللائي أضللن كثيراً من الناس ، حتى تتمكن عقيدة التوحيد من شغاف القلوب ويعلق كل عبد من عباده قلبه بربه تبارك وتعالى ، فيخلص له العبادة ويقيم له الصلاة ، ويلتجئ إليه عند كل حاجة ، ولدى كل أمر ذي بال ، ولم ينس إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يقرن طلب الرزق مع طلب الأمن ، إنه أراد أن يكون هذا البلد مركز الحب والأمن والعبودية والخشوع ، كما أراد أن يرزق أهله والوافدين إليه من مسلمي العالم بالثمرات والطيبات من الرزق ، انظروا كيف يدعو الله تعالى في أدب وبلاغة وعبودية خالصة .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ۙ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [1]

بهذه الدعوة الكريمة التي أكرمها الله تعالى بالإجابة أصبح هذا الوادي الذي لم يكن فيه زرع ولا ضرع ، ولا كان مما تقبل إليه القلوب ، وتنجذب إليه النفوس ، مركزاً خالداً للعبودية يهرع إليه عباد الله من كل صوب بعيد وفج عميق لأداء ضريبة الشوق والفداء ، وقضاء لحظات غالية فيه من الحب الخالص والولاء الكامل ، وهنالك نال ما قد أذن به إبراهيم عليه الصلاة والسلام من الحج إلى بيت الله العتيق ، نال نداؤه هذا إعجاباً كبيراً وقبولا عاماً خالدين وباقيين إلى يوم الدين .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2]



[1] سورة إبراهيم الآية : ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ .

[2] سورة الحج الآية : ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ .

الحج و دوره في بناء الشخصية الإسلامية*

الحج ذلك الركن العظيم من أركان الإسلام ، يلعب دوره المهم في بناء الحياة الإسلامية المتكاملة وتحقيق السعادة التي يوجه إليها الإسلام أتباعه ، ذاك أنه يركز بوجه خاص على نقطتين مهمتين : أولاهما : تتصل بوحدة الفكر والعمل التي تعين الهدف المنشود للإنسان المسلم في حياته الفردية والجماعية ، وتفتح له الطريق الواضح الذي يسلك عليه فيؤديه إلى الغاية المتوخاة ، ويوفر له " المنافع " التي أشار إليها كتاب الله تعالى حيث أمر الله سبحانه عبده المؤمن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام بالتأذين في الناس بالحج وقال ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ (٢)

والنقطة الثانية هي توحيد الله سبحانه وإفراده بالعبادة والخضوع والاستسلام ، والتأكيد على هذه النقطة الأساسية والإلحاح عليها وإعلان البراءة الكاملة من كل ند وشريك ، أو " وسيطة " تتوسط بين العبد وربه ، هو ما يطالبه الإسلام من كل مسلم ، ويأمر به كل شخص ينتمي إلى هذا الدين ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي

* مجلة البعث الإسلامي ذوالحجة عام ١٤٠٧هـ.

(٢) سورة الحج الآية : ٢٧ .

وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (١) ولهذه النقطة أهميتها البالغة في بناء الحياة على أساس من العبودية الخالصة والإيمان الكامل ، وبها تتكامل عقيدة التوحيد ، وتتعمق جذورها في النفس .

إذا تأملنا في عبادة الحج من خلال هاتين النقطتين تبين لنا دورها وتأثيرها في توجيه المعاني التي تتولى بناء الإنسان ، وتربية ضميره وشعوره على أساس السعادة الكاملة ، والمنافع المتبادلة ، والتجرد لله تعالى عن كل ما يعكر صفو العلاقة الخالصة بالله ، ويوحي إلى وجود الوسائط التي تتوسط بين العبد وربه ، كما كان الشأن في الديانات القديمة التي هدمها الإسلام ونسخها إلى يوم القيامة ، بعد ما أقر بالملة الإبراهيمية وجعلها ملة الإنسان الدائمة التي لا تعجز ولاتني عن توفير جميع ما يحتاج إليه الإنسان في حياته الظاهرة والباطنة ، وفي علاقاته مع الناس وعلاقته بالله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٢)

ذلك هو الدين القيم الذي يتولى الهداية والرشاد لأتباعه ، ويوجه إليهم طرق المعروف والخير والبر ، ومعاني التقوى والإحسان والعدل ، ويوطد صلتهم بمنابع الحب والإيمان ، ويثير

(١) سورة الأنعام الآية : ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) سورة الروم الآية : ٣٠ .

فيهم الحنين إلى الآخرة ونعيمها ، والشوق إلى الأعمال الخالصة التي أمر الله بها عباده و دعاهم إليها في تعاليم الإسلام وأحكام الشريعة التي أنزلها إليهم بواسطة خاتم النبيين محمد ﷺ ، حتى يتم الإسلام وينضم المسلم إلى ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ويبرز أمام العالم نموذج كامل من الحياة الإسلامية التي دعا إليها إبراهيم وأكملها الله تعالى على يد الرسول محمد ﷺ ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ ﴿٧٨﴾ ﴾ [1]

والحج يمهد الطريق نحو معرفة أساليب العبودية والتجرد والاستسلام ، وتعميق دعائم الأخوة والعدل والمساواة بين بني البشر والمجتمع الإنساني ، وبالتالي إلى وحدة الصف ووحدة الفكر ووحدة الهدف ، وبه يتعرف الإنسان بوضوح أكثر أنه عبد في معنى الكلمة ، فعليه أن يعرف طرق التوصل إلى ربه الواحد الصمد الذي خلع عليه لباس الإنسانية وأكرمه بعقيدة التوحيد ، وأضفى عليه نعمة الإسلام ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [2]

إذا تدبرنا قليلا في مناسك الحج ، وشعائر ومشاعره تحقق لنا بغاية من اليقين والإيمان أن الهدف الذي يركز عليه الحج

[1] سورة الحج الآية : ٧٨ .
[2] سورة البقرة الآية : ٢١ .

بجميع أعماله وأركانه هو تثبيت دعائم " الإسلامية " التي هي الميزة البارزة والخصيصة الدائمة للإنسان المسلم ، فإنّه يرسخ هذه الدعائم في الحياة والمجتمع ويعمقها في خفايا النفوس ودواخل الطبيعة ، ويربي عليها الإنسان المسلم لكي لا يعوقه شئ عن التظاهر بإسلاميته في أي مناسبة ، ولا تحول دون ذلك ظروف أو أوضاع طارئة أو أصيلة .

نادى بهذه " الإسلامية " إبراهيم عليه الصلاة والسلام في ذلك الوسط الجاهلي الوثني الذي كان أفراده عاكفين على عبادة الأصنام والأوثان والتماثيل ، ودعاهم إلى حقيقة التوحيد الذي لا قيمة للإنسان بغيره ، والذي هو محور نشاطه وأعماله في كل زمان ومكان ومع كل ظرف وحال ، ولكن هذه الإسلامية وهذا التوحيد قد تراكم عليهما الغبار ، ونسي الأجيال القادمة مع ما لهاتين الظاهرتين من تأثير عظيم في حياة الإنسان ، وظلت الأجيال البشرية على هذه الغيبة والغفلة ، وتعيش في دياجير الشرك والأوهام الفاسدة والضلالات الشائنة ، احتجب عنها نور الهداية وانسد أمامها طريق التوحيد ، حتى أصبحت فريسة النفس ورهينة الأهواء والخرافات ، ترفض توحيد الله تعالى ، وتقع في حبائل الشرك وتدعو لله أنداداً ، وأرباباً من دونه .

أما بيت الله تعالى الذي رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الله تعالى ، وجعله مهوى القلوب والأفئدة ،

ومركز التوحيد ومنطلق الإيمان ، ومشع النور والبرهان ، فقد حلت فيه أوثان وأصنام ، وصار معبداً لأهل الشرك والضلالات ، ولم يعد فيه من يذكر اسم الله تعالى ويوحده .

فكان لا بد من تطهير البيت ، والعودة به إلى مركزه من التوحيد والهداية ومنطلقه من نور العقيدة والإيمان ، فجاء رسول الله ﷺ بالإسلام ورسالة التوحيد والدعوة إلى الله ، ونادى بالتوحيد في ذلك الوسط الثائر والظروف المضادة ، امتثالا لأمر الله الذي أمره بذلك من غير خوف ولا وجل ، فقال : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦ ﴾ (١)

فكان رسول الله ﷺ أشد حرصاً على إظهار "الإسلامية" التي أرادها الله سبحانه للنوع البشري كله وفي كل زمان ومكان ، وقررها مصدر كل خير وعز وسعادة له ، فطلب من أمته أن تعرف أحكام الله تعالى في حج البيت الذي بني لذكر الله وعبادته وتوحيده ، فطلب منها أن تعرف قيمة الحج وأهميته وما يكمن فيه من دروس الفضائل والتقوى ، ومن حكم الوحدة والتضامن ، والتوحيد والحب ، وبين لهم أحكامه وشعائره ومناسكه ومشاعره ، والأعمال التي يجب أن يقوم بها الحاج من الاتصال بالله وذكره ودعائه والاستغفار منه ، والتوجه إليه ، والسؤال منه ، اقرأوا قول الله تعالى تروا كيف يدعو إلى تصحيح

(١) سورة الكافرون الآية : ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ .

مسار الحج الذي كان قد ضلت به الجاهلية ، وأدخلت فيه ما لم يكن يمت إليه بصلة ، فهو يجدد عهد الإسلام بالحج ، ويذكر المسلم بوظيفته نحو أداء هذا الركن الجليل ، وما لا يليق بشأن الحج والحاج ، يقول .

﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٧ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٩٩ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝٢٠٠ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝٢٠٢ ۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٠٣ ﴾ (١)

ومن هنا كان الحج أداة لتنمية إسلامية المرء ، وترسيخ جذور الإيمان والعقيدة في نفس المسلم ، إذ لا قيمة لإنسان -

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ .

رغم ما يملكه من قوة وسلطان ، وما يحويه من مال ومتاع ـ بغير الإسلام وبدون الهداية والتقوى ، ومن غير الإيمان والعقيدة ، لا قيمة له في الدنيا ولا في الآخرة ، وخاصة إذا كان ينتمي إلى المسلمين ، ويسمى مسلماً ، ويدعى بصفات الإسلام والإيمان ، أما الحج فإنه يرفع المسلم عن حضيض اللا إسلامية ، ومسافل الأهواء والاتجاهات المادية الهابطة ، ويهديه إلى الحياة الطبيعية التي فيها حسنة الدنيا والآخرة ﴿ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[1] فالمسلم ، كل قيمته وكل أهميته ، بإسلامه فحسب ، ولا يتصور له أي خير وسعادة وعزة ومكانة في الدنيا والدين إلا بالإسلام ، وتنفيذه في كل جزء من أجزاء الحياة .

وإلى هذه الحقيقة يشير الأستاذ الشهيد السيد قطب في سياق بحثه عن الحج ومنافعه يقول : وهذه الحقيقة ما تزال قائمة بالقياس إلى المسلمين من كل أمة ومن كل جيل ... من هم بغير الإسلام ؟ وما هم بغير هذه العقيدة ؟ إنهم حين يهتدون إلى الإسلام ، وحين يصبح المنهج الإسلامى حقيقة ينتقلون من طور وضيع صغير ضال مضطرب إلى طور آخر رفيع عظيم مهتد

[1] سورة البقرة الآية : ٢٠٠ ـ ٢٠١ ـ ٢٠٣ .

مستقيم ، ولا يدركون هذه النقلة إلا حين يصبحون مسلمين حقا ، أي حين يقيمون حياتهم كلها على النهج الإسلامي ... وإن البشرية كلها لتتيه في جاهلية عمياء ما لم تهتد إلى هذا النهج المهتدي ... لا يدرك هذه الحقيقة إلا من يعيش في الجاهلية البشرية التي تعج بها الأرض في كل مكان ، ثم يحيا بعد ذلك بالتصور الإسلامي الرفيع للحياة ، ويدرك حقيقة المنهج الإسلامي الشامخة على كل ما حولها من مقاذر ومستنقعات وأوحال !

وحين يطل الإنسان من قمة التصور الإسلامي والمنهج الإسلامي ، على البشرية كلها في جميع تصوراتها ، وجميع مناهجها ، وجميع نظمها ـ بما في ذلك تصورات أكبر فلاسفتها قديماً وحديثاً ، ومذاهب أكبر مفكريها قديماً وحديثا ـ حين يطل الإنسان من تلك القمة الشامخة يدركه العجب من انشغال هذه البشرية بما هي فيه من عبث ، ومن عنت ومن شقوة ، ومن ضآلة ، ومن اضطراب لا يصنعه بنفسه عاقل يدعي ـ فيما يدعي ـ أنه لم يعد في حاجة إلى إله ! أو لم يعد على الأقل في حاجة باتباع شريعة إله ومنهج إله[1] .

ومن هنا فإن العودة إلى الإسلام وشريعته ومنهج حياته هي الحاجة الوحيدة للإنسان القلق الحائر البائس ، وفي هذه

[1] في ظلال القرآن ، الجزء الثاني تغير الآية .

العودة تكمن عوامل النصر والنجاح والغلبة والعزة والسعادة ، وفيها تختفي أسباب العلو والغلبة والمكنة والقدرة ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١)

(١) سورة النور الآية : ٥٥.

الحج ودوره في تحديد وجهة الأمة الإسلامية*

إذا درسنا عبادة الحج في ضوء التوجيهات التي يتضمنها الكتاب والسنة وجدنا أنها تنطوي على معان عميقة من العقيدة والإيمان والعبادة والسلوك ، وعلى تعظيم شعائر الله وحرماته ، ووجدنا أنها تدور حول محور واحد من تقوى الله تبارك وتعالى التي تذوب أمامها جميع فوارق الجنس والوطن وحواجز اللون والعنصر ، فيتجرد الإنسان عن جميع الانتماءات المادية والميزات الصناعية ، ويتحول إلى عبد مسلم يخضع لأوامر ربه ، ويترقب الفرص التي ينتهزها لإرضاء الله عز وجل ، فلا يألو جهداً في الإقبال على الله بقلبه وقالبه ، والالتجاء إليه بدعائه وندائه ولا يبالي في التوصل إلى غايبه بما إذا أصابه عنت أو إرهاق ، أو لحقه ضرر وخسران ، وإنما يتوخى أن يتقرب إلى الله ، ولو ببذل النفس والنفائس ، ويستحق رضا الله ، ولو كلف ذلك أبهظ ثمن ، إنّه يتمنى أن يتطهر من ذنوبه وآثامه ويمثل في نفسه نموذجاً من الطهر والعفاف والورع والنزاهة ، فيتجنب كل رفث وفسوق وجدال ، لأنه عرف ما قاله الله تبارك وتعالى فيمن يفرض على نفسه الحج ويصل إلى بيت الله وبلده الحرام لأداء هذه الفريضة في الأشهر

* مجلة البعث الإسلامي ذوالحجة عام ١٤٠٥هـ.

المعلومات ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1] ولأنه سمع رسول الله ﷺ يقول فيما رواه أبو هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "[2].

ولم يفرض الله سبحانه وتعالى الحج على من استطاع إليه سبيلا إلا مرة واحدة في الحياة كلها، فأودع فيه حكما وأسراراً تتكشف على المرء بطول ممارساته التي هي من أعمال الحج ومناسكه، إنه لا يكاد يتوصل إلى معاني الوحدة والتضامن والمساواة والطاعة والامتثال، العميقة التي تتضمنها أعمال الحج إلا إذا باشرها بنفسه وجربها بعمله، ففي الإحرام والتلبية والطواف والسعي، والوقوف والرمي والنحر والحلق والإفاضة، مظاهر حية وتمثيلات صارخة لجميع هذه المعاني، إن في تنقلاته من مكة إلى منى، ومن منى إلى عرفات، ومن عرفات إلى المزدلفة، ومن المزدلفة إلى منى ثم تجواله بين الجمرات والمنحر، وتهيامه حول المشاعر والمناسك، كل ذلك فيه دلالات واضحة وعميقة على توحيد الله تعالى وتعظيم شعائره، وتقديس أوامره والخضوع لسلطانه، وفيه إشارات قوية إلى تحديد وجهة المسلمين نحو تقوى الله تعالى، وابتغاء وجهه الكريم من جميع هذه

[1] سورة البقرة الآية: ١٩٧.
[2] صحيح البخاري: رقم الحديث: ١٧٧٣ ـ وصحيح الإمام مسلم رقم الحديث: ١٣٥٠.

الممارسات والتحركات والأعمال ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]

من هنالك كانت عبادة الحج أقوى عامل في تربية نفس الحاج على خلال العبودية الخالصة، وتأسيس حياته على أسس سليمة من العقيدة القوية و الإيمان الخالص، والنوايا الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وكان لها دور كبير في بناء مستقبله المضمون، في جميع مجالات الحياة، وفي تركيز معاني السعادة والعز في نفسه ومجتمعه الذي يعيش فيه، لذلك تراه يمثل نموذجا صالحاً لحياة المسلم المخلص الذي ربط مصيره بدينه، وعلق آماله بربه، فأحبه الناس ووجدوا فيه مثالاً للمؤمن الورع، والعبد الخاشع الذي يشمل الناس بأخلاقه وينفعهم بأعماله، وبطاعاته لله ولرسوله، بابتعاده عن المعاصي والبدع واتصاله العميق بالله تعالى واتباعه لسنة الرسول ﷺ، إنه يستأثر بمنهج الإسلام للحياة بإزاء كل ما يواجهه من أساليب الحياة ونظم الإنسان، والحضارات المادية وفلسفاتها، ويقوم بدور المسلم الواعي الذي يتمسك بمبدء الدعوة إلى الخير والأمر بالمعرف والنهي عن المنكر.

إن هذه الأمة التي أخرجها الله سبحانه لهذه المهمة العظيمة واجتباها الله تعالى للدعوة إلى الله كانت تفتقر إلى غذاء إيماني دسم لكي تتمكن من فتح القلوب المغلقة وإعدادها لتحمل

[1] سورة الحج الآية: ٣٢.

المسئولية ، إنها كانت في حاجة ملحة إلى تدريبات عملية مكثفة تؤهلها لأداء واجب الدعوة العظيم وتبعث فيها نشاطاً وقوة للاستمرار في هذا الطريق ومتابعة هذا العمل الكبير ، فكانت أعمال الحج ومناسكه منهجاً إلهياً يستوعب دروساً عملية في إعداد هذه الأمة في مجال العمل الصالح وتعيين وجهتها في الحياة والمجتمع ، مع تحديد موقفها من الله تعالى والإخلاص له وابتغاء مرضاته في جميع الأعمال والعبادات والقربات ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ (١)

لقد فشلت جميع الأنظمة من وضع الإنسان ، وعجزت النظريات والفلسفات التي اخترعها كبراء الأمم وعباقرة التاريخ عن إيجاد منهج عملي يقوم بتوحيد المشاعر والاتجاهات وتوجيهها كلها إلى الله عز وجل ، وإنما هو الإسلام الذي يهتم بتوجيه جميع أعمال الإنسان ونشاطاته الظاهرة وتوجيه أحاسيسه وأفكاره وعاداته وتقاليده ، وحركاته ونظراته إلى وجهة العقيدة والإيمان ، إلى وجهة التوحيد والطاعة التي شرحها الله سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾ (١) كيف وجه الله تعالى

(١) سورة البينة الآية : ٥ .

(١) سورة الأحزاب الآية : ٧٠ ـ ٧١ .

في هذه الآية عباده إلى الإيمان والتقوى والقول السديد والعمل الصالح ، والطاعة لله ولرسوله ، هذه هي الوجهة المطلوبة للمؤمن في حياته ، وتلك هي وجهة الأمة الإسلامية بكاملها ، التي اجتباها الله تعالى لدعوته وأمرها بالجهاد فيه حق الجهاد ، وخلع عليها أجمل لقب يخلعه على أمة ، وهو " الإسلام " ، يقول الله سبحانه ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨ ﴾ (٢)

ترون كيف أن الحج يؤثر في إرساء جميع هذه المعاني التي أشار إليها القرآن الكريم في هذه الآيات ، في نفوس أفراد هذه الأمة الإسلامية ، وكيف أن العبادة التي شرعها الله تعالى عن طريق إبراهيم عليه السلام في ملة إبراهيم تقوم بدور رائع في تربية الأمة وتزكيتها ، وتحدد وجهتها الصحيحة التي يجب أن تتجه إليها من الجهاد في سبيل الله والقيام بأعباء الدعوة إلى الله والتعبئة الكاملة لأداء أمانة الجهاد بجميع أنواعه من جهاد النفس ، وجهاد العدو ، وبذل الجهود في تثبيت دعائم الحق ، واقتلاع جذور الباطل ، وإقرار الأمن والسلام وتعميم عبادة الله والإيمان في جميع المجتمعات البشرية .

(٢) سورة الحج الآية : ٧٨ .

لقد خص الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بهذا الاختيار الكريم فمنحها ذلك الدين السمح الذي ليس فيه حرج ولا تضييق ، وليس فيه من التكاليف والمسئوليات ما يفوق طاقة البشر ولكنه يتفق وطبيعة الإنسان بجميع عباداته وشرائعه وأحكامه وواجباته ، فكان هذا الدين مَنْهَجاً ربانياً ينبع من ملة إبراهم الربانية التي قامت على أساس التوحيد الخالص ، وكانت أمة هذا الدين قد آلت إليها أمانة الدعوة والجهاد ، والوصاية على العالم كله ، وهي أمة الإسلام التي تحملت هذه المسئولية بوجه دائم وصفة مستمرة دون أن تنوب عنها أمة أخرى ، أو تحل محلها بتعاقب العصور والأجيال ، وإن هذه الأمة وفية لمبدئها و دعوتها وأمينة على منهجها القويم ما تمسكت به وعاشت في ظلاله ، وقامت بتبعاته بدقة و أمانة .

ولكي تظل الأمة الاسلامية أمينة ووفية ، ومستمرة في أداء واجباتها في مجالات الحياة كلها يجب عليها أن تلتزم بجانب التقوى ، وتتمسك بالعبادات المفروضة عليها وتعتصم بحبل الله تعالى ، فإن هذا الالتزام والاعتصام والتمسك بالصلاة والزكاة إنما يدر عليها من خير لا يجف منبعه ، ومن قوة لا تنتهي مادتها ، ومن مدد لا ينضب معينه في أي زمان ومكان .

وإذا تأملنا في هذا الركن العظيم ، في عبادة الحج رأينا أنها تحتوي على هذه الجوانب كلها ، بل وأكثر منها ، ففيها ما يجعل المرء يتصل بربه عن طريق الصلوات والمناسك وأداء الشعائر

والتزكية ، الأمر الذي يمهد له الطريق نحو الاتجاه الأصيل ويحدد وجهته إلى الله وحده ، بذكره وشكره ، على ما وفقه إليه من القيام بأعمال الحج وأداء المنسك الذي وجد في الأمم السابقة ولكن في شكل مشوه وصورة منكرة ، وجاء الإسلام فوجهه إلى الوجهة الصحيحة وجهة الله الذي لا إله إلا هو ، وذلك ما يشير إليه في قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [1]

هكذا جمع الله تعالى بين الشعائر والعقيدة ، وجعل للشعائر مظهراً للتوحيد والإيمان ، ومصدراً لتلقي دروس العقيدة والعمل ، والعلم والإيمان ، والسلوك والعبادة ، وكل ذلك عوامل مهمة في تكوين منهج العمل وبناء المجتمع الأفضل الذي يقوم على أساس هذه العوامل المهمة وتتكون منها لحمته وسداه .

ومن ثم تتحدد وجهة الأمة الاسلامية بتأثير هذا الركن العظيم ، وهي تتجه إليها في جميع أعمالها ونشاطاتها وفي كل لحظات حياتها ، فلا تستطيع أن تتخلى عنها في أي وقت وفي أي عمل ، وفي أي نية وتفكير ، وفي أي هدم وبناء ، ولا تستطيع أن تستغني عنها فيما تفاجئه من مشكلات أو تواجهه من شئون

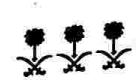
---

[1] سورة الحج الآية : ٣٤ ـ ٣٥ .

وقضايا ، محلية كانت أو عالمة ، شخصية كانت أو اجتماعية ، إنها لا تستطيع أن تعرض عنها في أحوالها وأوضاعها التي تفرض عليها أو تحدث لها ، بل إن هذه الأمة تكون قد ربطت مصيرها بهذه الوجهة بشكل دائم ، وذلك ما أمر الله سبحانه وتعالى به نبيه عليه السلام أن يعبر عنه حينما قال ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ (١)

هذا هو في الواقع مصدر التلقي عن الوجهة التي يحددها الحج للأمة الإسلامية ، ومنه تتلقى الأمة جميع هذه الدروس من العقيدة والإيمان والتقوى والعمل الصالح ، والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله تعالى ، ومنه تتلقى التوحيد الخالص الذي يركز عليه الحج في جميع أعماله ومناسكه ، والذي هو ثمرة الدعوة إلى الله ، ونتيجة الجهاد الذي قام به أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، مؤسس البيت ورافع قواعده على التقوى .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝١٢٧﴾ (٢)



(١) سورة الأنعام الآية : ١٦٢ ـ ١٦٣ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٢٧ .

دروس من الحج *

أودع الله سبحانه وتعالى في جميع أركانه وشرائعه دروساً وعبراً يستطيع أن يستلخصها المسلم الواعي بالتفكير فيها وعن طريق العمل بها ، و في ضوئها يسير على درب الحياة في ثقة واعتزاز ، وتتجلى له من أسرار الحكمة الإلهية ما يوثق صلته بربه ، وعلاقته بدينه ، ويزيد إخلاصه لعبادته ، ولذلك فإنه مطالب بالتدبّر في معاني الشريعة الغراء ومقاصدها ، ومدعو إلى الخضوع للأوامر والنواهي التي تتضمنها ، ذلك أن الحياة في الإسلام ليست أمراً جزافاً يعيشها الإنسان كيف شاء ويضعها في مصلحة من أراد ، ولكنها أمانة مقدسة أودعها الله سبحانه لديه اختباراً لمدى الطاعة والإخلاص في متابعة أدائها بالوجه الصحيح من الفقه والبصيرة والإيمان والعلم .

ولقد أكرمني الله تعالى بالحضور في موسم الحج عام ١٤٠٣هـ على دعوة كريمة تلقيتها من سعادة الأمين العام لهيئة التوعية الإسلامية في الحج ، والتابعة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية ، وكانت فرصة غالية انتهزتها للمشاركة في أعمال التوعية الإسلامية

* مجلة البعث الإسلامي صفر عام ١٤٠٤هـ .

والاستفادة من برامجها العملية التي تتركز على تربية الحجيج على جميع المستويات باستخدام جميع أساليب التربية والدعوة وأجهزة الإعلام المسموعة والمقروءة والمرئية والمكتوبة ، بلغات عالمية ، وقد كان لي شرف الانتماء إلى اللجنة الإعلامية العربية التي تحملت مسئولية إعداد المواد الدينية مما يتعلق بالموضوع في جرائد المملكة اليومية الثماني ، ومع إشراق يوم التروية توجهت الهيئة بكاملها إلى المشاعر لأداء مناسك الحج والقيام بأعمال التوعية في منى وعرفات ، والاتصال بالحجيج الوافدين ، والإشراف على ما تيسر من سيرهم في تأدية الأركان والوقوف بعرفة ، وما يلزم عليهم من تطبيق أحكام المشاعر في ضوء الكتاب والسنة ، ومن خلال هذه النشاطات تمكنت من الاطلاع على جوانب متعددة من حياة الحجاج ومنافع الحج ، وكل ذلك كان بمثابة دروس وعبر يرجع بها من يدرس هذا الركن العظيم بروح الاستفادة ، والاستنباط للنتائج التي لها دورها في توجيه السعادة نحو الحياة والمجتمع .

إن هذا الركن العظيم لم يكن كسائر أركان الإسلام في اليسر والسهولة ، لذلك فإن الله سبحانه قد فرضه مرة واحدة في الحياة على من استطاع إليه سبيلا ، ولقد كان المسلم يتمنى أعواماً طوالا أن يكرم بهذا الشرف ، فيعد نفسه لتأدية فريضة الحج ويتدرب على الأحكام والأركان وما قد يواجهه أثناء القيام بها من مسائل ومشكلات ، وكان يتقن جميع دقائق ومعلومات

الحج بحيث إذا وصل إلى بيت الله الحرام استطاع أن يأتي المسائل كلها من أبوابها ، ولا يفوته من ثمار هذه العبادة الظاهرة والباطنة شئ يأسف عليه إذا علم ذلك بعد فوات الأوان ، من أجل ذلك كان يحضر الحاج إلى البلد الأمين وهو متزود بزاد التقوى والعلم ، والمعلومات الكافية مما يتصل بالموضوع ، الواقع الذي وفر له فرصاً لحج مبرور ، ووقاه من كل ذنب من رفث وفسوق وجدال ، ومهد له الطريق نحو فعل الخيرات واكتساب المنافع ، والعودة في ثوب قشيب من الطهر والإيمان إلى بلاده وبيته " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "[1] .

أما الناس في يومنا هذا فلم يعد فيهم ذلك الحرص الشديد على إعداد النفوس وتربيتها قبل البدء في رحلة الحج ، وإن معظم الوافدين إلى بيت الله الحرام لا يهتمون بأخذ العدة اللازمة والتزود بالزاد الإيماني المطلوب ، وإنما هي الارتجالية واللامبالاة التي تتغلب عليهم فيتابعون السفر إلى أم القرى في جو عادي لا يسوده التقوى والإيمان ، وذكر الله والحمد له ، ويصلون إلى بيت الله دون أن يشعروا بتغير في العادات ورقة في القلوب ، وانصراف عن الحياة " الروتينية "، وإنما الحياة متجهة نحو الوجهة السابقة من الغفلة والإهمال ، فلاسباق في البر والتقوى ولا اهتمام بالحضور في صلوات الحرم وبالطواف بالبيت ، ولا

---

[1] صحيح البخاري : باب فضل الحج المبرور ، رقم الحديث : ١٥٢١ .

الاعتناء بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن ، ولا المبادرة إلى انتهاز الفرص للطاعة والاستسلام لله تعالى ، ثم لا يصعب أن نتصور كل ما يمكن أن يمارسه الحاج - وهو في أسعد أيام حياته - من منكرات ومعاصٍ تأتي على جميع لحظاته السعيدة ، وساعاته الحانية ، وتحولها إلى أوقات تعسة وأيام شقية .

ليس الجميع بهذا الشأن ، ولكن أغلبية هؤلاء الحجيج تتميز بهذا اللون أو قريباً منه ، وهي لا تتمكن من جني ثمار الحج ومنافعه الحية المشهودة التي هي تاج هذه العبادة ، رغم تحمل المشاق وإنفاق المال الوفير ، والمعاناة البالغة ، بل الحق أن نواحي العبادة والإنابة والاتصال والتقرب إلى الله ، والمنافسة في التحبب إليه والتودد له ، تذوب بجوار الجهل والغفلة والتطاول الشائن ، والنسيان ، وقلة الأدب والإساءة إلى بيت الله تعالى وعدم المراعاة للآداب والأحكام ، و إن بعض تلك الخصال يكفي لهدم هذه العبادة ووضعها محل سخط الله تعالى فضلا عن كلها ، من هنالك نرى أن هذه المجموعة العظيمة من ضيوف الرحمن تشتمل على عدد لا بأس به من أولئك الأفراد الذين لا تهمهم العبادة كما يهمهم مجرد الحضور إلى مكة المكرمة ، ولا يعنيهم أداء الحج ومناسكه في جو من التقوى والإنابة إلى الله كما يعنيهم أن يدركوا أيام الحج بأي طريق وفي أي لون ، وينتج ذلك أن كثرة كاثرة تقوم بتأدية المناسك من غير استحضار لما فيها من روح

العبادة والتقرب إلى الله والتزلف إليه وتقوية أواصر العبودية معه ، فأنّى لهؤلاء الناس أن يسعوا لتحقيق الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة ، ولا شك فإن ذلك ليس خسارة ركن واحد من أركان الإسلام ، وإنما هي خسارة الدين والتقوى .

وفي الحج من مغاني الدعوة والتضامن ومظاهر المساواة والامتثال الكامل ما لايوجد في ركن آخر جملة واحدة ، فكان له دور كبير في توحيد وجهة الأمة الإسلامية وجمعها على أساس واحد من توحيد الله تبارك وتعالى وتقواه ، هذا هو الأساس الأصيل المتين الذي يقوم عليه صرح الوحدة الإسلامية ويدرك منه المسلمون معنى التوحيد الخالص الذي جاء به إبراهيم عليه السلام ورفع رايته خاتم النبيين محمد ﷺ ، وآلت أمانته إلى أمة الإسلام الأخيرة ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١)

فكان الحج من الركائز الكبرى لتوحيد الله تعالى ومن العوامل العظيمة لتوحيد صفوف المسلمين وجمعهم على وحدة الإيمان والتقوى ، ولقد اكتسب المسلمون هذه الوحدة الإيمانية

(١) سورة الحج الآية : ٣٤ - ٣٥ .

من عبادة الحج على المستوى العالمي في كل زمان ، واستطاعوا أن يفضوا خلافاتهم ويحلوا مشكلاتهم بفضل هذا الاجتماع الديني العظيم وعلى صعيد هذه البقعة المباركة وساحة البلد الأمين ، وقد كانوا يستهدفون هذه الغاية ضمن منافع الحج في المواسم ، ولكن هذا الشعور ظلٌ يختفي وراء سحب من الغفلة التي باتت تسود العقول وتسيطر على مجتمعات المسلمين في الوقت الراهن ، وقد لمست في جماهير الوافدين إلى هذا المهوى العظيم أنهم يتجردون بوجه عام عن مثل هذا الشعور ، إما لعدم توافر التربية لهم قبل بدء المسيرة نحو الحج أو تزايد الزحام الخانق الذي يحول دون أي تفكير جدي ، أو لأي سبب آخر ، ولكن الشعور القوي بالتعارف الديني والاعتصام بحبل الله لا يكاد يكون هو اللون الغالب على الحياة ، رغم أن ذلك هو من معطيات هذا الركن المهمة وثماره الأولية .

تعود المسلمون اليوم في معظم أقطارهم بالارتجالية الشائنة ، حتى في أمور دينهم وعباداتهم ، فلا غرابة فيما إذا تجمعت غالبية الناس على أرض مكة في أيام الحج ، وهي لا تعرف للحج معنى سوى الوصول إلى الأرض المقدسة والعودة منها بعد ممارسة المناسك ، دون أن يكون لديها علم بما قد أودع الله سبحانه في الحج من معاني الطهر والوحدة والتوحيد والتزكية والاهتمام بشئون المسلمين وإثارة روح الأخوة والتعاون والحب والإيمان ،

إلى غير ذلك من منافع ومعاني لا يأتي عليها الحصر ، وكم من أناس يعودون وقد ساء وضعهم الديني وضعفت صلتهم بالأعمال الصالحة ، ذلك أنهم لا ينوون من أداء هذه الفريضة إلا رحلة بدنية أو سياحة دينية ، أو متعة روحية ، يرددون النغمة العلوية حينما يلقنون بها من غير فقه أو فهم لمعناها ، " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك [1]" ولو أنهم حاولوا أن يدركوا المعاني التي تتضمنها من إعلان العبودية الخالصة مع الاعتراف الكامل بالرب الواحد والإيمان العميق بتوحيده وتأكيد النفي لكل شريك أو ند ، لو أنهم فهموا ما يقولون في هذا الكلام الجليل لما تمالكوا أنفسهم ، وصعب عليهم أن يتجاوزوه ، من غير أداء لضريبة الولاء والوفاء ، والابتهال والبكاء ، ولكنه كلام كسائر كلامهم ، وواجب يمارسونه ضمن الأعمال والواجبات .

وهنا تتجسد أهمية التربية التي يجب أن يتلقاها الحجيج قبل البدء في رحلتهم ، ويجب أن يفهموا قيمة العمل الذي يخرجون من أجله ، ويغادرون بلادهم وأوطانهم ، وأهليهم وأولادهم لأدائه ، والحج بمناسكه وأحكامه ، وبأعماله وأدواره ليس هيناً يستطيع أن يؤديه المرء من غير إتقان أو تدريب عملي ،

[1] صحيح البخاري ، باب التلبية ، رقم الحديث : ١٥٤٩ .

على وجهه الصحيح وطريقته المشروعة ، ففي كل خطوة تواجهه مشكلات شرعية وتساؤلات فقهية ، تفرض عليه أن يقضي وقتاً في تعلم الأحكام والمناسك أولا ، ثم إذا وثق بأنه يتمكن الآن من أداء هذه الفريضة بالطريق المطلوب في ضوء الكتاب والسنة يعزم على المسير .

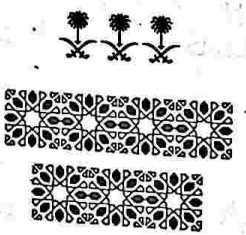
لا بد من تركيز روح الحج ومعانيه العميقة في نفس الحاج ، وتأكيد مفهوم العبادة الذي يتوفر فيه ، لكل من فرض الحج على نفسه ، وإن علماء الإسلام في كل بلد تعود عليهم مسؤلية تربية الحجاج وتدريبهم العملي سواء عن طريق منهج خاص بالتربية أو بطريق المحاضرات وتعميق المعاني الكريمة لهذا الركن المهم في عقولهم ، بحيث إذا سافروا لهذا الغرض لم يواجهوا هناك مشكلة ولا فاتتهم منافع الحج ومعانيه مع التمكن من أداء أركانه وشعائره والاهتمام الكبير بمشاعره ومناسكه بالشكل المرضي على ما يطلبه الدين .

وانطلاقا من خلال هذا المبدء أنشئت منذ فترة طويلة هيئة التوعية الإسلامية في مكة المكرمة ، التي تقوم بدور رائع في تربية الحجاج الوافدين إلى البلد الأمين على جميع المستويات وفي جميع القطاعات ، وذلك عن طريق الدعاة والعلماء الذين يشاركون أعمال التوعية في الحج على أساس مخطط واضح

يشمل توعية وتربية الحجيج من جميع النواحي وفي كل المشاعر والأمكنة ، وحبذا لوقلدت الدول الإسلامية هذه الهيئة في توعية الحجاج في حدودها لكان لها تأثير ملموس في تفجير هذه الطاقة الإسلامية التي يتولاها الحج ، واستخدامها في صالح الإسلام والمسلمين .

وما أحوجهما إلى هذه الطاقة اليوم !.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [1]



[1] سورة التوبة الآية : ١٠٥ .

جوانب إعلامية مشرقة في الحج[1]*

شريعة الله العادلة السمحاء التي تقوم على قاعدة صلبة من العقيدة الصافية تمنح الحياة الإنسانية منهجاً عادلاً كاملاً يشمل جميع جوانبها المعنوية والمادية ، ويوجه الإنسان نحو الوجهة الصحيحة السليمة التي تتولى إسعاده في مراحل الحياة كلها ، وتتكفل له ببناء مستقبل زاهر في الدنيا والآخرة ، وإن دراسة واقعية لتوجيهات الشريعة وأحكامها توفر لنا برهاناً ساطعاً على أن الإنسان المسلم لا يواجه لحظة ضياع أو تعطيل لقواه العملية وطاقاته الفكرية وبرامجه الحيوية ، إنما هي حياة منظمة تنظيماً دقيقاً يعيش فيها مع جميع مطالبه النفسية والعقلية ، ومناسباته التشريعية ، وواجباته الروحية والمادية ، يعيش فيها مع خلوات النفس الهادئة ، وساعات العمل الصاخبة ، وفي جميع الأوضاع والظروف ، دون أن يتناسى للمحة واحدة أنه يتقيد بقيود الشريعة والأخلاق ، ويتمسك بذيل الطاعة والامتثال ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[2]

* مجلة البعث الإسلامي ذوالحجة عام ١٤١٢هـ.

[2] سورة المائدة الآية : ١٥ ـ ١٦ .

ولقد هدى الله الأمة الاسلامية بنور الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ من عند ربه والكتاب المبين الذي أنزله على عبده الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وقد شملت هذه الهداية الربانية الحياة الإنسانية بكاملها بجميع فروعها وأصولها ، وظواهرها وخفاياها ، لكي لا تستيئس وتفشل خلال رحلة الحياة ، وضغوط النفس والشهوات ، بل تمثل الشجاعة والنشاط ، والرؤية إلى مستقبل بعيد بعزم أكيد ، وأمل وطيد ، ذاك هو شأن أمة القيادة والتوجيه ، التي جعلها الله تعالى أمة وسطاً تقوم بواجب الشهادة على الناس ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾[1]

من هنالك تحملت هذه الأمة مسؤلية الشهادة على الناس والوصاية على البشرية جمعاء ، ذلك لأنها خير أمة أخرجت للناس ، فهي مسؤلة عن بناء هذا الكون وصيانته عن كل ما يهدد سلامته ، وينخر كيانه ، ويرجع به إلى شريعة الغابات وقانون العصابات ، إنها أمة الإسلام التي ظهرت على منصة العالم على فترة من الأمم ، وتولت زمام القيادة العالمية ، والتوجيه البشري في ضوء الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى ديناً كاملاً ، ومنهجاً شاملاً ونظاماً عادلاً ، ارتفع صرحه على خمسة أركان صرح بها

[1] سورة البقرة الآية : ١٤٣ .

رسول الله ﷺ في حديثه الصحيح الصريح الذي يقول فيه :
" بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان "[1]، ولكل من هذه الأركان تفاصيل واضحة معلومة وأحكام ، وأسرار وحكم ، تولت الشريعة الإسلامية بيانها بشئ كثير من الدقة والعمق والوضوح .

ويأتي في إطار المناسبة شهر ذي الحجة الحرام ، فيذكرنا بالركن الرابع الذي هو حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً ، وقد أكرم الله المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بهذه الاستطاعة الكريمة ، ويأتون إلى بلد الله الأمين ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ، ولا شك فإن الله سبحانه وتعالى قد أودع في هذا الركن جوانب إنسانية مشرقة كثيرة تتمخض عن هذا الاجتماع التعبدي الذي لا يوجد له نظير في أي ديانة ، أو نظام أو فلسفة ، إنما هي ميزة الأمة التي تنتمي إلى الإسلام وتربط مصيرها بعبادة الله .

يتضمن قوله تعالى ﴿ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾[2] كل نوع من المنافع العلمية والدينية والاقتصادية والسياسية والإعلامية ،

[1] متفق عليه : البخاري (٨) ، ومسلم (١٦)
[2] سورة الحج الآية : ٢٨ .

بتقدير من الله تعالى ، أما الجوانب الإعلامية فهي أبرزها مظهراً ، ذلك أن ما يقوم به الحجيج من أعمال التعارف والذكر والاجتماع على كلمة واحدة ، وهتاف واحد في صعيد واحد ، وما يتجلى في أداء مناسك الحج من مظاهر الوحدة والثقة ودعم عقيدة التوحيد ، ورفع التلبية وتكرارها ، يحمل كل ذلك من الفوائد الإعلامية الواقعية ما لا تحلم به أجهزه الاعلام في عصر التقدم العلمي والرقي الحضاري ، فمن المعلوم أن الاعلام لا يهدف إلاّ تركيز الفكرة أو الصورة ، وترسيخ المفاهيم والمشاهد بوسائله المتعددة ، ثم التأثير بذلك كله في عقول الناس ، ومرئياتهم ، وقد قيل : إن الإعلام سلاح ذو حدين ، يبني ويهدم وينفع ويضر ، كذلك أعمال الحج تحقق هذه الغاية الإعلامية من تركيز العقائد وفضائل الأخلاق وتحريك الهمم ، وإيقاظ الروح ، وإشعال جمرة الإيمان وإذكاء نار العداوة والبغضاء ضد الشيطان والوثنيات والكفر ، والعادات الخبيثة ، والأعمال القبيحة ، والمعاصي المدمرة ، وهي تبني معالم الهدى ، والسعادة والعلم ، والإيمان وتخطط للمستقبل الإنساني النير ، وتوفر لأهلها فرصاً سانحة للوحدة والتضامن والتعاون على البر والتقوى ، وتهدم مسالك الغي والضلال ، ومناهج الظلم والطغيان ، وتحطم أغلال الشرك والعبودية والخنوع لغير الله سبحانه وتعالى .

إذا كان الإعلام يرسم الخطوط ، ويضع القواعد ويفصل المناهج ، لتركيز الفكرة وتصوير الآلام والأحلام والآمال

والأهواء ، وتمثيل مناظر اللهو والمجون ، والفواحش والنكبات والصور الإنسانية في جميع الأنواع ، فإن أعمال الحج ومناسكه تمثل المشاهد الإنسانية والمناظر الجذابة من الرباط الوثيق بين العبد وربه وبيته ومشاعره ، والعلاقة المخلصة الجادة بصاحب الشريعة ، وحامل الوحي ورسالة الإسلام ، محمد ﷺ الذي بُعِثَ رحمة للعالمين ، إنها تصورذلك الواقع الإنساني الذي رفع البشر إلى أعلى قمة من السعادة والهداية والطمأنينة والهدوء ، كذلك فإن في الحج كل نوع من الإعلام والإبلاغ والتوجيه ، والدعوة ، والتمثيل والتصوير ، فيه كل نوع من دروس الحب ، والهيام ، والتفاني في سبيل الهدف السامي ، وفيه تزكية العواطف وتنزيه المشاعر ، وتنمية روح الفضائل بإزاء العداوة للشيطان والكراهية للرذائل ، والفرار من خداع النفس ، وأخذ الحذر من كل ما يغري العبد المؤمن في طريقه إلى الله ، ومن كل ما يخدعه من المظاهر الكاذبة المزخرفة ، وحدث عن الجوانب الإعلامية المتوافرة في هذا الركن العظيم ، في النواحي الإيجابية والسلبية كلتيهما ، ولاحرج .

ثم إن جماعات الحجيج التي تمثل جميع عواصم العالم ، وطبقات الأمة ، ومجتمعات المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، تحمل من الأنباء والأخبار ما يجري ويحدث حول العالم من الظروف والأوضاع المنوعة وتتولى مهمة كشف

الحقائق عن كثير من شؤن السياسة والاجتماع العالمية ، والنوايا والتحديات التي توجه إلى العالم الإسلامي والمسلمين لتصفية الوجود الإسلامي حيناً ، وإضعاف معنويتهم ، وثقتهم بخلود الإسلام ، وعالمية رسالته ، حيناً آخر .

كذلك تتضاعف البرامج الإعلامية بأنواعها وألوانها ، وتنشط وزارة الإعلام في المملكة العزيزة لنقل المشاهد والحقائق بأجهزة الإعلام المختلفة ، إلى جميع أنحاء العالم ، مما يفيد المجتمعات الإنسانية في العالم كله ، ويزودها بصور حية ، وأشكال متحركة ، لمناسك الحج وأعماله ، في أجواء الربوع المقدسة حيث يعيش ملايين الحجاج في وحدة ووئام ، وحب وسلام ، ليس له نظير في أي أمة ولا تاريخ ، ولا سيَّما الخطبة الشاملة التي يلقيها الإمام في يوم عرفة من على منبر المسجد العظيم ، وفيها من بيان أحكام المناسك ودروس الحج ، وتعظيم شعائر الله وتقديس المشاعر ما يجسد تعاليم الإسلام لبناء الحياة الإسلامية و يبين مقاصد الشريعة من خلال هذا الركن العظيم .

أما حجة النبي ﷺ ففيها قدوة للأمة الإسلامية جمعاء ، كلما استطاع أفرادها إلى حج بيت الله الحرام سبيلا ، لقد علم النبي ﷺ أمته مناسك الحج بطريق عملي ، وفسر لها معالمه ومراميه ومفاهيمه ، بحيث لم يترك صغيرة ولا كبيرة ، دقيقة ولا

جليلة إلا أحصاها ، وقد سجل التاريخ النبوي الإسلامي خطبته العظيمة الجليلة التي ألقاها من فوق جبل النور بعرفات وخاطب العدد الهائل من الصحابة الكرام ﷺ ، وكان يبلغ هذا العدد أكثر من مائة ألف ، وقيل : كان الصحابة الكرام في عدد لا يأتي عليه الحصر والإحصاء ، على مايشير إليه التاريخ .

ولم تكن هذه الخطبة مجرد كلام يساق في مناسبة عظيمة ، وإنما كان ميثاقاً للحياة الإسلامية والاجتماعية ، لا ينطق به إلا النبي المبعوث رحمة للعالمين ، الذي كان كلامه وحيا من الله ، فكل ما جاء في هذه الخطبة يحمل مفاهيم عالية من حرمة الحياة الإنسانية وما والاها من أموال ونساء وأولاد وشئون سياسية واجتماعية واقتصادية وحضارية ، انظروا إلى شمولية هذه المفاهيم في قوله " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألاكل شيئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، ربا عباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يؤطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير

مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، فاستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً .

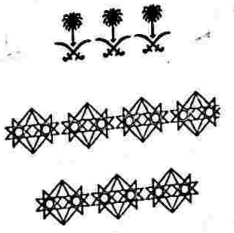
وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس ! اسمعوا قولي واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لإمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم "[1] .

ومن خلال الكلمات المتزنة الدقيقة التي تتركب بها بنية هذه الخطبة العظيمة يتجلى ذلك النبوغ الفكري والاحتواء النبوي اللذان ليس لهما نظير في كلام عامة البشر ، وفيها من المؤشرات الإعلامية والمفاهيم البلاغية ما يعتبر قاعدة أساسية للفنون الإعلامية التي تزود الفكر الإعلامي في القرون المتأخرة بغذاء دسم منها ، ألم تروا كيف يوجه رسول الله ﷺ السؤال عن تبليغ كلامه إلى الناس ، وكيف يرد عليه ويشهد الله على ما قال ، وكيف يطلب إلى ذلك من الشاهد والغائب يقول : " وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى

[1] هذه الخطبة مقبسة من أحاديث مختلفة أخرجها الإمام البخاري ، والإمام مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحيهما : كتاب المغازي ، وكتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ .

السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، ثلاث مرات " وقال في رواية : " ألا فليبلغ الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ".

وهل يخفى أن تبليغ الرسالة الموضوعية والكلام الجاد ، من الشاهد إلى الغائب على أعلى درجة من الإعلام ، وأقرب إلى إذاعة الكلام بأجهزة الإعلام المختلفة ، من بث الصور الناطقة على الهواء.



دور الحج في قطع دابر الشرك والوثنية*

لقد كان انتشار الوثنيات في العالم البشري منذ وجوده ، نتيجة للأغراض التافهة والمصالح الشخصية التي يراها الناس حاجة أكيدة كالحاجيات الأخرى ، ويبحثون لها وسائل تساعدهم على تبرير موقفهم منها ، وبالتالي تحقيقها بأسرع وقت وأخصر طريق ، ومن بين هذه الوسائل المادية التي تنال الاهتمام والاعتماد ، يأتي المال والمنصب والقوة ، والعلاقات المغرضة ، ويدخل كل ذلك أو بعضه حسبما توحي المصلحة والأجواء التي يعيش فيها المرء إلى نفسه ، في مرحلة التكريم والتقديس ، التي تمتد مساحتها إلى آفاق بعيدة بعض الأحيان وتتحول هذه المرحلة إلى شئ يشبه الإله ، فيخضع أمامه الإنسان كما يخضع أمام المعبود الحقيقي.

وفي مثل هذه البيئة التي كانت تعتمد اعتماداً كلياً على الأشكال المادية وتعتبرها ذات التأثير والقوة المنفذة ، نشأ أبو الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، ولكن طبيعته المؤمنة وعواطف التوحيد التي كانت تجيش في نفسه أبت إلا أن يبحث عن أسس الإيمان بالإله الحقيقي وتوحيد الرب تبارك

* صحيفة الرائد ذوالحجة عام ١٤١٨هـ.

وتعالى ، فأراه الله تعالى ملكوت السموات والأرض وحلّى قلبه بعقيدة التوحيد فأصبح من الموقنين بها ، والكارهين للشرك الذي ملأ المجتمع واستولى على النفوس ، وسوّل لهم الشيطان عبادة الآلهة المصنوعة من الخزف والخشب ، والمنحوتة من الحجر والشجر ، ولكن غيرة الإيمان والتوحيد التي كان يتميز بها أبو الأنبياء جعلته يحارب الشرك ، والوثنيات كلها ، ولم يستسلم أمام الظروف القاسية التي تهدد حياته ، وتنذره بالمصير المؤلم ، أعلن بكل قوة وبكل ثقة وبكل إيمان : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1]

ذلك هو النبي العظيم ، والمسلم الأول الذي أسس عقيدة التوحيد ونماها ببناء بيت الله تبارك وتعالى الذي يكون رمزاً للتوحيد ، وأساساً لعبادة الرب الواحد ، والذي يحمل الجاذبية المغناطيسية التي تجذب القلوب إليه من جميع أنحاء العالم وتجمع النفوس المؤمنة من كل فج عميق لأداء ضريبة العبودية لله رب العالمين وترسيخ جذور التوحيد في قلوب المؤمنين الواعين ، وذلك بالطواف حوله حيناً ، والالتزام بالملتزم حيناً آخر ، واستلام الركن وتقبيل الحجر بغاية من اللهفة والشوق ، والحنين ، والسعي بين الصفا والمروة ، والمبيت في منى والمزدلفة ، والوقوف بعرفة ،

[1] سورة الأنعام الآية : ١٦٢ ـ ١٦٣ .

ورمي الجمار ، وتقديم الأضاحي إلى رب البيت ، وإهراق الدماء الزكية في سبيله ، وإبداء كل نوع من الحب والهيام والشوق والغرام لله الواحد القهار الذي ليس له ند ولا شريك وليس له ولد ولا صاحبة ، وليس بينه وبين عباده حجاب أو وسيط ، كما كان يدعي المنتمون إلى ديانات سابقة ، أنهم وسطاء بين العباد والرب تبارك وتعالى ، واتخذوا ذلك مهنة لكسب الدنيا وحطامها الحقير .

إن عبادة الحج تعلمنا أَنَّ العبد لا يحتاج للتعلق بربه تعالى والاتصال برحمته إلى أي وسيط أوسمسار ، إنما هو الله الذي لا إله إلا هو ، والذي يعلن بكل صراحة ووضوح ، أنه قريب من عبده ، بل وأقرب إليه من حبل الوريد ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1] ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[2] ولو لا هذه العبادة التي يرحل فيها الحاج إلى مكة ويقوم بدفع ضرائب العبودية لله ، وتوحيده سبحانه وتعالى بالأعمال المقربة إليه ويتلقى فيها دروساً عمليةً للتوحيد والامتثال والطاعة والمحبة ، لولاها لكانت أرض الله تعالى امتلأت بألوان من الوثنيات وعبادة الأصنام والأوثان وفقدت الحياة نقطة الانطلاق إلى مركزها الحقيقي ، وضاعت المساجد وازدهرت

[1] سورة البقرة الآية : ١٨٦ .
[2] سورة ق الآية : ١٦ .

عبادة النفس والأهواء ، وكانت للشرك والمشركين جولة وصولة في كل مكان .

ولكن ضعفت في المسلمين عواطف العبودية لله والتوكل عليه بفعل العوامل الحضارية والاجتماعية الكثيرة التي تسربت إلى مجتمعاتهم على غفلة منهم ، فانحلت عرى العقيدة ونالت المظاهر والأشكال المادية احتراماً وأصبح الناس بعيدين عن جادة التوحيد و دبّ في نفوسهم الوهن الذي أداهم إلى الاتكال على أساليب شركية ذات ألوان جذابة حبّبت إليهم الدنيا بزخارفها وزينتها وجعلتها أكبر هم لهم وأعز مقصدٍ لحياتهم ، فضحوا في سبيل ذلك بكل ما يمتلكونه من وسائل وإمكانيات ، ولم يبخلوا بأغلى ثمن يدفعونه لتحقيق مآربهم .

وتمثلت أمام هؤلاء الناس صور كثيرة ، كلها تتطلب منهم الخضوع أمامها ، وتفرض عليهم أنواعاً من الضرائب مما لا يمكنهم التنازل عنه في أي حال ، وهي تنال منهم الإعجاب والرضا ، وتستولي على مشاعرهم فلا يكادون يفارقون الخنوع لها ، وإبداء العجز والضراعة أمامها ، كأنها حلت محل الإله من غير نزاع ، فلا يمكن الاستغناء عنها في الحاجات وحتى في الأعمال الوثنية التي ينجزها المرء كعادة من غير شعور بالخنوع أمام قوة أو مالك .

نرى أن إقبال الناس حتى في المجتمعات المسلمة تزايد كثيراً على جمع المال وادخار الكنوز ، وأصبح المال هو المرجع الوحيد

للجميع ، ومن الناس من لا يفرق بين ما إذا كان المال قد جمعه أو حصل عليه بطريق شرعي أو غيره ، ولايبالي بما إذا ألجاته الظروف في سبيل ذلك إلى الركوع والسجود للعوامل الحقيرة والوسائط الخسيسة ، وقد يسبّح بحمد الأغنياء والمليونرين ويقدسهم رجاء أن ينال منهم ما يحقق رغبته في الرفاهية والعيش الهنيئ الرغيد مع سعة ذات اليد .

إن الظروف الحضارية المادية جعلت الإنسان آلة تدار على حسب المصالح والأغراض وتسخر لإحقاق الباطل ودحض الحق إذا اقتضت الأوضاع ذلك ، والإنسان الحضاري يرضى بكل ما يتعرض له من سخرة وإهانة وتذليل في سبيل مكاسبه من المال أو المنصب أو بناء مستقبل مزعوم لاقرارله ، ولقد صور القرآن الكريم الوضع الذي يحيط بالنفس الإنسانية وطبائع الحضارات المادية التي تكون زاخرة بالوسائل ويسعى فيها الإنسان للنفوذ إلى المنابع التي تدر عليه المال ولو بوجوه غير مشروعة ، ذاك أن حب المال شئ مركوز في طبيعته : ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝ ﴾[1] وهنالك تعود إليه خلال البهيمية والرذائل الخلقية ، فيركز طاقاته كلها على جمع المال وتعديده دون أن يفكر في إنفاق شئ منه في سبيل الله ، ويتجرد عن الصفات العالية ويشعر بأنه صاحب مال وقوة فيتناول الناس بالأذى ، والهمز

[1] سورة العاديات الآية : ٨ .

واللمز ويستهين بأقدارهم ويدوس كراماتهم ، ويعتبر ماله وولده ومكانته من الغنى والثراء شبه إله ، يجب أن يقوم له الآخرون كعبيد أذلاء ويقفون أمامه ركعاً سجداً .

وذلك ما يقول كتاب الله تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ ﴾[1] ولكن أنّى له الخلود ولماله ، فقد يطوف عليه طائف من السماء ليلاً أو نهاراً فيصبح كلا شئ ، وسرعان ما يعود هذا الغني المتكبر فقيراً يلتصق بالتراب ويذوق العذاب .

تجلت في مجتمعنا اليوم مثل هذه الصور التي يستغني فيها الإنسان عن حقيقة الإله والمعبود الحقيقي ويفارق مركز التوحيد والعبودية لله ، يتخذ لنفسه أصناماً آلهة من المال والجاه والمنصب ، فإذا به يتعرى عن لباس الإنسانية ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ ﴾[2] ولكنه لا يلبث إلا أن تفارقه هذه الآلهة الكاذبة وترميه في الحضيض ، نتيجة تمرده على الله تعالى وابتعاده عن مركز التوحيد وعبادة الله تعالى .

إن المال نعمة من الله تعالى لا يستهان به ، ولكنه يتزكى ويرتفع إلى مكانة القبول والتقدير عندما يوضع في الوجوه التي يرضى بها الله سبحانه وتعالى ، وبذلك ينمو ويتسع ويزداد خيراً

(١) سورة الهمزة الآية : ١ ـ ٢ ـ ٣ .
(٢) سورة العلق الآية : ٦ ـ ٧ ـ ٨ .

ونفعاً ، وذلك هو مال المؤمن المخلص لله تعالى ، الذي يكون لسانه رطباً بذكر الله وشكره على النعم التي أفاءها عليه :

﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠ ﴾[1]

إذن ليست السعادة في جمع المال ، والاعتماد على الوسائل المادية ، وإنما في إنفاقه في سبيل الخير والالتجاء إلى الله تعالى والاتصال به بقوة وإيمان وحب وتواضع .... الله سبحانه يقول :

﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَـٰلَكُم ۝٣٨ ﴾[2] فمن تولى عن توحيد الله وعبادته فليرتقب مصيره المشئوم .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) سورة النمل الآية : ٤٠ .
(٢) سورة محمد الآية : ٣٨ .

من وحي ذي الحجة *

شهر ذي الحجة الحرام يوحي إلى الأمة الاسلامية معاني كثيرة من الوحدة ، والاجتماعية والتضحية والفداء ، وهي كلها توجه الحياة إلى وجهتها الصحيحة التي تتكفل السعادة والعزة والنجاح للمسلم والتي تفرق بين المسلمين وغيره ، وتعتبر نقطة انطلاق له إلى حياة العقيدة والإيمان ، وهي وجهة التقوى التي تهدي إلى رحاب رحمة الله و فضله ، وتكرم بنعمة الحب والإخاء والتعاون على الخير في هذه الدنيا.

لا يستهل شهر ذي الحجة إلا وتتمثل أمام العين مناظر الحج والتلبية والسعي والطواف والرمي ، وتتمثل تلك الاجتماعية العظيمة التي تتكون بوجود ضيوف الله في أرض مكة ، الذين يتخذون شعاراً واحداً من الكلام واللباس والعبادة والخشية ، والفداء والتضحية ، والطواف والرمي ، والسعى والوقوف ، كأنهم جسم واحد ، وصف واحد يتجهون إلى جهة واحدة وينشدون غاية واحدة ، ويستهدفون هدفاً واحداً .

* صحيفة الرائد ذوالحجة عام ١٣٩٠هـ.

لم يستطع دين من الأديان ، ولا فلسفة من الفلسفات ، ولا مذهب من المذاهب أن تجمع هذه الصفوف من البشر على اختلاف أصقاعهم ولغاتهم ، وتقاليدهم في مركز واحد ، وفي وقت واحد يمثلون توحيد الصفوف والنظرات ، والشعارات والشارات ، إنه الإسلام الذي استطاع أن يقدم هذا المثال النادر للتجمع والتضامن ، وإنها هي العقيدة التي تجعل من البشر المختلفين في الجنس واللون ، والعنصر ، والزمان والمكان ، كتلة واحدة ذات اتجاه موحّد .

هذا مظهر واحد من مظاهر العقيدة العظيمة ، وكم فيها من أمثال هذا المظهر العجيب ، وللعقيدة تأثيرها العميق في كل عصر ، ولكن الناس أغفلوا هذا التأثير ، وتلك القوة التي تملكها العقيدة وحدها ، فيسعون لحل مشكلاتهم وقضاياهم ، ولعلاج أرواحهم القلقة الغير الطمئنة إلى أساليب من صنع البشر ونظريات زائفة لا تمت إلى الدين والعقيدة بصلة .

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ ﴿٥﴾ ﴾[1]

[1] سورة الصف الآية : ٥ .

الحج ليس مؤتمراً ولكنه عبادة اجتماعية *

في بقعة متواضعة من بقاع هذه الأرض لا تحتل مكانا بارزاً في خريطة العالم ، ولاتشغل فراغا في تاريخ المدنية والعمران ، يجتمع المسلمون من كل فج وصوب ، ليشهدوا ذلك الاجتماع العظيم الذي كتبه الله عليهم مرة في كل سنة ما استطاعوا إليه سبيلا .

في مثل هذه البقعة المتواضعة يشهد التاريخ الإنساني مثالا نادراً للحب والقوة والإيمان ، ونموذجا رائعاً للبطولة التي مثلها محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام قبل أكثر ١٤/ قرناً ، ومثلها بعده أصحابه وأتباعه ﷺ .

وقد عجزت الطاقة البشرية - رغم مؤتمراتها العالمية الكثيرة - أن تجاري هذا الاجتماع العالمي الكبير في شيئ من الحب والقوة والسلام ، وخارت الدول الجبارة ذات القيادة السياسية أن تقيم مثالا لأدنى جزء منه في أي ناحية من النواحي الاجتماعية والإنسانية التي يحملها هذا الاجتماع الرائع العظيم ، غير أنها هي أرض مكة تلك البطحاء ذات الشعاب والأودية

* مجلة البعث الإسلامي ذوالحجة ١٣٨٢هـ .

والجبال الجرداء ، التي تتشرف بتأذين عام بحج البيت الذي هو كعبة الإسلام والمسلمين ، والذي يأوي إلى كنفه المسلم لأداء فريضة الحج فيخرج من الذنوب كيوم ولدته أمه .

وما أن تبتدئ أشهر الحج إلا وتندفع قلوب المسلمين في كل ناحية من نواحي العالم إلى زيارة ذلك المشهد العظيم الرائع ، مشهد العزة والعظمة والحب الذي يضم مآت الألوف من قلوب المسلمين في بقعة واحدة ويجمعها على كلمة واحدة ، وهدف واحد ، فأصبح الناس كلهم جسداً واحداً ويداً واحدة ، يتوجهون إلى قبلة واحدة ويسجدون أمام بيت واحد ، لرب واحد وتحت غاية واجدة .

وقد تلاشت جميع النزعات النفسية والنوازع الخبيثة ، فلا أثرة ولا رفث ، ولا فسوق ولا جدال ، وإنما تخلصت الحياة من جميع الأوساخ والأقذار وتحولت إلى مرآة صافية تتراآى فيها صورة صادقة للمؤمن المسلم الذي يعيش في جو من الإيمان والإخلاص ، وفي بيئة من الحب والمودة والسلام .

إنها معجزة تتحقق بأدنى امتثال لأمر الله وإقبال عليه بقلب يملؤه الإيمان ، وهي معجزة لن تتحقق بدون ذلك أبداً ولو أنفق لها ما في الأرض جميعا ، فقد تسعى الدول العظيمة والحكومات القوية لتحقيق السلام وإنقاذ العالم من خطر

الحروب وتنفق في سبيل ذلك كل طاقة وكل وسيلة ولكنها لا تنجح بل تواجه الفشل بعد الفشل والخيبة بعد الخيبة ، لأنها محاولات لا تقوم على أساس من اليقين والإخلاص ، ولا تتصل بروح من العقيدة والإيمان .

ولكن الحج الذي ليس مؤتمراً بالمعنى المعروف اليوم إنما هو اجتماع رائع يمثل رسالة البشرية في أكمل معانيها ، ويثبت أن القلوب إنما تتحد على كلمة الله وحده ، و ليس في الدنيا شيئ يساويها في القوة والعزة والمنعة ، والذي يحاول توحيد الصفوف ، ورفع النزاعات وجمع القلوب بدون هذه الكلمة فكأنه يخط على الماء ويكتب في الهواء .

والحج خير وسيلة وأندر فرصة للمسلمين في كل مكان ليتعارفوا فيما بينهم ويتدارسوا شوؤن دينهم و دنياهم ويبحثوا المشكلات التي تواجههم في حياتهم ويصلوا إلى حلول صحيحة في ضوء الشريعة السمحة والعقيدة الإسلامية .

وإن الأعمال التي يؤديها الحاج أثناء أدائه هذه الفريضة من سعي وطواف ، ومناسك وحركات وانتقال من مكان إلى مكان ، كلها تبعث في قلبه روح التفاؤل لتثبيت أقدامه في مراحل الحياة وقطع أشواطها في حزم وعزم وآمال وأمان ، كما أنها صورة لما يكمنه في نفسه من محبة الله التي لا تتركه على حال

واحدة من الطمأنينة والهدوء ، وإنما تجعل حياته قلقة مضطربة لأجل تحقيق غاية واحدة ، ألا وهي التفاني في حب الله تعالى وطلب مرضاته .

ولا شك أن المسلم الحاج إذا نجح في هذه الغاية وأحس بأن أعماله التي أداها قد أثمرت والتضحيات التي قام بها قد نالت قبولا فكان من تأثير هذه الانطباعات أن يحدث تحول محمود في الحياة و نزوع إلى الخير والفضيلة ، ومن هنالك يبتدئ عهد جديد مشرق في حياته ، العهد الذي توخاه من الحج واستمد روافده من هجرته إلى بيت الله حيث قطع بها عن نفسه الشواغل متجها إلى الله بقلبه وقالبه ، وخرج من ذنوبه كالمولود يوم ولادته ، فلا معصية ولا ذنب ، ولا رفث ولا فسوق ، وإلى ذلك أشار النبي ﷺ بقوله " من حج فلم يرفث ولم يفسق ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ".

ونظرة واحدة على مناسك الحج وما يؤديه الحاج من أعمال وواجبات تعطينا صورة كاملة لحياة المؤمن الصادق المخلص ، وما تحويه في جنبها من دوافع التفاني والاستماتة في سبيل الله ، فالمسلم الحاج من أول أمره ، منذ إحرامه في قتال مع النفس ، وفي مغامرة مستمرة لا تهدأ ولا تقف لحظة واحدة إلى أن ينتهي من أداء هذه الفريضة .

فما السعي والطواف ، والوقوف والإفاضة والرمي والنحر ، ولبس الإحرام والشعث والغبر ، ليس كل ذلك إلاّ رمزاً للامتثال والانقياد التام أمام إرادة الله ، وأن الإنسان إنما هو خلق ضعيف لا يملك من أمره شيئاً ، وأن الجميع سواء أمام أمر الله ، سواء كان شريفاً أم وضيعاً ، ملكاً أم رعية ، غنياً أم فقيراً ، فكلهم في لباس واحد ، وزي واحد ، واقفون في صف واحد يؤدون عملا واحداً و يقيمون في مكان واحد ، هائمين مبتهلين ، متضرعين إلى الله ، طالبين رحمته وغفرانه ، حريصين على قبول عملهم المتواضع .

ولما انتهى الحاج من عمله وفرغ عن مناسكه فإذا هو في عالم حديث من النور واليقين ، يضفي عليه لونا من القدسية ينبثق من حياته الحديثة التي بدأها وعهده الجديد الذي دخل فيه ، فيأمن من كل خوف وحزن ، وينتهي من كل معصية وذنب ويعيش حياة العبد الصالح الذي يبتغي وجه الله في كل تحريكة وتسكينة .

فالحج بجميع ما فيه خيرات وحسنات عبادة ومؤتمر يتقرب به العبد إلى الله تعالى ويطلع على عثراته فيتوب إليه ، ويتعارف مع الناس ويتدارس شؤنهم وأحوالهم فيعرف ما يجب عليه من قيام بأعمال تصلح لدينه ودنياه .

والحج رياضة بدنية وتمرين عملي للإنسان يتمكن به من حمل تبعات الحياة التي تعود إليه كإنسان ، وأداء الأمانة التي حملها من أول يوم ، وأشار إليه القرآن في صراحة ووضوح ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (١)

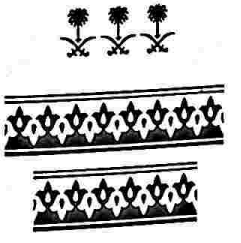
الحج تخليد لذكرى حياة إبراهيم ذلك العبد المطواع والرسول العظيم الذي كان من أعظم الثائرين في عصره وأكبر المتمردين في بيئته ، والذي كانت حياته تحدياً لعبادة الأصنام والمادية الطاغية ، وكانت نموذجاً صادقا لحياة المؤمن بالله والمتفاني في حبه مهما كانت الظروف ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (٢)

والذي يحج الكعبة يعيد هذه الذكرى الحلوة ، ذكرى الهيمان والعشق وذكرى الاستسلام والطاعة ، وذكرى الثورة على الأوضاع الفاسدة ، وهو يعاهد الله سراً وعلناً بأنه سيحارب كل فتنة وكل وضع فاسد يحول في طريق الحق ، ويثور على كل عادة وتقليد يعتمد على الأسباب المادية ويوزع الإنسانية في قوميات و وطنيات وجنسيات محدودة مصطنعة .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٧٢ .
(٢) سورة النحل الآية : ١٢٠ .

ويتحقق في الحج معنى الجامعة الإسلامية الإنسانية التي يتوخاها الإسلام من وراء تعاليمه ودعوته ، وينهار بناء القومية والجنسية والوطنية المحدودة فتقوى صلة الإنسان بالإنسان ، وصلة الإنسان بالله في معنى الكلمة ، وتتحقق للبشرية سعادتها ، وللإنسانية عظمتها ، وللحياة كرامتها ، مادام زاد الحج هو زاد التقوى الذي أمر به الله سبحانه في كتابه العظيم ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1]



[1] سورة البقرة الآية : ١٩٧ .

موقف الإيمان والوعي ★

في ظرف أسبوع كامل من الآن يحتفل المسلمون في كل مكان بذكرى إحياء سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وهي ذكرى تستحق بكل جدارة أن يقف عندها المسلمون موقف الإيمان والوعي ، ويستوحوا منها عبرة ودرساً لحياة ثائرة ، حياة البطولة والتضحية والفداء ، وما أشد حاجتهم إلى مثل هذه الحياة .

إنه عيد يتقرب فيه المسلمون إلى الله بتقديم الأضاحي التي هي رمز للامتثال والطاعة والخضوع أمام سلطان الله ، إنهم ينحرون ويضحون فلا يبغون من وراء ذلك إلا إبداء خنوعهم وعبوديتهم لله ، وإظهار أن العبد المؤمن إنما يضحي بكل شئ في سبيل الله ، وطلب مرضاته ، إنه إذا رأى أن إراقة الدماء في هذا اليوم السعيد تنال من القبول والعز ما لا تناله في أي يوم آخر ، فيبذل جهوده في نيل هذه السعادة بكل طريق ممكن.

والحجيج في أودية منى وجبالها يلتمسون هذه السعادة ويبذلون جهودهم في تأدية المناسك مهما كانوا لاغبين ، ولا يدعون طريقة مما يجلب رضا الله و رحمته إلا ويسلكونها

★ صحيفة الرائد عددان أول و ١٦/ابريل سنة ١٩٦٤م .

ويشتغلون بأعمال لو لا هذا الحرص على الثواب ، لم يستطع أحد من الناس أن يقوم بها إلا بشق النفس ، ولكن الحجيج لا يشعرون بشئ من النصب واللغوب ، ولا ترهقهم كثرة المشي والسعي والسهر وبل وينالون في كل ذلك من اللذة والراحة ما لا نتصور..

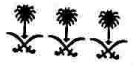
إن هذه السنة سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام تتطلب من كل مسلم تضحيات وفداء في كل مناسبة وكل خطوة ، فإن الحياة بدون الجهود والجهاد ، وبغير عاطفة الحب العميق ، والمودة الخالصة كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

لقد كانت حياة إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام تحدياً للمادية المسرفة ، التي كانت سمة عصره الذي نشأ فيه ، إنه نشأ في عصر كان خاضعاً للأسباب وفي إعراض تام عن خالقها ، ولكنه نهض في ذلك الوسط الرهيب والجو القاتم يعلن حرباً على التقاليد المنكرة ، والعادات القبيحة التي لم تكن تمت إلى التفكير الصحيح بصلة ، وكادت القوى الظالمة والطاقات الباطلة تقضي عليه لولا إيمانه القوي حال دونها ، وأخذ بيده إلى حظيرة العز والمنعة والقوة.

إن حياة إبراهيم وسنته تدعواننا إلى الأخذ بمبدأ التضحية والفداء في حياتنا ، وإن الظروف التي تحيط بالمسلمين في كل مكان ، والأوضاع التي يجتازونها في كل قطر وبلد إنما تدعوهم

إلى دراسة حياة إبراهيم التي هي خير نموذج لحياة الحب والتقوى ، وحياة التضحية والإيثار.

وبهذه المناسبة التي نحتفل فيها بعيد الأضافي وإحياء ذكرى سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام يجب أن نقف عندها موقف المؤمن الواعي ، دون أن نمرَّ عليها مروراً سريعاً ، وندرس حياته دراسة عميقة حتى نستطيع أن نأخذ منها غذاءً روحياً دسماً ، كما نبحث في ضوئها حلاً كافياً لمشكلاتنا وقضايانا التي تواجهنا في هذه الساعة ؟.







لاسعادة بدون التضحية ! ★

يعتبر الإنسان أكثر خلق الله تكرماً ، وتقرباً إليه ، فذلك ما يشهد به في قوله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[٢] وإن هذه الشهادة الربانية لأسطع برهان على أن هذا الخلق الكريم مراقَب من قوة علوية مطلقة تحيط به من كل جهة وتحصيه بكل دقيق وجليل لا تخفى عليها خافية ، وهي تعلم خفقان القلوب وخطرات النفوس وخائنة الأعين ، ومن أجل هذه الرقابة الشديدة الشاملة ارتفعت منزلة الإنسان وسمت مكانته ، وبلغ من الأهمية بحيث لا يمكن صرف النظر عن تصرفاته ونشاطاته التي يمارسها في مختلف مراحل الحياة وظروفها .

هذه الصلة المخلصة التي خص الله سبحانه وتعالى بها الإنسان المسلم وفوض إليه من أجل ذلك مسئولية " الأمانة " كان سبباً مباشراً لارتفاع المسلم إلى أعلى درجات الثقة والمودة التي لم يحلم بها الإنسان في ديانة وفلسفة وحضارة سبقت مجيئ الإسلام وعاشها الناس في كبرياء وأنانية حيناً ، وتحت ضغط

★ صحيفة الرائد ذوالحجة ١٤١٤هـ.
[٢] سورة ق الآية : ١٦.

عوامل اجتماعية حيناً آخر ، وما قصة فلسفة اليونان العقلانية وحضارتها ببعيدة عن تاريخ الإنسان ، فقد كان البشر موزعين بين خلايا كثيرة للمقاييس المادية من المال والجاه والقوة والضعة والرفعة والفقر والغنى ، فمن كان لا ينتمي إلى أصل ما زعموه من الشرف والمجد ، كان أحقر من البهائم وأخس من الكلاب ..

على أساس هذه المقاييس الجائرة كان الإنسان يرزح تحت ضغوط من المظاهر الكاذبة الجوفاء ، ويعيش بين عقليات متعارضة وصور متناقضة لا يعرف للسعادة معنى ولا للعزة مفهوماً ، فلما جاء الإسلام رفعه إلى قمة السعادة حيث كان نجياً مع ربه ، متصلا بذاته بصالح الأعمال والقربات وتقوى الله التي لا فضيلة بعدها ولا زلفى إلى الله بغيرها ، ذاك أن الله سبحانه تبارك وتعالى اشترى من عباده المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فما كان منهم إلا أن يضعوا كل شيئ مما يملكونه من النفس والمال والأهل والولد تحت تصرف الله سبحانه تبارك وتعالى ، ولايبالوا البتة بما إذا ضحوا بالمستقبل اللامع ، والوسائل والإمكانيات كلها في سبيل الله ، فكان المؤمن يعتبر ذلك من أعظم السعادات ، ويجعله أحقر ضريبة للحب والوفاء ، ويرجو من الله تبارك وتعالى أن ينالها بالقبول والرضا .

إن التضحية بالنفس والمال وأغلى الموجودات والممتلكات في سبيل الحصول على سعادة الدين والدنيا ، علامة تؤشر بأن

العبد المؤمن ملتزم بذيل العبودية ، وسائر على درب الإيمان والجهاد ، وسالك مسلك السعادة واليقين ، وإن الفوز بالرضى والحب لا يأتي عفواً ، ومن غير اعتماد على روح التضحية بالمحبوب المضمون في سبيل الله ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ (١)

إن ما يقدمه المسلمون في أيام التشريق من هذا الشهر الكريم من الأضاحي ليس إلا رمزاً للخضوع أمام أمر الله ، وليس إلا ضريبة للوفاء والولاء ، والحب مع الله تبارك وتعالى ، إنها علامة لتقوى القلوب وللصلة الوثيقة المخلصة التي يحظى بها العبد في حياته ، ويتمتع بها في آخرته ، وينال جائزته عليها يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٢)

هذه الأضاحي التي تقدم في أيام التشريق وتنال عند الله القبول والمنزلة الكبيرة في عين الله سبحانه وتعالى ، تحمل دلالة باهرة على أن الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر يتطلب من المؤمن أن يكون دائماً على استعداد كامل لبذل كل رخيص وغال وإنفاق كل نفس ونفيس في سبيل دعم العقيدة والحق ، ودحض الكفر والباطل .

(١) سورة آل عمران الآية : ٩٢ .
(٢) سورة الشعراء الآية : ٨٨ ـ ٨٩ .

والعبرة بالعواطف ، وما تنطوى عليه القلوب من النوايا ، ولا قيمة للحم والدم ، ولا بالمظاهر والأشكال ﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١) وكلما تقوت دوافع التقوى وتوطدت صلة العبد بالمعبود نالت الحياة بغيتها من الهدوء والطمأنينة ، والسعادة والأمن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .

(١) سورة الحج الآية : ٣٧ .

دور التضحية

في تقدم الأمم والشعوب *

التضحية لها دور كبير في تقدم الأمم ونهضة الشعوب ، فكل عمل جليل مدين بهذه الخصيصة والتي إذا اصطنعتها أمة في حياتها وتاريخها تميزت عن غيرها في كل شئ ، وخلف آثاراً عظيمة وأعمالا جليلة وصنائع فائقة في التاريخ الإنساني العام .

ولم يزخر التاريخ بالآثار الرائعة الخالدة ، والبطولات الكبيرة إلا بفضل التضحية والفداء والإيثار والتفاني ، فلولا أن الله سبحانه ألهم عباده بتمثيل هذه الميزة الكبرى على مسرح الحياة ، لم يكن للتاريخ البطولي دوي في المجتمع الإنساني ، ولم يعرف الناس من تاريخ الحروب والمعارك وقصص الشهادة والفداء شيئاما .

إن الإنسان يجد في نفسه اندفاعا إلى التضحية كُلّما واجهه أمرمهم لا يُدرك إلا بنوع من التضحية بالنفس أو المال أو الوقت ، إنه يستقبل الموت بوجه باسم في سبيل الكرامة والمجد ، ويرحب بالشهادة في الانتصار للحق ودحض الباطل ، لأنه يعرف أن حياة الذل والصغار ، والاستسلام للظلم و الهوان لا

* صحيفة الرائد ذوالقعدة عام ١٣٨٨هـ.

يليق الا بالأنعام ، فالموت في سبيل العدل والكرامة ، والحق ، خير من حياة ليس فيها إلا الجور والعسف والطغيان ، ولا تقوم إلا على أساس من الخنوع والنفاق .

وليست هذه الأضاحي التي يقدمها المسلمون في جميع أنحاء العالم في هذا الشهر إلا رمزاً لما تقوم عليه حياة المسلم ، من تضحيات كثيرة وإيثار وفداء ، وهي ترمز إلى أن الحياة جد وكفاح ، وجهود و جهاد ، فلا تتحقق الغاية التي ينشدها إلا بالدماء والدموع ، لا بالراحة والنعيم ، ولا يصل إلى النجاح المنشود إلا بما يقدمه من النفس والنفيس في سبيله .

إن المسلم هو الذي يتفرد بهذه الخصيصة الكبرى ، لأن تعاليم دينه تبعثه على التضحية والإيثار دائما ، بالعكس من الديانات الأخرى التي تخلو من مفهوم التضحية والفداء بتاتا ، ولا ترضى بنوع من الإيثار والتضحية إلا بحكم الإكراه والاضطرار .

يقول الله تعالى في محكم كتابه :

﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾ (١)

(١) سورة الحج الآية : ٧٨ .

موسم الحج ، مشاهدات وانطباعات *

أضفى الله سبحانه وتعالى على عبادة الحج لوناً ثابتاً عجيباً من الطهر والعفاف ، والتوحيد الخالص ، وأحاطها بسياج من الإيمان والتقوى ، والعبودية والاستسلام ، وفرضها على كل مسلم استطاع إليها السبيل ، وأعد نفسه عن طريق الطاعة والعمل بالشريعة ، للنهوض بهذا الواجب العظيم ، الذي إذا أحسن القيام به وأداه في ضوء الكتاب والسنة كاملا غير منقوص ، ولا مشوب بشوائب من النفس ، فإنه يستحق البشرى التي جرى بها لسان النبوة قائلا (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) وقوله (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) ، وذلك هو المسلم الذي تمسك بالحنيفية ، وعظّم شعائر الله وحرماته ، راغباً عن كل شريعة وشعيرة تغاير شريعة التوحيد وشعيرة التقوى والإيمان ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢] ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[٣]

* مجلة البعث الإسلامي صفر عام ١٤٠٥هـ.
(٢) سورة الحج الآية : ٣٠.
(٣) سورة الحج الآية : ٣٢.

ولقد أراد الله تعالى أن يتناول العبد المسلم الذي يقوم بأداء هذه الفريضة بالتدريب على التوحيد والتقوى ، بحيث لا تؤثر فيه المظاهر المادية الكثيرة التي يمر بها في طريقه نحو إنجاز هذا الركن العملاق ، ولا يقف في طريقه شئ من عقبات النفس والشيطان فيصرف وجهه عن الغاية الأصيلة المنشودة إلى نوع من الشرك والاعتقاد بالأحجار والجدران التي لا تغني عن الله الواحد القهار شيئاً ، فكم في خلال المناسك وفي المشاعر والأماكن المقدسة من حوافز تغر المسلم الساذج ، أو تحيد به عن درب الحق والتقوى والتوحيد والطاعة إلى طرائق لا تمت إلى عبادة الله الخالصة بأي صلة ولا رابطة .

فإنه حينما يطوف بالبيت ، ويستلم الركن ، ويلتزم بالجدار ، ويتخذ من مقام إبراهيم مصلى ، وحينما يسعى كالهائم المستجير بين الصفا والمروة ، ويصعد على مرتفعاتهما فيتجه إلى البيت ويدعو الله ، فهو لا يفعل كل ذلك لأنه بيت الله أو لأنه الركن أو المقام أو لأنه الصفا والمروة ، بل لأن الله سبحانه وتعالى أمره بذلك فيستسلم لأمره ويمتثل طاعته ، ويخضع لسلطانه ، إنه لا يفعل كل ذلك إلا لأن الرسول الكريم ﷺ علمه كذلك بأمر من ربه ، فقال عليه الصلاة والسلام : " خذوا عني مناسككم " وقال الله تبارك وتعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا

مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [1] وقال تعالى ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [2] إن المسلم الذي يقوم بجميع هذه الأعمال ، ولا يألو جهداً في الخضوع والطاعة إنما يتوخى من ورائها ذكر اسم الله تعالى وتوحيد ربه وتكبيره على ما هداه وتعظيم شعائره ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [3]

هل توجه إلينا هذه الآيات إلا دروساً من ذكر الله وتوحيده وعبادته وتكبيره وتعظيم شعائره وإخلاص العمل له وتقواه ، وتلك هي في الحقيقة الغاية القصوى التي ينشدها المسلم من

(١) سورة البقرة الآية : ١٢٥ .
(٢) سورة البقرة الآية : ١٥٨ .
(٣) سورة الحج الآية : ٣٤-٣٥-٣٦-٣٧ .

جميع أعماله وعبادته ، ولكن هذه المظاهر العالية لها مكانتها وأهميتها في الحج بوجه خاص ، إنها تتجلى فيه بأبرز أشكالها وأجلى معانيها ، ولعل ذلك جزاء المسلم من هذه العبادة التي تكلفه شيئاً كثيراً من إنفاق المال والوقت والجهود ، وتحمل المشاق في سبيل أدائها على الوجه السليم ، فإذا كانت تقوم على أساس الوحدة من حيث إنها تفرض مرة واحدة في الحياة فإنها كانت أولى بتوحيد الله وإبراز هذه الوحدة في كل ما يلابسها من مناسك ومشاعر وأعمال ، وكانت أكبر العبادات محاربة للشرك وما والاه وأعظمها مقربة إلى ذات الله والإيمان به والتوكل عليه والثقة فيه ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴿١٩٧﴾﴾ [1]

ولقد بوأ الله سبحانه لإبراهيم عليه السلام مكان البيت للتوحيد الخالص وتطهيره للطائفين والقائمين والركع السجود ، وأمره بالأذان العام في الناس بالحج يأتون من كل فج عميق ليشهدوا منافع الدين والدنيا ويذكروا اسم الله تعالى في الأيام المعلومات المعدودات التي أكرم الله تعالى بها عباده المؤمنين من الحجيج ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ

(١) سورة البقرة الآية : ١٩٧ .

عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [1]

لا مساغ لأي نشاط يخالف هذه الروح النزيهة للعبودية الخالصة ، وهذه الصلة الربانية الوطيدة بين العبد و ربه تعالى في هذه العبادة الطيبة العظيمة التي تحدث عنها القرآن بمثل هذه الصراحة والإيضاح والتكرار ، والتي لا تهدف إلا التوحيد والتطهير وذكر الله والشكر له مع إحراز منافع من كل نوع مما يحتاج إليه المرء في حياته الدينية والدنيوية ، وهنالك يكون الحج مبروراً ، " والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " ، كما قد صرح بذلك وبشر به الرسول العظيم محمد ﷺ .

وانطلاقا من هذه النقطة المهمة التي تدور حولها عبادة الحج يجتمع عباد الله في أشهر معلومات من جميع أنحاء العالم وفجاجه وطرقه حول بيت الله العتيق وفي بلده الأمين ممن يستطيع إلى ذلك سبيلا ، فيكون موسما رائعاً للعبادة والذكر والطواف والدعاء والحب والسعادة وتبادل المنافع ، واكتساب مرضاة الله وامتثال الطاعة لله ولرسوله ، ويكون فرصة نادرة للتدريب على العبودية الخالصة والتمسك بالتوحيد النقي من الشوائب ، وتطبيقه على كل شأن من شئون الحياة ، ويكون من

[1] سورة الحج الآية : ٢٦-٢٧-٢٨-٢٩ .

أسعد المناسبات للتقرب إلى الله تبارك وتعالى ، ولا شك فإن من يعرف هذه الفرصة الغالية ويطلع على أهميتها وغلاء قيمتها إنما ينتهز منها كل لحظة لكسب الخيرات ويستغلها لجميع المصالح الحيوية ويعيشها في طهر وعفاف وتقوى ، مع الحذر التام من كل ما يعكر صفو هذا الطهر والورع ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [1]

ولكن هناك ـ في هذا الموسم العظيم من العبادة والتقوى والذكر والطاعة ـ مواقف كثيرة من البدع والجهل ومظاهر الشرك والفتنة ومشاهد لا يأتي عليها الحصر ، من الإصرار على الخطأ ، والاقتفاء بخطى النفس ، والخضوع أمام الأحجار والأمكنة والتمسح بالجدران والأتربة ، اعتقاداً في قدرتها على التصرف في الأمور والمقادير ، وبتعبير أوضح : الإصرار على الشرك الجلي مع الغفلة عن ذات الله تعالى والتوكل عليه والثقة في قدرته وتصرفاته ، ونسيان ما له من حق التوحيد والطاعة والذكر والخشية والإنابة إليه ، على العباد ، وخاصة في موسم هذه العبادة الرائع الجميل النزيه الذي لا يتحمل غبارا من شرك أو وثنية ، بل يحارب كل اتجاه نحو ذلك بكل قوة وتأكيد ويركز

[1] سورة البقرة الآية :١٩٧ .

على ترسيخ جذور التوحيد والطاعة واقتلاع جراثيم الوثنية والشرك والبدع والشهوات.

وإن هذه المواقف من الجهل والبدع، وهذه المشاهد من الخطأ والشرك ومخالفة أوامر الله ومحاربة روح العبودية الخالصة لها تأثيرها في قلب مفاهيم الحياة الإنسانية الصحيحة وغاياتها إلى مفاهيم خاطئة وتصورات شاذة لا يريدها الإسلام من وراء العبادات والأعمال، ولا يرضاها الله ورسوله في أي حال من الأحوال " وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة "[1].

وكم أحدث الناس من أمور لا علاقة لها بالدين، ولا صلة لها بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، في مناسك الحج ومواقفه، ألم يحدثوا في الطواف حول البيت ما أحدثوا، ومن الحنين الشديد بالتبرك بالجدار أو أرض الحطيم أو كسوة الكعبة المشرفة أو الا كتفاء بالإشارة إلى هذه الأشياء والخنوع أمامها تأكيداً للاعتقاد فيها والإيمان بأهميتها، من دون ذكر الله أو رجاء منه أو تضرع إليه واتجاه نحوه، ولا ينتهي هذا الاعتقاد بغير الله في

[1] رواه أبوداؤد في كتاب السنة: باب في لزوم السنة: ٤٦٠٧، وأخرجه الترمذي في كتاب العلم: باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع: ٢٦٧٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

البيت والمسجد الحرام، وهذا التبرك بالمظاهر والمشاهد في الصفا والمروة وآثار الطرق والبيوت في مكة، بل إن ذلك يتعدى إلى الجبال والأودية والساحات في منى والمزدلفة وعرفات، حيث إن معظم الحجيج أشد ما يكونون حريصين على لمس بعض الأحجار والوقوف على بعض المواقف ووضع الخدود والجباه في الرمال والأتربة، والخضوع للهوى والنفس، من غير دافع نحو عبادة الله والعمل بتعاليمه في هذه المشاهد والمشاعر ومن غير استحضار لتوحيد الله تبارك وتعالى وتحقيق طاعته وتنفيذ أوامره ونواحيه فيها، وعقد الرجاء منه وربط المصير به في كل شأن وحال.

ولا ينتهي الأمر إلى هذا الحد، فإن هناك معصية كبيرة لا يبالي بها الرجال والنساء من الوافدين إلى حج البيت، وهي اختلاط النساء بالرجال من غير حيطة أو حذر أو استنكار، وقد بلغ هذا الاختلاط في كل مكان مع سفور النساء إلى ما لا مزيد عليه، وحتى إن النساء لا يبالين بالوقوف إلى جنب الرجال في صفوف الصلوات في الحرم؛ رغم المراقبة الشديدة التي يواظب عليها رجال الحرم وتوعية الحجاج، ولكن الإصرار على المخالفة طالما يهدم الجهود.

والذي يثلج الصدور هو أن حكومة المملكة لحريصة على إزالة هذه التناقضات والمخالفات في الحج، التي تعارض روح

الشريعة ، وقد أقامت الحكومة مؤسسات وهيئات عديدة لتوعية الحجاج وإرشادهم وإنقاذهم من البدع والشرك والضلالات ، وفي مقدمة هذه الهيئات الدينية هيئة التوعية الإسلامية في الحج التابعة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد وعلى رأس العلماء العاملين في هذا المجال بوجه خاص شخصية المملكة المخلصة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، الذي وقف بحياته للدين وإعلاء كلمة الله ونشر الحنيفية الخالصة في كل بقعة من بقاع العالم ، وقد وضع جميع مواهبه وإمكانياته لتحقيق هذا الهدف العظيم ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً ، وتقبل جهوده المخلصة في العودة بأمة الإسلام إلى منهجها الصحيح الوسط ، وطريقها السليم الأقوم ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [1]

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم .

❀❀❀

[1] سورة الأنعام الآية ١٥٣ .

الحج ، و دور الإعلام السعودي*

في عبادة الحج جوانب كثيرة تتميز بها عن أركان الإسلام الأخرى ، ففي تمثيل المشاهد وتعظيم المشاعر تدريب عملي على معانى الحب والامتثال والطاعة ، وفي التلبية والإحرام إيذان بوحدة الكلمة والزي ، وإشعار بالعبودية والتواضع أمام كبرياء الله تعالى ، وفي الطواف والسعي تأكيد على أن الحياة إنما تدور حول نقطة واحدة ينطلق منها المؤمن نحو الآفاق ويملؤها بالنشاط والعمل ويسعى إلى غاية واحدة ، وفي التنقلات بين المشاعر إخبات وضراعة ، وتمثيل أعظم وحدة اجتماعية لا مثيل لهما في تاريخ الديانات والشعوب ، والمسلمون من كل فج وصوب ومن جميع أنحاء العالم يأتون إلى مكة المكرمة حيث يتجمع أكبر عدد ممكن لأداء مناسك الحج ، وهم يمثلون جنسيات العالم المختلفة وطبقات الأمة بأجمعها ، تتعدد لغاتهم وتختلف عاداتهم ، وتتنوع أساليب حياتهم. وتتوزع مناطقهم وبيئاتهم من النواحي المناخية والطقسية مع اختلاف أعمارهم وأحوالهم ، فمنهم الطاعن في السن ، ومنهم المتجاوز حدود الشيخوخة ، ومنهم الهرم ، ومنهم الكهل والشاب ، ومنهم المرأة والطفل ، ومنهم الأمي الذي لا

* مجلة البعث الإسلامي صفر عام ١٤١١هـ .

يعرف عن العلم شيئاً والعالم الذي يتمتع بالعلم والفقه ، وهكذا يتسع صدر الأرض المقدسة لاحتضان العدد الهائل ، وتتوجه عناية المسئولين وإعدادات الحكومة بأسرها لكي تشمل الجميع بأسباب الراحة وتنالهم بالتسهيلات من كل نوع ، سواء تتصل بتوفير الغذاء والسكن والمرافق العامة اللازمة ، أو أداء مناسك الحج وتنظيم التنقلات بين المشاعر في أيام التشريق .

والذي يشاهد هذا العدد الهائل من الحجاج الوافدين في مكة المكرمة والمناطق المجاورة والقريبة من الحرم المكي الشريف في الأيام المعلومات تأخذه الدهشة والهيبة ، ويفكر للحظة فيما يحتاج إليه الحجيج من تنظيمات دقيقة وموسعة على جميع المستويات ، وخاصة إذا كان معظمهم ممن يحج لأول مرة ويفتقر إلى توعية كاملة في شئون وأعمال المناسك وإلى إعطاء معلومات عن المحافظة على نظام المرور والسكن ومتابعة الصلوات في الحرم المكي الشريف ، وما إلى ذلك من التزامات إذا لم يتم إعلامهم بها سبّب ذلك خللاً في النظام وأدى إلى فوضى وقلق واضطراب ، ذاك أن القضية ليست قضية مهرجان عالمي أو مؤتمر دولي ، إنما هي قضية ركن من أركان الإسلام وموضوع عبادة مهمة فرضها الله على عباده المؤمنين المستطيعين ، فلا بد من الخضوع أمام الشريعة في جميع التنظيمات والإعدادات والتسهيلات التي تتولاها الحكومة ضمن خدمة الحجاج وتوفير الوسائل لراحتهم وأمنهم وسلامة

مسيرتهم ثم عودتهم إلى حيث أتوا منه (من حج فلم يرفث ، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه) .

ولا شك فإن وزارة الحج للمملكة السعودية العزيزة إنما تبذل كل الوسائل والإمكانيات للحفاظ على روح العبادة في الحج وتزويد الحجاج بزاد التقوى ، فهي تتولى بغاية من الدقة والبراعة تأمين السبل وإسكان الحجيج وتنظيم مسيرة الحج وتوعية ضيوف الرحمن بالمعلومات الكاملة من المسائل ، والتعليمات ، وتوجيههم إلى الالتزام بروح الحج في جميع الأعمال والأماكن ، كما أنها تتكفل بقضايا الإقامة والغذاء والماء ، والإشراف على جميع شئونهم ومشكلاتهم في المناسك والمشاعر ، وهي بذلك تؤدي واجباً دينياً عظيماً وتقوم بمسئولية ضخمة ذات أهمية كبيرة ، بشيئ كثير من الكفاءة والبراعة والدقة والأمانة ، يعترف بذلك كل من يتشرف بأداء مناسك الحج ، ويستمتع من التسهيلات الفائقة ، ويشهد بأم عينيه تلك الاهتمامات البالغة التي تقوم بها الحكومة السعودية .

ويأتي دور الإعلام بجميع وسائله وأجهزته في رأس القائمة من وسائل التوعية ونقل الصورة وتربية الحجاج وتوجيههم إلى المعلومات اللازمة ، وفي المواصفات المقدمة لتسهيل إقامتهم واستفادتهم من اللحظات الغالية التي يعيشونها في البقاع والمشاعر المقدسة ، وانتهازهم للفرصة التي ساقها الله إليهم ، إن مسئولية الإعلام في الحج تتضاعف كلما اقترب الموعد ودنا

الموسم وحان أداء المناسك ، ولذلك فإن الدوائر والأجهزة الإعلامية كلها تنشط لأداء دورها في أيام الحج فمن نشر البيانات عن الحج وطباعة الرسائل والكتب في موضوعات مهمة من المناسك والمشاهد والمشاعر والمسائل ، ونشر مقالات وبحوث في الجرائد اليومية والأسبوعية ، وترتيب دوريات صحفية لتوعية الحجاج ، ووضع برامج منوعة ، مقروءة ومكتوبة ومرئية ، وإذاعتها عبر محطات الإذاعة المتعددة الخاصة باللغات الغربية والشرقية ، ولهجاتهما المختلفة ، وعلى شاشة التلفاز بحيث يسترعي انتباه الناس ويثير في نفوسهم معاني كريمة مما يتعلق بصور جميلة من التاريخ الإسلامي ، وشخصياته البارزة التي لها إسهام مشرف في شرح مفاهيم العبادة وبيان نماذج العبودية والسيرة الإسلامية النبيلة ، وكانت هذه البرامج الإعلامية تذاع للحجاج طوال اثنتين وعشرين ساعة من كل يوم بواسطة وزارة الإعلام السعودي وبإشراف مباشر من معالي وزير الإعلام المؤقر وزملائه العاملين ، ولها من التأثير في التوعية والتوجيه ، وإفادة الحجاج بمعاني الحج ومسائله ، ولفت أنظارهم إلى ما يجب عليهم القيام نحوه والتزامه في هذه الرحلة المباركة ما لا يخفى على الناس .

إن وزارة الإعلام السعودي توجه إلى الجهات الإعلامية ورجال الإعلام من كل نوع دعوة كريمة في موسم الحج على المستوى العالمي لكي يشاركوا النشاط الإعلامي في أيام الحج ،

ويسهموا في بعض البرامج الإعلامية تحت خبراتهم وتجاربهم ، ويشاهدوا بأنفسهم ما تقوم به الدوائر الإعلامية السعودية من التركيز على وضع برامج إعلامية تخص الحج والحجيج وتوفر معلومات من كل نوع للوافدين منهم وتسهيلات علمية وأدبية ودينية في سبيل أداء المناسك بآدابها وأحكامها ، وهي لا تدخر وسعاً في تصوير الأحداث والوقائع وما يعيشه الحجاج من أمن وسلام ومن هدوء وطمأنينة ، إن الإعلام السعودي يبذل اهتمامات بالغة لنقل صور المشاهد والمشاعر وخاصة بنقل حركة الحجيج في عرفة ونقل الصلاة والخطبة من مسجد نمرة على الهواء مباشرة بطريق الأقمار الصناعية إلى جميع أنحاء العالم ، والمسلمون في العالم كله يحرصون على مشاهدة صور ووقائع الحج وهم يستوحون منها معاني كريمة وإشارات لطيفة لما أودع الله سبحانه في عبادة الحج المبرور من فرص سانحة للتقرب إلى الله والاتصال به بإخلاص وعمق وثقة كاملة .

هذا الدور المشرف الذي يقوم به الإعلام السعودي في تغطية عبادة الحج بجميع الأجهزة والوسائل الإعلامية ، يجعله قدوة لما تتجه إلى إعلام الدول الإسلامية من مسئولية كبيرة نحو وضعه في خدمة الدعوة الإسلامية وتصوير وقائع وأحداث التاريخ الإسلامي والحياة الإسلامية في صدق وواقعية ، وتوجيه الشعوب العالمية ، والأمم الحضارية إلى ما يحمله الإسلام من كفاءة وقدرة طبيعية لقيادة العالم عقيدياً ودينياً وحضارياً ، ولقد

اعتمد العمل الإسلامي في مختلف أدوار التاريخ الإنساني على الأساليب الإعلامية المتيسرة وجعلها ذريعة للخطاب والبلاغ والتأثير، وكذلك للتربية والتوجيه الديني والخلقي، خاصة وإن الإسلام هو أول دين قام على العلم وشجع التعليم والإعلام ودعا إليه الإنسان، لكي يطلع على مكانته ووظيفته في الحياة والمجتمع ودوره في العالم في ضوء العلم والبيان ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[1] والسورة بكاملها دعوة إلى العلم والقراءة والبيان وإثارة للمشاعر والوجدان للتفكير في آلاء الله وآياته البينات.

نحن نعيش اليوم في عالم اتخذ الإعلام أداة للهدم والإفساد وتحويل الشباب بوجه خاص من وجهة الرجولة والشجاعة الخلقية وأداء دور البطولة إلى الإخلاد إلى اللذات والمتع الرخيصة والتجرد عن الرجولة والتنازل عن الدور المنشود في ساحة الحياة الواسعة، والاقتناع بالفسولة والميوعة والانحلال، إن الإعلام المعاصر يقوم باستثارة الغرائز الجنسية في الفتيان والفتيات وتوجيههم نحو تحقيق الأغراض الخسيسة بالاعتماد على أساليب العنف والإرهاب وارتكاب الجرائم الخلقية عبر البرامج الرتيبة ومحتوياته الهدامة، وأخص منها البرامج التلفازية وأفلام الفيديو التي يتهافت عليها الناس شباباً، وشيوخاً وأطفالاً، ورجالا

[1] سورة الرحمن الآية: ١-٢-٣-٤.

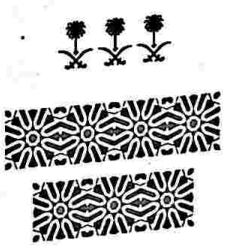
ونساءاً، ويتناسون من خلال ذلك أنفسهم، فضلا عن مكانتهم، وأدوارهم ووظائفهم في الحياة.

لقد كانت المملكة العربية السعودية أولى بأن تتحمل مسئولية الإعلام الإسلامى بل وتقود الإعلام الإسلامي لمكانتها وقدسيتها اللتين أكرمها الله تعالى بهما في مصاف الدول والحكومات المسلمة في العام الحديث اليوم، وهي من خلال قدسية الحرمين الشريفين وعبادة الحج المباركة التي يتم أداؤها بإشراف قيادة هذه المملكة الموقرة، تستطيع أن تتولى تطهير الإعلام في بلدان المسلمين من البرامج الهدامة، وتعيين أهدافها الإسلامية ونشر الفكر الإسلامي وأدوار التاريخ وبث الثقافة الإسلامية وشرح الحضارة الإسلامية وإذاعة برامج التعليم والتربية والتوجيه الإسلامي مما يساعد المسلمين على بناء مستقبلهم الحضاري والحفاظ على عقائدهم وشخصيتهم الإسلامية، ويربي الأجيال على خلال من الفتوة والشجاعة والإيمان، ويبعثها على إجلال رجال التاريخ الإسلامي وتقليد بطولاتهم وجهادهم لإعلاء كلمة الله.

ولقد دعت المملكة العربية السعودية في موسم الحج لعام ١٤٠٩هـ الدول الإسلامية إلى وضع ميثاق الشرف الإعلامي الإسلامي الموحد لكي يتم في ضوئه التعاون بين المسلمين في خدمة القضايا الإسلامية وتحقيق مصالحهم الاجتماعية، وأن

تعمل الدول الإسلامية على تنسيق جهودها من خلال نهج إسلامي موحد لما يخدم قضايا الأمة الإسلامية والعالم الإسلامي عبر الوسائل الإعلامية الإسلامية التي تتمتع بتعاون الدول الإسلامية كلها.

وفي حفل ترحيب برؤساء البعثات الإعلامية الإسلامية، الذي عقدته وزارة الإعلام السعودية برئاسة معالي الشيخ علي حسن الشاعر وزير الإعلام السعودي في جدة، أكد م- اليه أهمية هذا الميثاق الإعلامي الموحد وضرورته اليوم، ذلك لكي تكون للدول الإسلامية وسائل إعلامية يمكن من خلالها إيضاح وشرح القضايا الإسلامية التي تهم الأمة الإسلامية وجميع دول العالم الكبرى بأسلوب حضاري يخاطب عقول الغرب ويشرح المطالب العادلة للقضايا المعقدة بوجه خاص، والقضايا الإنسانية الأخرى التي تهم الجميع بوجه عام.



درس من حياة العبد المؤمن*

حياة أبي الأنبياء إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام حافلة بأنواع من الاختبار والبلاء من ربه تبارك وتعالى، الذي أراد أن يجعل هذه الحياة نموذجاً صادقاً للمؤمنين الذين يدعون بالإيمان والطاعة والاستسلام لله تبارك وتعالى وهي تتضمن مشاهد استسلام كثيرة، وأعظمها ثورة على عبادة غير الله التي كانت امتزجت بلحوم ودماء قومه وأسرته وأقربائه، وكان الناس لا يعرفون غير عبادة الأصنام - التي كانوا يصنعونها أو ينحتونها ثم يتاجرون بها شيئاً آخر، ولم يكن من السهل أن يضحي المرء - بجميع علاقاته ومستقبله، وحياته لمجرد إرضاء الله تعالى وتغليب عبادته على جميع العبادات، والقضاء على جميع وسائل الشرك، ولكنه كان يحمل في جنبه قلباً سليماً.

وقد واجه في سبيل ذلك من البلايا والمحن والشدائد ما لا يتصور، وقد أراد به قومه كيداً، ولكن الله سبحانه جعلهم من الأسفلين، وأخفق كيدهم أشنع إخفاق، وخرج من النار سليما معافى.

* صحيفة الرائد ذوالحجة ١٤٢١هـ.

ثم ابتلاه ربه تعالى في قرة عينه إسماعيل عليه السلام الذي كان قد رزقه الله على طلب منه ، فكان يقع منه الموقع الأخير من الحب والمودة ، خاصة وقد سبق أن قومه قد أخرجوه وقاطعوه ، وأجبروه على ترك الوطن ، والمغادرة إلى أرض ليس له فيها أهل ولا قرابة ، ولا جماعة من أنصاره ، فلما رزق الولد النجيب والابن الحبيب أصبح مركز آماله وتطلعاته في المستقبل ، وقد بلغ من العمر مبلغ السعي مع والده ، فإذا به يأتيه امتحان آخر من ربه تعالى ، ويرى في المنام أنه يذبح ولده في سبيل الله وتتابعت عليه الرؤيا إلى ثلاث ليال وملأت نفسه بالثقة والطمأنينة ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[1].

وهكذا كان !

صدق إبراهيم عليه السلام وابنه إسمعيل عليه السلام في دعوى الطاعة والاستسلام والمحبة لله ، وعلما أن هذه الحياة التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، إنما هي لله ، وأن كل ما يملكه العبد من نفس ، وأهل ، ومال ، وجاه ، ومنصب ، وإمكانية ، ومستقبل ، كل ذلك لله تعالى ، فلا مناص من أن يعيش المرء في الدنيا عبداً مطيعاً خاشعاً ، ومتطلعاً إلى مرضاة ربه ، ومتمسكاً بتعاليمه حتى تتوافر له السعادة الكاملة ، والعيش الهنيئ ، والأمن ، والاستقرار ،

(١) سورة الصافات الآية ١٠٢.

ويدخل في عداد من تأتيهم البشرى من السماء تحملها الملائكة ، وتقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[1].

إنها نتيجة الاستسلام والخضوع لله ، ووضع كل شئ من النفس والمال والأهل والأولاد تحت تصرف الله تبارك وتعالى ، والاغتباط بما إذا نال ذلك قبولا من الله تعالى .

ذلك هو السر العظيم في الجمع بين الحسنيين ، والجائزتين معا ، يقول الله تعالى ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[2] وذلك هو السر في الحصول على نصيب من الجهد والسعي في الدنيا ، ذلك الذي يتمثل في الهدوء ، والأمن ، والسلام ، والعزة ، والسعادة في الدنيا ، وفي الجنة ، والنعيم في الآخرة ، ألم تروا كيف يؤكد الله تبارك وتعالى هذا المعنى حينما يقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴿١١١﴾ ﴾[3].

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

(١) سورة فصلت الآية : ٣٠-٣١-٣٢ .
(٢) سورة يونس الآية : ٢٦.
(٣) سورة التوبة الآية : ١١١.

كيف يكون الحج مبرورا؟*

من حكمة الله تعالى في تشريعه لعبادة الحج أنه تولى لصيانتها من شوائب النفس ومكايد الشيطان إنشاء بيئة صالحة تهيئ للمسلم جوا من الجد والعزيمة الصادقة وتفتح قلبه لتلقي أوامر الله تعالى وتعاليم الشريعة وتوجيهات الدين في جميع شعب الحياة، ذلك لأن الحج له شروط إذا لم تتوافر في المسلم لا يستطيع أن يؤديه على وجهه الصحيح المطلوب.

أما الشرط الرئيسي الذي هو كالأساس فذلك أن يكون من يريد الحج مستطيعاً من الناحية الاجتماعية، فمثلا إذا توافرت فيه الاستطاعة المالية والصحية، ولكن ظروفه الاجتماعية لا تسمح له بترك أولاده وبناته في وسط غير إسلامي أو في وضع غير صالح يشغل باله، ويقلق خاطره بصفة مستمرة ويكدر عليه صفو العبادة والتقوى المطلوبة منه، فلا ينبغي له أن يعتبر نفسه على إعداد كامل للقيام بهذا الركن العظيم الذي يحتاج قبل كل شئ إلى زاد من التقوى، ما لم يتيسر له التفرغ لهذه الرحلة العظيمة والتزود من هذا الزاد، لأن الله سبحانه أمر الحاج بالتزود من زاد التقوى ﴿ وَتَزَوَّدُوا

* صحيفة الرائد ذوالقعدة عام ١٤٠٥هـ.

فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴿١٩٧﴾ ﴾[1] ولعل فيما شرع الله تعالى من عبادة الحج وأحاطه بسياج من التقوى واشترط لها شروط الاستطاعة إشارة إلى أن الحاج ليفتقر إلى شئ كثير من أخذ المدة اللازمة لتربية النفس قبل أن يخرج إلى بيت الله الحرام.

ولا شك أن من يخرج إلى مكة المكرمة عفوا من غير تربية مسبقة أو إعداد سابق فإنه طالما يخسر أشياء بد لا من أن يكسب شيئاً من الإيمان والعقيدة جديداً كما هو المشاهد المحسوس في كثير من العائدين من مكة البلد الأمين وبعد أداء عبادة الحج، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يشترط فرضية الحج بالاستطاعة في قوله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴿٩٧﴾ ﴾[2] والواقع أن الاستطاعة كما هي في الزاد والراحلة كذلك تتعداهما إلى تنقية القلب وتزكية النفس وتصفيتها من شوائب الدنيا وعلائق الشهوات، ترى كيف أن الله سبحانه ينهى في الآية بالإشارة الواضحة إلى أن الله غني حميد.

ولو لا أن الحاج قد أخذ العدة اللازمة من الاستطاعة بمعناه الشامل ومن الشعور بالعبادة لكان يخشى عليه الذوبان في الإغراءات والشهوات ومناظر السفر الخلابة، ولعادت الرحلة المباركة تفرجا أو نزعة عقلية أو رحلة بدنية فحسب، نظراً إلى ما

[1] سورة البقرة الآية ١٩٧.
[2] سورة آل عمران الآية ٩٧.

يجتازه الحاج خلال رحلته الطويلة من أوضاع مادية خالصة وأجواء اجتماعية ، ومدنية مختلفة ، ولقاءات إنسانية تختلف باختلاف الطبقات والتوعيات ، وكذلك وجود العائلات المختلفة ذات الاتجاهات المتعددة التي تواجهه أو يضطر إلى أن يعيش معها طيلة أيام المناسك وفي المشاعر ، ولكن الله سبحانه قيد الحج بالميقات الزمني والميقات المكاني ووضع حدا على من فرض الحج على نفسه وطلب منه أن لا يتجاوزه بأي حال لكي لا يأثم بالرفث والفسوق والجدال مثلا ، بل يحرص كل الحرص على أن يفعل الخير ويعمل بالتقوى ويصنع منه إنساناً جديداً يمثل الطاعة والعبودية والحب والإيمان بكل ما في هذه الكلمات من معان .

وبذلك يعتبر الحج مبروراً ويثاب عليه الحاج بحياة جديدة نقية من الألوان المادية والآثام الظاهرة والباطنة ، كأن أمة قد ولدت اليوم ، فقد قال رسول الله ﷺ " من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ، " وقال في حديث آخر " الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة "[1] .

❀❀❀

[1] رواه البخاري :١٧٧٣ ـ والإمام مسلم : ١٣٤٩ .

لماذا التضحية ؟*

لم يشهد التاريخ البشري على طول خطه ولن يشهد مثالا للتضحية بأعز متاع وأثمن ملك ، مثل ما شهده في إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فإن النموذج الحي الذي خلفه هذا الرجل العظيم لدليل على أن الإنسان ليس له حق فيما يملكه من نفوس وأموال بإزاء حق الله ، وأن أولاده وأعراضه ، وأمواله النفيسة كلها ملك لله تعالى ، وكلها فداء له وكلها طوع إشارته ورهن أمره .

ويمتحن الله عباده في أعز ما يملكه ، وكُلّما كان العبد أحب إلى الله وأقرب إليه كان الامتحان بقدر ذلك شديداً ، والبلاء عظيماً ، وما ذلك إلا من شدة الحب ، و إخلاص المودة ، وما ذلك إلا علامة الرضا وآية الزلفى ، ودليل الرحمة والشفقة .

ومن هنا يتمتع الحبيب بثقة محبه ، فلا يبخل ببذل مهجته و روحه في سبيله ، ولا يتلكأ في إنفاق نفسه وماله في مصلحته وتلك هي الصلة المخلصة التي يريدها الله من عباده ، لأنهم إذا تمتعوا بها عاشوا في سعادة لا سعادة مثلها ، وفي غبطة لا غبطة بعدها ، وفي طمأنينة لا طمأنينة فوقها .

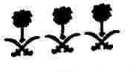
وبقدر تسلل الضعف إلى هذه الصلة تتقلل هذه النعم ، وينتقص الهدوء والسرور في الحياة ، ويتداخل الحزن والهم إلى النفس .

* صحيفة الرائد ذوالحجة ١٣٩١هـ .

والواقع الذي لا مرية فيه أن حياتنا ومجتمعنا، وبالأصح أن عالمنا الذي نعيش فيه لم يضعف إلا لضعف هذه الصلة التي يقوم عليه أساس الحب والإخلاص، وأن الحب والإخلاص يقومان على عاطفة التضحية، والتفاني، وكلما قويت هذه العاطفة صلحت الأمور، وعادت المياه إلى مجاريها، ووجدت النفس سبيلها القويم إلى الله، و الحق والعدالة.

عاطفة التضحية تنبع من الإيمان الخالص، وعاطفة التفاني تصدر من الثقة الكاملة بالرب تعالى، فالإيمان والثقة هما المصدران الثران لكل خير، ولكل سعادة، عليهما يتوقف صلاح الأحوال، وخير العباد، وبهما ينتشر السلام والأمن بين أعضاء البشر.

يمتحن الله عباده في تضحياتهم و في إيمانهم وحنانهم، وبألوان من البلايا و الاختبارات، فإذا ما ثبت العبد في المحنة، واستقام على الطريق، وصبر على الرزئية، أفاض بذلك على العالم نوراً من إيمان ويقين، ونفخ في الجسد الميت روحاً من حياة و هدوء، وفتح على القلوب الخامدة كُوَّةً من رحمة ومغفرة، ولعل القرآن الكريم يشير إلى هذا المعنى في آيته: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ ﴾[1]



[1] سورة البقرة الآية: ١٥٥ ـ ١٥٦.

فصل رائع من رواية الإيمان والحنان*

إن الحج فصل رائع من الإيمان والحنان، تتمثل فيه العبودية بأتم معانيها، ويتبين فيه الإخلاص والتفاني في سبيل الغاية المثلى بأكمل مظاهرهما، وتتجرد فيه الحياة عن جميع الأشكال الصناعية والمظاهر الجوفاء، وتذوب فيه جميع الفروق المصطنعة والحدود القائمة على أساس اللون والجنس، مما لا يقره منطق الشريعة والإيمان، يشهد ذلك ماثلا أمام عينه كل من سعد بالحج، وحضر هذا المشهد الإسلامي العظيم، فقد خلع كل رجل ممن شهد الموسم لباسه المخيط الفاخر، وارتدى ملابس الإحرام البيض وتخلى عن جميع ألوان الفخفخة والثراء و مظاهر الكبر والرياء وأشكال الأبهة والغطرسة، وتواضع لله بكل ما في الكلمة من معنى.

يمتاز الحج عن سائر العبادات بكونه موسماً لاجتماع إسلامي ـ روحي وثقافي ـ يضم أعضاء من كل قطر يسكنه المسلمون ويأتون إليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويجنوا ثماره من الروح والمادة على السواء، ويكونه عيداً يتسم بطابع بارز للتضحية والفداء، فليس مسلم يملك نصاباً من المال

* صحيفة الرائد ٥/ذوالقعدة ١٣٩٣هـ.

إلا ويقدم تضحيته يوم العيد بذبح حيوان وجيه مما يؤكل لحمه ، ويكون ذلك رمزاً لما سنه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من سنة الذبح امتثالا لما أمر الله به .

فليس شعث الحاج وغبره وسعيه وطوافه ، واتخاذه سنة الهائمين العاشقين وتجرده عن جميع مظاهره وأشكاله الصناعية ، ووقوفه في جنب الفقير إذا كان غنياً ، وفي جانب الوضيع إذا كان شريفاً وليس انتقاله من مكان إلى مكان ، ومن واد إلى واد ، ومن جبل إلى جبل ، ومن ميدان إلى ميدان ، وليست أضحيته ودعاؤه وصلاته ورميه ، وليس التزامه بباب الكعبة ودورانه حول البيت وليس رمله وإفاضته وليس استلامه وتضرعه وخشيته وخشوعه ليس كل ذلك إلا صورة صادقة لما تنطوي عليه حياة المؤمن الحاج من استسلام وخضوع وتفانٍ في سبيل الحق .

جاء موسم الحج فتلاشت جميع الفروق والميزات التي أقامها البشر بين إنسان وإنسان ، وانذابت الحواجز التي اصطنعها طوائف من الناس بين أمة وأمة ، ووطن ووطن ، ولون وجنس ، وإذا بالأجناس والألوان كلها وإذا بهذا السيل العظيم من البشر بأجمعه يتحول إلى لون واحد وجسد واحد ، فيهم العرب والعجم ، والبيض والسود ، وفيهم الملوك والرعايا ، والأغنياء والفقراء ، والمترفون والمساكين ، وفيهم الرجل والمرأة ، والرجال كلهم في لباس واحد وفي صف واحد ، لا يتفوق واحد منهم

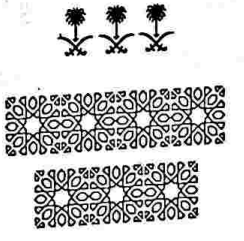
الآخر في شئ ، وتتجلى الوحدة الإسلامية في أروع أشكالها وأعظم معانيها .

وتلك هي الوحدة التي يتوخاها الإسلام من تعاليمه . الوحدة الخالصة من جميع شوائب التمايز والتفاخر ، القائمة على التسابق في مجال البر والخير ، وإن وحدة قامت على أساس كمثل هذا يستحق منا ومن جميع المسلمين في العالم أن يعيروها كل اهتمام ، ويهتموا بها في كل حين ، وبعضوا عليها بالنواجذ ، ليكون للمسلمين في أنحاء العالم الإسلامي صوت محترم ومكانة فريدة ، وليتمتع أعضاء هذا المجتمع الكبير بانسجام تام في جميع الشئون الدينية والدنيوية .

الحج عامل قوي بناء يعيد المسلمين على اختلاف أوطانهم وأجناسهم وتباعد ديارهم ولغاتهم أمة واحدة تمثل الإسلام بأسمى معانيه ، وتدعم السلام وتقود الموكب البشري إلى ما فيه خير الدنيا ونفع الآخرة وصلاح المجتمع والعالم كله .

إن للحج منافع لا تحصى ما دام بناؤه الإخلاص ، وزاده التقوى ، فقد قال رسول الله ﷺ : من حج فلم يرفث (والرفث ، القول أو الفعل القبيح) ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ولا شك أن الحاج بعد ما عاش في جو من السعي والجهاد ، وقضى وقتاً من عمره بمعزل عن السيئات والذنوب ، مقبلا على

شأنه في أداء المناسك ، إنما يرجع إلى حياة طاهرة وقلب مخلص ويشهد من منافع الآجل والعاجل قدراً كبيراً ، ويغتنم خيراً كثيرا ، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالأذان العام بالحج فقال : ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]



[1] سورة الحج الآية : ٢٧ ـ ٢٨ .

لبيك اللهم لبيك*

تلك النغمة الحلوة الجميلة والموسيقى العذبة التي تملأ أجواء أم القرى وما حولها لمدة من الزمان ، إنما هي إعلان من الناس أنهم حاضرون على عتبة الله ، وفاعلون ما أمرهم به ، وأنهم معتزون فخورون بما أكرمهم الله به من سعادة الوصول إلى بيته ، والطواف حوله ، فقد عاشوا عمراً من الدهر يتمنون ويحنون ويشتاقون ، فنالوا مرامهم ، وبلغوا أمنيتهم ، ورأوا الكعبة والمسجد الحرام ، والصفا والمروة ، ومنى وعرفات ، والمشعر الحرام ، ورأوا أرض الهيام والحنان ، وتمثلت لهم أدوار الحب والهيمان ، وقصة العبودية الكاملة والتفاني في ذات الله تعالى ، فكيف لا يفرحون ، ولا يلبون ، ولماذا لا يطوفون ولا يسعون ؟ ولماذا لا يقلدون من سبقهم من المؤمنين من الأنبياء والصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين ، الذين أدوا ضريبة الحب والطاعة بواد غير ذي ذرع .

ليس هذا الاعتراف بالعبودية ، وهذه الحركة والنشاط من الخنوع والخضوع ، والسعي والطواف ، والرمي والنحر والدعاء والصلاة ، والانتقال من مكان إلى مكان ، والعيش في مظهر

* صحيفة الرائد ١٩/٤ ذوالحجة ١٣٩٧هـ .

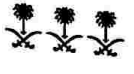
متواضع ، وفي خشونة وخشوع ، ليس كل هذا إلا رمزا للاستسلام والطاعة ، ودليلا على أن العبد خاضع في كل ما يملكه ويتمتع به من نفس ومال وأهل وأولاد لإرادة الله وأوامره ، كما أن ذلك يبرهن على الوحدة التي تجمع الجميع على هدف واحد ، وفي مكان واحد ، في زمن واحد ، بلون واحد وعمل واحد ، رغم تباين الأجناس والأوطان واختلاف اللغات والألوان ، ورغم تباعد الطبائع والقوميات والقبائل .

ولكن الشئ الذي يجمع هذه الجماهير من الناس، وهذه الملايين من البشر على نقطة واحدة هو العبودية التي تتضاءل أمامها كل الفروق ، وتذوب إزاءها كل الخلافات وتتلاشى حيالها كل الحدود والقيود ، فلا يبقى إلا شئ واحد وهو الامتثال والطاعة ، وبالامتثال والطاعة تنشأ المساواة في وجهات النظر وفي المناهج والأساليب ، وبه وحده تتمثل العدالة الاجتماعية في المجتمع البشرى ، وتنبت فيه الفضائل الخلقية ، وتسري فيه روح التقوى والورع ، وروح العدل والحب ، وروح الأخوة والتعاون .

وترمز أعمال الحج إلى أن حياة المسلم ليست قولا بلا عمل ، وهيكلا بغير روح ، وقلبا من غير دم ، بل إنها قول وعمل ، وجسم وروح ، وحركة وسكون ، وهدوء ونشاط ، وفولاذ وحرير ، ودنيا ودين ، وليست طاعة عمياء ، ولا جريا وراء الأصوات والهتافات من غير فهم لمعناها ، ولا شهادة مجردة ولا نشاطا من غير هدف ، ولا أذانا من غير صلاة ، ولا عبادة من غير

إخلاص ، إنما هي الروح والجسم ولكل حاجات ومطالب ، ودنيا ودين ولكل منهما حدود وواجبات .

ومن هنا فإن الحج يعلمنا الاتزان بين كل جانب من جوانب الدين والدنيا ، إنه يوجهنا إلى أعدل طريق وأقوم هدي ، وأحسن أسوة في ذلك ، ويربي في نفوسنا عواطف الحب والإيمان ، ودوافع الجد والعمل، والكفاح والثبات في كل مجال من مجالات الحياة ، ويوطد علاقتنا بالله تبارك وتعالى الذي هو أولى بنا في كل شئ ، وأحق بنا في كل حين ، إنه يؤكد أنه لا خير في الحياة ولا لذة في العيش مالم يربط الإنسان مصيره به ، ومالم يضح بنفسه وماله في سبيله ، ومالم يضع أهله وأولاده أمام إرادته ، يأمر في كل ذلك بما يشاء ، ويحكم بما يشاء ، وهو مغتبط مسرور في كل حال ، وراض مطمئن بكل حكم ، وهنالك يصدق العبد في الاختبار ويخرج من غمار الامتحان ناجحا مسرورا ، ويردد قول الرسول صلى الله عليه وسلم" من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " .



جائزتان ١*

سيعيد المسلمون في ظرف أيام قادمة تاريخاً دينياً حافلاً بالنشاط والحركة ، تاريخ الحج الذي سنه أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وأرسى قواعده محمدﷺ ، ذلك الحج الذي لم يعرف له التاريخ الإنساني مثيلا في أي ديانة ولا أمة ، حج البيت الحرام الذي سماه الله بيته ، وجعل الطواف حوله من أقرب القربات ، وأعظم العبادات .

إنه لمن أصدق آيات الحب والهيام ، ومن أروع قصص التضحية والفداء على الإطلاق ، قام عبد من عباد الله ضعيف ، في أرض قفر ذات جبال جرداء ، في واد غير ذى زرع ، لا نبات فيه ولا مياه ، فمثل على مسرح التاريخ الإنساني دورا عظيما للامتثال والخضوع أمام إرادة الله ، وأثبت أنه لا يملك من أمره شيئا ، لا من ماله ونفسه ، ولا من ولده وزوجته ، وإنما كل ذلك لله، والله لا يضيع من خر على عتبته ، والله لا يترك نصرة من استسلم له ، ولا يهمل شأن من فوض إليه كل ملكه ، وتوكل عليه ، ورضي بكل ما قسم له وقدر ، بل إنه يرفعه ويعزه ، ويخلد شأنه ، ويحول له الجبال الجرداء حصنا حصينا ، وركنا منيعا ،

* صحيفة الرائد ٢٥/ ذو القعدة عام ١٣٩٢هـ.

ويجعل له الوادي المخوف قطبا يدور حوله العالم كله ، ويفجر له من الرمال الوعساء عيونا ، ويجبي إليه ثمرات كل شئ من جميع أنحاء الدنيا ، وكل ذلك كقيمة زهيدة للحب الخالص الذي كان لله ، والله وحده .

إن هذه المناسك من طواف ، وسعي ورمي ، ونحر ، كلها ثمن لما أبداه عبده الضعيف من خالص حبه ، وهي جائزة لما ظهر منه من استسلام لا نظير له ، وتوكل واعتماد كاملين لا مثيل لهما في التاريخ الإنساني كله ، ومن هناك كان دينه الإسلام الذي ختم الله عليه بنبيه الخاتم محمدﷺ ، وكان المسلمون ، أمة ممن قضى الله ببقائهم في هذه الأرض إلى يوم القيامة .

فالإسلام والمسلمون كلاهما جائزتان أكرم الله بهما سيدنا إبراهيم عليه السلام وخلدهما عن طريق نبيه محمد عليه السلام : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (١)

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾ ﴾ (٢)

❀❀❀

(١) سورة الأنبياء الآية : ٥١ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ١٩ .

من يتولى هذه المسئولية ؟*

حياة المؤمن حافلة بروائع المواقف ، وعجائب القصص مما يتصل بصميم مطالب الإيمان ، ورغماً من المنعرجات والطرائق الملتوية التي تمر بها حياة الإنسان وتجتازها يستطيع المؤمن أن يتقرب إلى ربه ويتوصل إلى رضاه بطريق الصالح من الأعمال التي قرنها الله سبحانه بالإيمان ، وطالبها من عباده المؤمنين في كثير من آيات القرآن الكريم التي نتلوها بوجه دائم .

إلا ان الشيء المهم الذي يركز عليه الله تبارك وتعالى هو دافع الإيثار والتضحية الذي يدفع صاحبه إلى ترخيص النفس والمال في سبيل الله وإنفاق المحبوب المضنون الأثير في ذات الله تعالى ، ذلك الذي يضمن السعادة في الدنيا ويتكفل بالفوز بالجنة والنعيم في الآخرة ، ولقد صرّح الله سبحانه وتعالى بهذه الحقيقة الإيمانية في كتابه العظيم مرات عديدة بأساليب مختلفة ، فقد قال في سورة التوبة مدوياً : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ

* صحيفة الرائد ١٣/ ذوالحجة ١٤٠٢هـ.

هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾[1] وفي سورة الصف : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾[2]

فإن المعاني التي نستوحيها من هذه الآيات البينات هي معاني التضحية بالنفس والمال وإنفاقهما في سبيل الله ، وهي المعاني التي إذا تحلت بها حياة الإنسان ، اقترنت بالسعادة والرفاهية في الدنيا وتطلعت إلى حياة العز والنعيم الخالدة التي هيأها الله تعالى لعباده المؤمنين في الآخرة .

ومن ثم كان للتضحية أعظم دور وأروعه في شحن الحياة بدوافع الحب العالية لله ولرسوله وعواطف الاستهانة بالنفس والمال في سبيل الجنة العالية التي : ﴿ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾[3]

بهذه الدوافع الخيرة يستطيع المؤمن أن يقضي على الرذائل الخلقية التي حلت محل الفضائل ، كلّما فسد المجتمع تضاءلت

(١) سورة التوبة الآية : ١١١ .
(٢) سورة الصف الآية : ١٠ـ ١٢ .
(٣) سورة الغاشية الآية : ١١ ـ ١٦ .

القيم الروحية والأقدار المعنوية في النفوس ، وبها يتمكن من محاربة السيئات وألوان من الفساد الاداري والخلقي الذي يغطي الحياة المعاصرة اليوم في كل مكان ، والواقع أن مانراه اليوم في جميع الأوساط على اختلاف نوعيتها ، من إسفاف خلقي ، واعتداء على الأرواح والأموال ، وعلى الأعراض والحرمات إنما هو نتيجة لجفاف ينبوع التضحية والإيثار في نفس الإنسان .

ترى أن الإنسان تحول اليوم إلى أكثر مما ينطبق على الحيوانات المفترسة والضواري ، من صفات ، إنه يستطيع أن يتفرج على جثث المظلومين وأشلائهم ودمائهم ، ويتبجح بما إذا تمكن من بلوغه إلى أعلى قمة من القسوة والبربرية مع الأبرياء والضعفاء وبما إذا مزق صبياً أو امرأة أو شيخاً بسلاحه المدمر ، ورأى أن النار قد أكلت جسمه بأقل من لحظة وحوله إلى رماد .

لا رداع يخز الضمير ، ولا قانون يأخذ المجرم ، وهل ينفع الضمير والقانون فيما إذا تجرد المجتمع كله عن الضمير وعاد الواضعون للقانون مجرمين وقساة ، فأنى للقانون أن يعمل عمله ، وللضمير أن يحول دون الانحرافات والإجرامات .

أليس كل ذلك نتيجة لفقدان الحس الإنساني ، والوعي الاجتماعي الصحيح ، ولفقدان هذا الجزء المهم من الشعور يفقد الإنسان جوهرة الإيمان الذي يفجر في صاحبه طاقات خبيئة من الفضائل والمكارم ، ويحلّيه بالدوافع الخيرة من التضحية والإيثار

والتعاون والمواساة والحب والإنفاق والإحسان ، وما إلى ذلك من فضائل يثيرها الإيمان في نفوس المؤمنين ، الذين وصفهم الله بأعلى الصفات ، وأحب الخصائص لديه .

إن عالمنا اليوم يترقب من ينقذه من أوحال الرذائل التي ساخ فيها إلى الآذان ، وإن المؤمنين هم الذين يتولون هذه المسؤلية ويرفعونه من الحضيض الأسفل الذي التصق به إلى علو الرفعة وأوج السعادة الذي ينتظره .

لكن كيف يتحقق ذلك ومتى أيها المؤمنون ؟!

﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (١)

(١) سورة يونس الآية : ٦٢ـ ٦٣ـ ٦٤ .

لله ، لا للنفس*

كلما استهل شهر ذي الحجة الحرام تمثلت أمام العيون ذكريات كثيرة ، ذكريات الحب والهيام ، والخضوع والاستسلام ، وذكريات المشاهد في أم القرى ومنى وعرفة وبيت الله الحرام ، وذكريات التضحية والفداء ومحاربة النفس والشيطان ، كل هذه الذكريات تتصل بعبد سمَّاه الله إبراهيم واتخذه خليلا وحبيباً ، بعد ما نجح في الامتحان ، وثبت على جادة الحق والإيمان ، في أحرج ساعة وأدق فترة من حياته .

وخلد الله تعالى ذكريات الحبيب الخليل ، وجعلها من مشاعر الحب والإخلاص ، ومشاهد الامتثال والهيمان ، ففرض حج البيت على من استطاع إليه سبيلا ، وشرع التضحية لمن يملك نصاب المال في اليوم العاشر من ذى الحجة ، وجعله عيداً للمسلمين ، ذلك اليوم الذي يفرح فيه المسلمون بإراقة دماء الأضاحي في سبيل الله ، وبما وفقوا إليه من تقديم نذور الدم الطاهر، والروح الطيبة إلى ربهم رجاء أن يتقبلهما منهم ، وأن لا يجعلهم أشقياء في قبول دموعهم التي أفاضوها ، ودمائهم التي أراقوها إرضاء لربهم ، وإنجازاً لما قد وعدوه من نصرته ، يوم

* صحيفة الرائد ٢/ذوالحجة عام ١٣٩٤هـ.

دخلوا في رحاب دينه ، والتجأوا إلى حظيرة رحمته ، وسمعوه يقول: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [1]

وحقا ثبَّت الله أقدامهم ، وأكرمهم بحبه ونصرته ، كلما ضاقت بهم الحال وأحاطت بهم الخطوب وأنقذتهم من كل مأزق دماؤهم التي قد أهراقوا في سبيل الله ، وأعمالهم التي قاموا بها امتثالا لأمر الله ، أولئك أصحاب اليمين ، أصحاب الطاعة والحب لله ، وأعداء النفس وابليس .

أما أصحاب الشمال ، أصحاب الأهواء وأصدقاء الشيطان ، فأولئك هم الذين لم ترق قلوبهم لحب الله ، ولم تبتل عيونهم من خشية الله ، ولم تهرق دماؤهم في سبيل الله . (لا جعلنا الله منهم ، ولا من أمثالهم) .

إن الدموع والدماء التي تفيض في سبيل الله وفي حب الله تعالى هي في الحقيقة تلك القوة التي يستعين بها المؤمن في أداء واجبه ، وهي التي يستمد منها روحاً في كل مجال من مجالات الحياة ، وفي ضوئها يسير نحو غايته المثلى ، عالي الرأس ، قوي القلب ، آمناً مطمئناً ، لا خوف عليه ولا هو يحزن ، وبها يدرك لذة الحب لله ، ويذوق طعم الإيمان بالله ، وبها يتضح عليه هدي نبيه ﷺ ، ويتيسر له اتباع سيرته ، والتخلق بالأخلاق الفاضلة التي جاء بها من الله نوراً وكتاباً مبيناً .

[1] سورة محمد الآية : ٧ .

فلنعرف ـ أيها القارئ الكريم ـ لذة هذه الدموع التي تفيض من خشية الله ، وقيمة الدماء التي تراق في سبيل الله ، فمن عرفهما عرف أنهما لله وحده ، ولا حظ فيهما لأهواء النفس البتة .

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [1]

[1] سورة الأنعام الآية : ١٦٢ ـ ١٦٣ .

لبيك اللهم لبيك*

" لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك" .

هذه هي الكلمات التي تملأ أجواء أم القرى مرة في كل سنة ، وترتج بها مكة بسهولها وجبالها حينما يقترب موسم الحج وتصل إليها مواكب الحجيج وقوافل الهائمين من كل فج وصوب ، وهى كلمات تفيض بنغمة حلوة وموسيقى عذبة تتجلى فيها روح الحب والهيمان ولذة الإيمان والحنان ، يعلن بها الحبيب هيامه ، ويجهر بها وصوله إلى البلد الأمين ، وهو ينادي بوحدانية الله سبحانه وتعالى مسارعاً بخطوات فسيحة إلى بيته العتيق لطاعة مالك الملك ، وصاحب الحمد والنعمة .

إنه يبث بهذه الكلمات شوقا أكنه في قلبه من زمان ، وحبا انطوت عليه نفسه من مدة ، وكاد يتحقق ما أضمره في قلبه من أشواق وأحلام فبدأ يدعو ربه دعاء الهائمين ، ويثني عليه ثناء المحبين العاشقين ، ولا يتمالك نفسه من شدة الفرح الذي غمر قلبه مما أكرمه الله به وأنعم عليه ، وقد قرت عينه بزيارة ذلك

* صحيفة الرائد ٢٣ ذوالقعدة و ٨ ذوالحجة ١٣٩٦هـ .

البلد الذي طالما تمناه ، وبيته العتيق الذي أحبه ، ورؤية مولد الرسول ﷺ والطليعة الأولى من صحابته رضوان الله عليهم الذي وضع فيه أول بيت للناس ، مباركا وهدى للعالمين .

وحول هذا البيت تدور حياة المسلم في الدنيا ، فهو في صلاته يتجه إليه ويعتقده قبلة الله ، وقبلة الله ليس فوقها شيئ ، ولذلك يمتلئ قلبه بمهابة البيت وعظمته ، وقدسية مكانه ، وهو يجله ويرى في إجلال البيت سعادة لا يراها في غيره ، وهو قد يرجع إلى التاريخ الماضي يوم أسس هذا البيت في كل مكان قفر ، وواد غير زرع فيرى فيه صورة كلها جد وجهاد ، وكلها حب وهيام ، وتضحية وفداء ، صورة المؤمن الصادق في دعواه ، الباحث عن ضالته في وحشة الصحراء وظلمة الليل ، غير مبال بما قد يصيبه من الضر والشر ويصيب أهله ومولوده الصغير من الألم والوحشة ما يكفي للقضاء عليهم ، وإرخاء الستر على قصة الحياة الرائعة التي بدأوها .

ولذلك فإن الحج فصل رائع لرواية الإيمان والحنان ، تتمثل فيه العبودية بأتم معانيها ، ويتبين فيه الإخلاص والتفاني في سبيل الغاية المثلى بأكمل مظاهرهما ، وتتجرد فيه الحياة عن جميع الأشكال الصناعية والمظاهر الجوفاء ، وتذوب فيه جميع الفروق المصطنعة والحواجز القائمة على أساس اللون والجنس ، مما لا يقره منطق الشريعة والإيمان ، ويشهده ماثلا أمام عينه كل من

سعد بالحج وحضر هذا الملتقى الإسلامي العظيم ، فقد خلع كل رجل ممن شهد الموسم لباسه المخيط الفاخر ، وارتدى ملابس الإحرام البيض ، وتخلى عن جميع ألوان الفخفخة والثراء ومظاهر الكبر والرياء وأشكال الأبهة والغطرسة ، وتواضع لله بكل ما في الكلمة من معنى .

يمتاز الحج عن سائر العبادات بكونه موسما لاجتماع إسلامي عظيم - روحي وثقافي - يضم أعضاء من كل قطر يسكنه المسلمون ، يأتون إليه من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويجنوا ثماره من الروح والمادة على السواء ، وبكونه عبدا يتسم بطابع بازر للتضحية والفداء ، فليس مسلم يملك نصاباً من المال إلا ويقدم تضحيته يوم العيد بذبح حيوان وجيه مما يؤكل لحمه ، ويكون ذلك رمزاً لما سنه سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام من سنة الذبح امتثالا لما أمر الله به .

فليس شعث الحاج وغبره ، وسعيه وطوافه ، واتخاذه سنة الهائمين العاشقين وتجرده عن جميع مظاهره وأشكاله الصناعية ، ووقوفه في جنب الفقير إذا كان غنياً ، وفي جانب البوضيع إذا كان شريفاً ، وليس انتقاله من مكان إلى مكان ، ومن واد إلى واد ، ومن جبل إلى جبل ومن ميدان إلى ميدان ، وليست أضحيته ودعاؤه وصلاته ورميه ، وليس التزامه بباب الكعبة ، ودروانه حول البيت وليس رمله وإفاضته وليس

استلامه وتضرعه وخشيته وخشوعه ، ليس كل ذلك إلا صورة صادقة لما تنطوي عليه حياة المؤمن الحاج من استسلام وخضوع وتفان في سبيل الحق .

جاء موسم الحج فتلاشت جميع الفروق والميزات التي أقامها البشر بين إنسان وإنسان ، وانذابت الحواجز التي اصطنعها طوائف من الناس بين أمة وأمة ، ووطن ووطن ، ولون وجنس ، وإذا بالأجناس والألوان كلها ، وإذا بهذا السيل العظيم من البشر بأجمعه يتحول إلى لون واحد وجسد واحد ، فيهم العرب والعجم ، والبيض والسود ، وفيهم الملوك والرعايا ، والأغنياء والفقراء ، والمترفون والمساكين ، وفيهم الرجل والمرأة ، والرجال كلهم في لباس واحد ، وفي صف واحد ، لا يتفوق واحد منهم الآخر في شئ ، وتتجلى الوحدة الإسلامية في أروع أشكالها وأعظم معانيها .

وتلك هي الوحدة التي يتوخاها الإسلام من تعاليمه ، الوحدة الخالصة من جميع شوائب التمايز والتفاخر ، القائمة على التسابق في مجال البر والخير ، و إن وحدة قامت على أساس كمثل هذا يستحق منا ومن جميع المسلمين في العالم أن يغيروها كل اهتمام ، ويهتموا بها في كل حين ، ويعضوا عليها بالنواجذ ، ليكون للمسلمين في أنحاء العالم الإسلامي صوت محترم ، ومكانة فريدة ، وليتمتع أعضاء هذا المجتمع الكبير بانسجام تام في جميع الشؤن الدينية والدنيوية .

الحج عامل قوي بناء يعيد المسلمين على اختلاف أوطانهم وأجناسهم وتباعد ديارهم ولغاتهم أمة واحدة تمثل الإسلام بأسمى معانيه ، وتدعم السلام ، وتقود الموكب البشري إلى ما فيه خير الدنيا ونفع الآخرة ، وصلاح المجتمع والعالم كله .

إن للحج منافع لاتحصى مادام بناؤه الإخلاص ، وزاده التقوى ، فقد قالِ رسول الله ﷺ " من حج فلم يرفث (والرفث ، القول أو الفعل القبيح) ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه " ولا شك أن الحاج بعد ما عاش في جو من السعي والجهاد ، وقضى وقتاً من عمره بمعزل عن السيئات والذنوب ، مقبلا على شأنه في أداء المناسك ، إنما يرجع إلى حياة طاهرة ، وقلب مخلص ويشهد من منافع الآجل والعاجل قدرا كبيراً ، ويغتنم خيراً كثيراً ، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى نبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالأذان العام بالحج فقال :

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ (١)

(١) سورة الحج الآية : ٢٧ ـ ٢٨ .

الأضحية وقيمتها في حياتنا*

اليوم العاشر من ذي الحجة يوم مشهود للأمة الإسلامية، يقوم فيه المسلمون بإحياء سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ونسميها سنة الأضحية، وهي في الواقع أثر من آثار ذلك الفتح العظيم والنصر المؤيد بالإخلاص والإيمان الذي توارثه هذه الأمة عن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإعلان أن حياة المؤمن كلها تقوم على التضحية والإيثار، وهو يفتقر في كل لحظة من حياته إلى الجد المتواصل والسعي المستمر والجهد الدائم، وإلى دافع الإيثار والتضحية، بروح نابضة بالإيمان لا يزال يستمد منها المؤمن الحياة والدوام، وعليها يقوم أساس الحياة الإسلامية الأول، فالحياة الإنسانية لا متعة فيها ولا روح بدونها، ففي القرآن الكريم حيث جاء ذكر العذاب للكافرين، قد بين علة ذلك العذاب بقوله: إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ (٢) فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ (٣)

* صحيفة الرائد النصف الشهرية الصادرة من ندوة العلماء، لكناؤ، الهند

(٢) سورة الحاقة الآية: ٣٣-٣٤.

(٣) سورة المدثر الآية: ٤٠-٤١-٤٢-٤٣-٤٤.

ولاشك في أن إطعام المساكين تضحية أيضا، وقد أنزل في الصحابة رضي الله عنهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿٩﴾﴾ (١)

حياة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كلها مرآة للتضحيات الدائمة التي تتراءى فيها تلك النماذج للفداء والإخلاص، والإيثار، فجزاه الله ذلك بخلته ولقبه بخليل الله، وأكرم أسرته بشرف النبوة التي استمرت في ذريته، إلى أن جاء النبي محمد رسول الله وخاتم الأنبياء والمرسلين.

ومن مآثره الحية الخالدة، بيت الله الذي جعله قبلة للمسلمين في العام كله، وكتب حجه على من استطاع إليه سبيلا إلى يوم القيامة، وفرض على الحجاج كل عام في موسم الحجاج تقليد ما قام به من فداء واستماتة وتضحية لله الواحد الصمد، وقامت السنة الإبراهيمية للأبد، فقررت القسطاس المستقيم بين الهداية والضلالة، بين الحق والباطل.

هذا هو مقياس العدل المستقيم الذي لم يزل يعلن منذ زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن هزيمة الكفر والشرك، وعبادة الأصنام والأوثان وعدم صلاحية المادة، ومن مآثر هذا القسطاس المستقيم؛ وميزاته الأساسية، هو الدافع الذي عاش في قلب إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حتى أكرمه الله بخلته، ووفقه إلى بناء الكعبة المشرفة.

(١) سورة الحشر الآية: ٩.

وقد ثار إبراهيم عليه الصلاة والسلام على بيئته التي نشأ فيها ونما، وعلى كل ما يشوب بعبادة غير الله تعالى، وعلى كل ما يتسم بوضع الجبين أمام غيره، والاعتماد عليه وما رضي للحظة أن يرى الناس أنهم قد تل جبينهم أمام الطاغوت، وأن الأصنام تنحت وتباع، إنما كان هذا الدافع الكبير للتضحية والفداء الذي جعله يتبرأ من والده والانتماء إلى عزة أسرته وعظمتها، ويبتعد عن كل راحة ورفاهية، ولم يبال بالنتائج العاجلة المريرة بتاتا، وإلقاه قومه في النار، ولكنهم ما استطاعوا أن يلينوه ويزعزعوا فيه دافع التضحية والفداء.

الواقع أن عيدالأضحى يوم تذكير لتضحية إبراهيم عليه الصلاة والسلام التاريخي، وإعادة عصره، ورمز للمسلمين لنيل رضا الله، أنهم لن ينالوا السعادة والفوز والطمأنينة في حياتهم إلا بالتضحية وببدل المحبوب المضنون: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴿٩٢﴾﴾ [1]

إذا تدبرنا قليلا اتضح لنا أن حياة المسلم حافلة بالتضحيات الدائمة ودوافع الإيثار المستمر حتى آخر لحظة من حياته، فحينما يصاب بالانسحاب عن مكانته، والفرار عن مسؤليته، وعن مقتضيات التضحية أصيب بمصائب وآلام، ويواجه مشاكل وعقبات تساعد تنغيص حياته بالمرارة والشقاء بإذن الفلاح

[1] سورة آل عمران الآية: ٩٢.

والفوز في الإيثار والفداء، والأمم التي أدركت هذا السرافلحت في كل مرحلة، وسعدت في أشد حالة، وإن ما حدث من جلائل الأمور وعظائم الأعمال في تاريخ كرام الناس والسعداء منهم، إنما هو رهين لهذا الدافع العظيم للإيثار والفداء، ولكن لما استولت على (الأفراد والأقوام) الأثرة والانتهازية والاستغلال، وعم فيهم تصور الانتفاع بتوجيه الخسارة إلى الآخرين، راج في المجتمع البشري قانون الغابة، وقامت الحياة على شفا حفرة من النار، وارتفع الخلق الإنساني، واشتعلت جذوة البغض والعداوة في أنحاء العالم كله، وسالت الحياة في سبيل الشكوك والشبهات، حتى لم يبق سوى الأهواء النفسانية والحرص والشره والأمراض الخلقية المختلفة التي لا تجدر بالذكر، وتاريخ العرب الجاهلي، وقصص عصور أوربا الحالكة تشهد على هذا الواقع بكل وضوح، ولم يقدر لأوربا معرفة هذه الحقيقة العظيمة مع أنها طوت منازل الرقي والتقدم بخطى حثيثة، وقامت باختراعات كبيرة وتقدمت في كل مضمار من مضامير الحياة حتى أدهشت العالم إلا أنها حرمت تلك النعمة الكبرى التي تتوافر باتصال الإنسان بالإنسان، وارتباط القلب بالقلب، إنها عرفت كل شئ، ولكنها لم تستطع أن تربي في النفس دوافع الخير والإيثار والبر والتضحية، ولا أن تدرك أن في الإنسان عالما آخر للقلب والروح يفوق بشكله الظاهر ووجاهته المادية على كل شئ آخر، ومن هنالك ينبع عين السعادة والسيرة الحقيقية، وينبوع السكون

والطمأنينة الدائمة الخالدة ، وتشيع في العام كله ، ولم تقف على سره : ﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾[1] والأرواح جنود مجندة ، هذا هو السبب الكبير لشقاء هؤلاء وضلالتهم .

وقد أظلت ظلال شقاء أوربا الأمم الشرقية حتى زعمتها قائدة لها ورائدة ، في مجال المادة والاكتشافات العلمية إلى حد كبير ، فأنتج ذلك أن الشرق أيضا صار فريسة للانحطاط الخلقي والروحي وتسربت إليه السيئات ومواضع الضعف كلها ، وقد رحب بها ترحيبا حتى ظن في اتباعها ، وتقليدها فخرا له ، فالغرب كان مولعا بالمادة ولكن الشرق قد فاتته المادة والروحية كلتاهما فما ترقى الشرق في المادة وما تطور فيها ، بل صار عبداً للغرب فيها وفقد مكانه العالي والروحي .

هذه هي الحقيقة المريرة التي لم نزل نشاهدها ولكن لم ينبعث فينا دافع استرداد مكانتنا المرموقة وغايتنا المنشودة ، وعظمتنا الماضية من جديد ، إنما السبب الأصيل هو أن سحرة أوربا ومتبعي المادة الآخرين قد أثروا علينا ولم نعد نشعر بشعور الضعف والهوان ، ولا نزال نتسفل إلى الحضيض الأسفل .

فحينما تكون الذاتية والانتهازية نصب أعيننا يفلس ذلك المجتمع من جميع النواحي ، فالمجتمع الصالح يقوم على أساس الأخوة وبناء المساواة والمواساة ، وحياة العدل تقوم على الإيثار والتضحية.

[1] سورة الرعد الآية : ٢٨ .

بعض مظاهر العيد واحتفالاته في الهند *

منذ دخول العشرة الأخيرة من رمضان يستيقظ في نفوس أهل الهند شعور بالعيد ويتقوى هذا الشعور على مر الأيام والساعات ، وما أن تنصف هذه العشرة الأخيرة إلا ويغشى المجتمع كله جو من الفرح والسرور ، ونشاط يدركه كل صغير وكبير ورجل وامرأة في نفسه ، يبدأ الشباب والأطفال بصفة خاصة إعداد ما يلزمهم من أفخر الملابس وأحدث الأزياء وأجمل الموضات من كل زينة لكي يتزينوا بها يوم العيد .

ويبدو أن دنيا الشباب والشيوخ الرجال والنساء والأطفال كلهم امتلأت حركة ونشاطاً بالفرحة التي استقبلهم صباح عيد الفطر ، والبهجة التي تشملهم ليلة العيد ونهاره ، فالأسواق كلها عامرة بأدوات الزينة والحلويات الشهية وبالمواد الغذائية وما يتخذه الناس من أنواع التقاليد في الأكلات التقليدية والأغذية اللذيذة .

ومن أبرز ما يلمسه الإنسان قبل العيد بأيام أن الناس يهتمون شراء كميات من أنواع الشعيريات التي أصبحت للعيد

* صحيفة الرائد النصف الشهرية الصادرة من ندوة العلماء ، لكناؤ ، الهند .

موضة وأكلة ، فكلما كانت الشعيرية ممتازة جيدة ، كلما كانت علامة للثراء والفخفخة وارتفاع مستوى المعيشة ، وقد ارتبطت الشعيرية بالعيد إلى أن صارت له اسما آخر ، وتكاد لا تفارق ذكر العيد في أي مناسبة ، فالرجل عندما يدعو أصحابه إلى أكلة العيد يقدم إليهم الشعيرية ، أو عندما يتزاورون بعضهم بعضاً يتبادلون أكل الشعيرية ، ومهما كان المرء غنياً أو فقيراً لا يستغني عن شعيرية العيد ، والذي تخلو مائدته منها في أيام العيد يرى إليه الناس شزراً .

ولذلك كانت الشعيرية من أكبر مظاهر العيد في الهند ، لأنها تعم بيوت الناس كلهم وفي كل طبقة .

أما احتفالات الناس بالعيد فتختلف باختلاف البلد والتقاليد والمجتمع والأسر ، فمن الناس من يختلفون بالعيد بتبادل الزيارات واللقاءات فحسب ، ولا يبالون بما إذا كان هناك من يحتاج إلى المساعدة وتفقد الأحوال وتقديم المعونة إليه بالطعام واللباس ، ومنهم من يهتم بالفقراء والمحتاجين أكثر من نفسه وعائلته ، وبعض العائلات تقيم مآدب سخية تضم جميع من يتصلون بها بأى طريق سواء عن طريق القرابة أو الصداقة أو عن طريق الجوار ، وقد رأينا أن الأسر الدينية تعتني بأداء كل شعار من شعائر العيد في ضوء السنة ويلتزم جميع أعضائها بطريق السنة ، والاعتدال في جميع الأمور ميزتهم التي يتسمون بها ،

ويعتبرون العيد هدية رمضان التي أكرمهم الله بها وآذنتهم بقبول صيامهم عن طريقها .

هذا ، وتزدحم الأسواق بالمسلمين آباءً وأولادًا في الأسبوع الأخير من شهر رمضان ، كل يريد أن يقتني أجمل ما في السوق من الملابس والأحذية والقلانس والمناديل ، ولا تسأل عن الأسواق في التاسع والعشرين من رمضان كيف تموج بالناس ، وكم ذاينفقون من الأموال والنقود في شراء حاجياتهم ومطالبهم ، أما إذا رؤى هلال العيد في التاسع والعشرين وأعلن عن ذلك فيتدفق الناس ليلة العيد من البيوت إلى الأسواق والشوارع وإلى محلات الحلاقة والخياطة ومخازن اللحوم والخضراوات ، حتى إن ذلك يشكل في المدن الكبرى أزمة المرور ويخرج الأمر عن النظام ونرى في بعض المدن أن رجال الشعب يتطوعون فيساعدون الشرطة في تنظيم حركة المرور ، كما يساعدون المارة بإعطاء الطريق وإفساح المجال لهم ، وتسد الشوارع على المراكب والسيارات من كل نوع ، تغلبا على الزحام وإبقاءاً للنظام بقدر المستطاع ، لقد قضى الناس ليلة العيد إما في سهرة كاملة أو شبه سهرة ، وآن أن ينبلج فجره فإذا بهم يتوضأون ويستحمون ويسرعون إلى المساجد مجتمعين وفرادى لتأدية صلاة الفجر في جماعة ، وإذا بالمساجد تغص بالمصلين وقد تضيق عنهم ، فيصلون على الأبواب ، وقد يزيد عددالأطفال المصلين في بعض مساجد الحي على عدد الرجال ،

لأن الأطفال قلما ينامون ليلة العيد إلا متأخرين ، وإن ناموا فلا يتأخرون في الاستيقاظ وقد يقومون من الفراش قبل طلوع الفجر ويتولون إيقاظ أهليهم ووالديهم ، ويطلبون منهم التوجه إلى المسجد لأداء صلاة الفجر في جماعة .

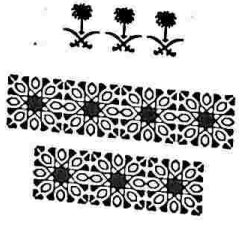
ويعود الناس من المساجد إلى البيوت فيهتمون بالفطور وأكل شئ من التمر إذا تيسر ، وإلا فيكتفون بأكل الشعيرية ، ويرتدون ملابس العيد الجديدة ويتطيبون ويخرجون إلى المصلى فرحين مستبشرين تتهلل وجوههم بالبشر والحبور وتنطلق ألسنتهم بالدعاء والتكبير : الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد ، وهكذا تتجه أفواج الناس رجالا وركبانا إلى مصلى العيد حيث يؤدون ركعتي العيد ويستمعون إلى خطبة الإمام ويخرجون من غير الباب الذي دخلوه ، ويرجعون من غير الطريق الذي اتخذوه في الذهاب ولا يتركون مسكيناً أو فقيراً يواجههم في الطريق إلا ويتصدقون عليه ويعطونه ما توفر من صدقة الفطرة أو من صميم أموالهم .

ارتفع نهار العيد وتحولت كل بقعة وكل بيت إلى منتزه يغشاه سرور ، لا يعدله سرور وطمأنينة لا تساويها طمأنينة ، وكأن الأجواء كلها تضحك والوجوه كلها تبتسم ، فلا ترح ولا كدر ولا غضب ولا شكوى ولا همّ ولا جزن ، وجوه يومئذ ضاحكة مستبشرة ، وقلوب يومئذ فرحة مطمئنة ، وتقام المآدب في البيوت ، وتعقد المجالس في المجتمعات ، وتبادل التهاني والترحيبات ، فالكل

يزور أخاه وصديقه وقريبه وحبيبه ، وينهئ بعضهم بعضاً ، وكل عام وأنتم بخير .

أما السيدات في البيوت فأخذن زينتهن من الملابس والحلى ، ولا يقصرن في إبداء فنونهن من تهيئة ألوان الأكلات الشهية والأطباق اللذيذة ولا يتعين في القيام بالضيافة والترحيب بكل من يأتي إلى بيوتهن لتقديم تهنئة العيد ، وإن للسيدات اليوم شأنا غير شأنهن في أيام السنة الأخرى ، إنما هي البسمات والغمزات ، والأفراح والبهجات ، التي تنطق بها الوجوه وتفيض بها القلوب ، وتنطلق بها الألسن .

وهكذا ينتهي يوم العيد في فرح وسرور وبهجة وحبور ، ومزاورات ولقاءات ، ومآدب وأكلات ، وحرية ونشاط ، وشكر ودعاء ، ومتعة ولذة واغتباط وسعادة ، ويبدو أن الدنيا كلها تفسير للنعمة والسعادة ، وتعبير عن المتعة والحلاوة ، ولم يعد فيها ما يسمى بالحزن والألم أو ما يعبر عنه بالشقاء والتعاسة ، وتلك هي قيمة العيد في العيد ، وما أغلاها من قيمة .



فهرس الكتاب

م	الموضوع	الصفحة
١	المقدمة	٥
٢	بين يدي الكتاب	٧
٣	الباب الأول (العام الهجري والهجرة النبوية)	١١
٤	تحية العام الجديد	١٣
٥	العام الهجري الجديد وشرعية مفهوم الهجرة	١٥
٦	مرحبا بالعام الهجري	٢٤
٧	عبر من الأيام ، بمناسبة بدء العام	٢٧
٨	الهجرة في سبيل الله : طريق إلى الفتح والانتصار	٣٠
٩	(٢)	٣٣
١٠	(٣)	٣٧
١١	كيف نستقبل القرن الهجري الجديد (القرن الخامس عشر الهجري)	٤٠
١٢	من عام إلى عام	٤٧

م	الموضوع	الصفحة
١٣	من معاني الهجرة	٥١
١٤	عبرة الهجرة	٥٥
١٥	جوانب مشرقة في القرن الهجري الجديد	٥٨
١٦	أغلى هدية للعام الهجري الجديد	٦٢
١٧	**الباب الثاني** السيرة المحمدية (على صاحبها ألف ألف تحية وسلام)	٦٥
١٨	ذكرى محمد ﷺ	٦٧
١٩	المقياس الوحيد	٧٠
٢٠	من حضيض الجاهلية إلى قمة المعنوية !	٧٢
٢١	دور السيرة النبوية في وحدة الإنسان	٧٥
٢٢	========== (٢)	٧٨
٢٣	السيرة والسنة النبوية عنوان المجد والعزة	٨١
٢٤	وإنك لعلى خلق عظيم	٩٠
٢٥	هذه النعمة العظيمة	٩٩
٢٦	نبي الرحمة وازدواجية العقيدة والشريعة	١٠١
٢٧	السيرة النبوية ومنتها الخالدة على الإنسان	١٠٨

م	الموضوع	الصفحة
٢٨	موقف المسلمين من المدايح النبوية !	١١٦
٢٩	على هامش المؤتمر العالمي للسيرة والسنة النبوية	١٢٦
٣٠	رحمة عالمية ومنة ربانية	١٣٤
٣١	لمن هذه الأسوة ؟	١٣٨
٣٢	ذكرى عطرة	١٤٢
٣٣	مقياسنا في كل حين	١٤٦
٣٤	متى نستخدم سلاح السيرة ؟	١٤٨
٣٥	رسالة الإسلام في مواجهة كل جاهلية	١٥١
٣٦	ظن خاطئ	١٥٥
٣٧	عطاء الإسلام في طريق النبي عليه الصلاة والسلام	١٥٧
٣٨	السيرة النبوية حل لمشاكل العصر	١٦٠
٣٩	خاطرة الشهر	١٦٣
٤٠	المعجزة الكبرى للسمو الإنساني	١٦٥
٤١	أين الطمأنينة ؟	١٦٨
٤٢	جاهلية القرن السادس وجاهلية القرن العشرين	١٧١

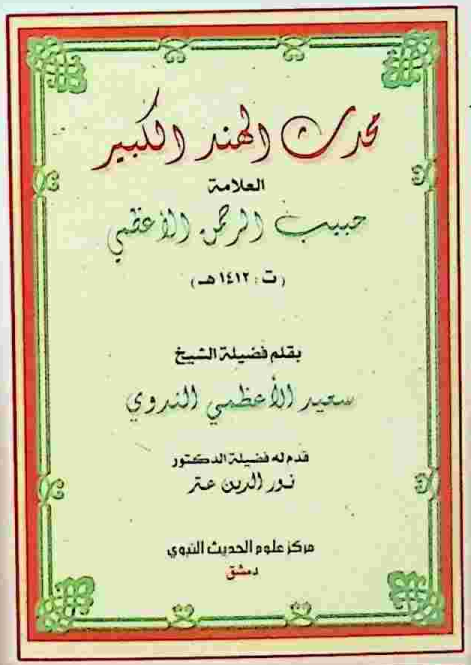
م	الموضوع	الصفحة
٤٣	الباب الثالث الإسراء والمعراج	١٧٥
٤٤	من وحي فلسطين	١٧٧
٤٥	على هامش الإسراء والمعراج	١٧٩
٤٦	رسالة الإسراء إلى أمة فلسطين وحكام المسلمين	١٨٢
٤٧	درس من الإسراء	١٨٩
٤٨	فلسطين تنادينا	١٩٢
٤٩	واقع المعراج توطيد لدعائم التوحيد والإيمان	١٩٤
٥٠	الباب الرابع رمضان شهر الصيام والقرآن	١٩٩
٥١	ربيع القلوب !	٢٠١
٥٢	تحية رمضان	٢٠٣
٥٣	صلتنا برمضان	٢٠٩
٥٤	الأمة الوسط وشهر رمضان العظيم	٢١١
٥٥	المسلمون وعبادة الصيام!	٢١٩

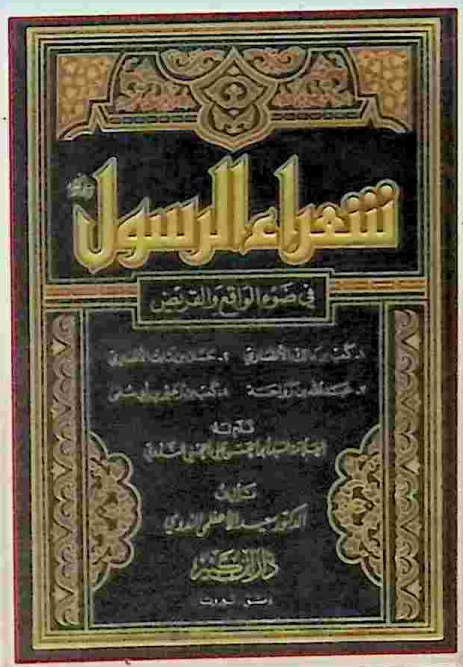
م	الموضوع	الصفحة
٥٦	رمضان ومجازر وحشية تقشعر منها الجلود !	٢٢٣
٥٧	أمة الإسلام في شهر الصيام	٢٢٦
٥٨	سلاح الصيام في وجه الطغيان !	٢٣٠
٥٩	الصيام مطلب طبيعي للإنسان !	٢٣٤
٦٠	مدرسة الصيام ودورها في بناء الحضارة	٢٣٨
٦١	جوانب مهمة في الصيام	٢٤١
٦٢	رمضان يدفع إلى الأمام	٢٤٤
٦٣	درس من شهر رمضان	٢٤٦
٦٤	ما أحوجنا إلى رمضان !	٢٥٢
٦٥	رمضان ... حاجة المسلم	٢٥٧
٦٦	واقع الصوم بين الأمس واليوم	٢٦١
٦٧	ماذا بعد مدرسة الصيام ؟	٢٦٤
٦٨	من وحي الصيام	٢٦٨
٦٩	رؤية المسلم نحو أيام الله ولياليه	٢٧٠
٧٠	فرحة الصيام في خضم المادية	٢٧٤

م	الموضوع	الصفحة
٧١	الصيام كما نراه ويراه ... !	٢٧٧
٧٢	الصبر .... ودوره في حياة المسلم	٢٨٠
٧٣	شهر التقوى ولكن ... ؟	٢٨٤
٧٤	لماذا يصومون ؟	٢٨٨
٧٥	ما أحوجنا إلى الصبر	٢٩١
٧٦	**الباب الخامس** **الحج والتضحية**	٢٩٥
٧٧	إلى بيت الله العتيق من كل فج عميق	٢٩٧
٧٨	الحج ودوره في بناء الشخصية الإسلامية	٣٠٠
٧٩	الحج ودوره في تحديد وجهة الأمة الإسلامية	٣٠٩
٨٠	دروس من الحج	٣١٧
٨١	جوانب إعلامية مشرقة في الحج !	٣٢٦
٨٢	دور الحج في قطع دابر الشرك والوثنية	٣٣٥
٨٣	من وحي ذي الحجة	٣٤٢
٨٤	الحج ليس مؤتمراً ولكنه عبادة اجتماعية	٣٤٤

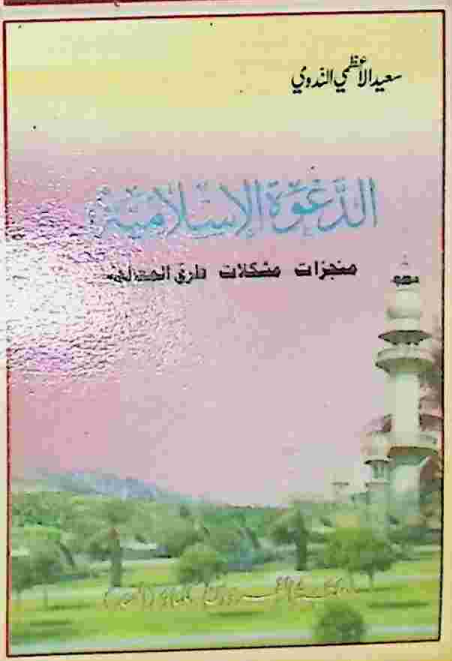
م	الموضوع	الصفحة
٨٥	موقف الإيمان الوعي	٣٥١
٨٦	لاسعادة بدون التضحية !	٣٥٤
٨٧	دور التضحية في تقدم الأمم والشعوب	٣٥٨
٨٨	موسم الحج ، مشاهدات وانطباعات	٣٦٠
٨٩	الحج ، ودور الإعلام السعودي	٣٦٩
٩٠	درس من حياة المؤمن	٣٧٧
٩١	كيف يكون الحج مبرورا ؟	٣٨٠
٩٢	لماذا التضحية ؟	٣٨٣
٩٣	فصل رائع من رواية الإيمان والحنان	٣٨٥
٩٤	لبيك اللهم لبيك	٣٨٩
٩٥	جائزتان ..... ؟	٣٩٢
٩٦	من يتولى هذه المسؤلية ؟	٣٩٤
٩٧	لله ، لا للنفس	٣٩٨
٩٨	لبيك اللهم لبيك	٤٠١
٩٩	الأضحية وقيمتها في حياتنا	٤٠٦

م	الموضوع	الصفحة
١٠٠	بعض مظاهر العيد واحتفالاته في الهند	٤١١
١٠١	فهرس الكتب	٤١٧









DESIGNED BY HAMID. MOB: 9889654027 PRINTED AT KAKORI OFFSET PRESS, LKO.